SHATTI

TARIKH AL-TIBB

2274
87653
3894

Princeton University Library
32101 074332501

تاريخ الطب

عند العرب في القرون الاخيرة

كتاب

الطب في سورية من بلاد الشام

تاليف

الدكتور شوكت الشطي

استاذ في كلية الطب من جامعة دمشق

حقوق الطبع محفوظة

مطبعة جامعة دمشق

١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م

al-Shatti, Ahmad Shawkat

Tārikh al-ṭibb

تاريخ الطب

عند العرب في القرون الاخيرة

كتاب

الطب في سورية من بلاد الشام

تاليف

الدكتور شوكت الشطي

استاذ في كلية الطب من جامعة دمشق

حقوق الطبع محفوظة

مطبعة جامعة دمشق

١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م

2274
.87653
:3894

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وبه نستعين

أما بعد فهذا سفر من اسفار كتابنا عن تاريخ الطب خصصناه بالبحث عن الطب في سورية من بلاد الشام خلال القرون الأخيرة .

لقد اقدمنا على كتابة هذا السفر مع علمنا بصعوبة العمل لندرة المصادر وقلة المآخذ التي يمكن الرجوع اليها في هذا الباب .

والواقع اننا وجدنا في تسطير بعض الابحاث من الوعورة ما لم يخطر لنا على بال لذلك جاء الكتاب على الرغم مما بذلناه من جهد مشوباً بنقائص لم نستطع تحاشيها آملين من كل قارىء يعثر على بعضها أن يرشدنا الى الصواب لنستدركه في ملحق نذكر بالخير فيه من ارشدنا ونشكره على ما نوه عنه ونبه اليه والسلام .

الاستاذ

الدكتور شوكت الشطي

كتاب

الطب في سوريا من بلاد الشام

نقدم في هذا الكتاب ثمانية ابواب :

الباب الاول [١] : نثبت فيه ملخصاً عن سيرة أطباء الشام ما بين القرن السابع والقرن الثاني عشر للهجرة .

الباب الثاني [٢] : نبين فيه تأخر العلوم في بلاد الشام وتألق نجم بعض الاعلام في الطب خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر للهجرة .

الباب الثالث [٣] : نتكلم فيه عن اليقظة العلمية في الربوع الشامية .

الباب الرابع [٤] : نذكر فيه ما أتحفنا به الاستاذ الدكتور عبدالرحمن الكيالي عن الطب في حلب في العصور الحديثة .

الباب الخامس [٥] : توجز فيه مقتطفات من رسائل قيمة عن حالة الطب في ربوع الشام في العصور الأخيرة بعث بها الينا الاستاذ البحاثة المؤرخ عمر الطيبي .

الباب السادس [٦] : نبين فيه صلاح اللغة العربية لتدريس العلوم .

الباب السابع [٧] : نخصه بالكلام عن المعهد الطبي العربي فكلية الطب بدمشق . كما نبحث فيه عن المشافي والبيمارستانات في بلاد الشام .

الباب الثامن [٨] : نثبت فيه ماذكره الاستاذ الدكتور حسني سبح عن تطور الطب في بلاد الشام كما نضمنه كلمة عن النهضة الطبية في سوريا بعد استقلالها .

---

(١) ص ٢ ٧ (٢) ص ٨ - ٩ (٣) ص ١٠ - ٢٨ (٤) ص ٢٩ - ٤١
(٥) ص ٤٢ - ٥١ (٦) ص ٥٢ - ٦٦ (٧) ٦٨ ١٤٦ (٨) ص ١٤٧ .

G-10-70 1548

الباب الأول

ملخص سيرة أطباء الشام

بين القرن السابع والقرن الثاني عشر للهجرة
القرن الثالث عشر واوائل القرن الثامن عشر للميلاد

تميزت القرون الستة: السابع والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر للهجرة في بلاد الشام بعلماء في الطب اكتسب اثنان منهم في عصرنا هذا شهرة عالمية واسعة احدهما موفق الدين أحمد بن القاسم بن الخليفة المعروف **بابن أبي اصيبعة** الدمشقي وذلك بكتابه في تاريخ الطب الذي يعد أحسن مرجع يعول عليه في هذا الباب وثانيهما **ابن النفيس** الطبيب الفقيه الاديب الذي أخذ العلماء[1] يبحثون عن آثاره اليوم فتبين لهم أنه هو كاشف الدورة الدموية والصغرى وان الفضل في معرفة الدوران الرئوي يرجع اليه وان الغربيين لم يكونوا إلا نقلة لاقواله[1].

ولقد كان من بين الاطباء اللامعين في الشام اثناء هذه الحقبة من الزمن.

فخر الدين رضوان بن محمد الساعاتي: كانت له اليد الطولى في الطب مات بدمشق سنة ٦٠٠ هـ.

موفق بن عز الدين السلمى: صار طبيب الملك العادل ابي بكر بن ايوب مات سنة ٦٠٠ هـ.

عبد المنعم الحلياني الغساني الاندلسي: أتى من الاندلس الى دمشق واقام بها وعمّر عمراً طويلا. كانت له دكان في اللبادين لصناعة الطب وأعمالها كالكحل وغيره. وكان المترجَم بارعاً في الادب وصناعة الشعر والاراجيز وكان

---

[1] راجع سيرته في كتابنا موجز تاريخ الطب عند العرب ص ١٦٧، ١٨٨ كان ابن نفيس رئيس اطباء مصر فقيهاً وادبياً وصف دوره الدم الصغرى عاش بين ١٢٢٠-١٢٨٨ م.

الملك صلاح الدين بن يوسف يحترمه لانه فريد زمانه وله اليد الطولى في صناعة الكيمياء توفي بدمشق سنة ٦١٥ هـ .

نجم الدين يحيى بن اللبودي : كان عالماً في الحكمة والهندسة وصاحب المدرسة الطبية المنسوبة اليه في دمشق وصاحب دار الهندسة ايضاً وله ثلاث عشرة رسالة في الرد على البغدادي عبد اللطيف وله عدة مصنفات توفي بدمشق سنة ٦٢١ هـ.

شمس الدين بن اللبودي : سافر من دمشق الى بلاد العجم لتلقي العلوم الحكمية ثم رجع وصار افضل اهل زمانه بها وكان شيخ اطباء البيمارستان النوري ثم تفرد في العلوم الدينية وله مؤلفات منها الرأي المعتبر في معرفة القضاء والقدر مات بدمشق سنة ٦٢٦ هـ .

نجم الدين يحيى بن شمس الدين اللبودي: هو نجل شمس الدين السابق الذكر حيّر العقول في زمانه بعلومه الحكمية والرياضية والادبية وله مصنفات كثيرة ومختصرات من القانون لابن سينا والاشارات وعيون الحكمة مات في اواخر القرن السابع للهجرة .

المهذب الداخور عبد الرحمن بن علي بن حامد الدمشقي : شيخ الطب وواقف المدرسة التي بالصاغة العتيقة على الاطباء، اخذ الطب عن الموفق بن المطران والرضي الرحبي واخذ الادب عن الكندي وانتهت اليه معرفة الطب وصنف التصانيف وحظي عند الملوك ولما تجاوز سن الكهولة عرض له طرف خرس حتى كاد لا يفهم كلامه واجتهد في علاج نفسه فما افاده ذلك بل ولّد له امراضاً كثيرة متنوعة ولما ثقل لسانه كان الجماعة يبحثون بين يديه فيكتب لهم ما أشكل عليهم في اللوح واستعمل في معالجة مرضه المعاجين الحادة الحارة فعرضت له حمى قوية اضعفت قوته وزادت علته . مات بدمشق سنة ٦٢٨ .

ابو الحجاج يوسف بن حيدرة الرضي الرحبي : أحد من انتهت اليه معرفة الفن قدم دمشق مع ابيه حيدرة الكحال وصار من اطباء صلاح الدين

ابن يوسف وامتدت ايامه وصارت اطباء دمشق تلامذته وكان يقول : الأكل مع الشهوة هو المطلوب وثمرته عيش الانسان العمر الطبيعي . مات بدمشق سنة ٦٣١ . واشتهر ابنه شرف الدين بالطب وخدم في البيمارستان الكبير وتوفي سنة ٦٦٧ هـ . ونبغ من آل الرحبي جماعة عدة صاروا من المشايخ المعدودين في صناعة الطب .

الحكيم الفاضل محمود بن عمر الحابولي المعروف بابن دقيقة الشيباني : صنف كتاب قانون الحكماء وفردوس الندماء وكتاب الغرض المطلوب في تدبير المأكول والمشروب وغير ذلك وله ديوان شعر منه :

توق الامتـــلاء وعد عنه وادخال الطعام على الطعام

توفي بدمشق سنة ٦٣٤ .

شمس الدين الخوُيي[1] : هو الصدر العلامة قاضي القضاة : ، حجة الاسلام ، سيد العلماء والحكماء والحكام ابو العباس احمد بن الخليل كان اصله من مدينة خُوي ، كان اوحد زمانه في العلوم الحكمية وعلامة وقته في الامور الشرعية ، عارفاً بأصول الطب وغيره من اجزاء الحكمة ، عاقلاً كثير الحيـاء ، كريم النفس ورد الى دمشق في ايام الملك المعظم عيسى بن الملك العـادل استحضره واستخلصه لنفسه وجعله قاضي القضاة بدمشق ، له تصانيف لامزيد عليها في الجودة وكان ساكناً في المدرسة العادلية التي فيها المجمع العلمي اليوم توفي سنة ٦٣٧ .

عز الدين بن السويدي : من ولد سعد بن معاذ من الاوس مولده في سنة ٦٠٠ هـ بدمشق ونشأ بها كان علامة زمانه ونابغة اوانه في العلوم الدينية والحكمية ، اشتغل بصناعة الطب حتى اتقنها ولم يصل احد من اربابها الى ما وصل اليه ترأس في جميع العلوم حتى في الادب واللغة وله شعر جامع لاجناس العلوم وهو اسرع الناس بداهة في قول الشعر في معان مختلفة وكان ابوه تاجراً من السويداء خدم في بيمارستان باب البريد وبيمارستان النوري وترأس بالطبابة وكان مدرساً في الداخورية وله مؤلفات كثيرة توفي سنة ٦٤٠ .

---

(١) خوي بخاء معجمة مضمومة وواو مفتوحة وياء مدينة من اقليم تبريز .

رفيع الدين الجبلي ، ابو حامد عبد العزيز القاضي: كان من المتميزين في العلوم الحكمية وأصول الدين والفقه والعلم الطبيعي و كان مقيما بدمشق وهو فقيه المدرسة العذروية داخل باب النصر وله مجلس للمشتغلين عليه في انواع العلوم الحكمية والطب ولما تملك الملك الصالح عماد الدين بن اسماعيل دمشق تولى وظيفة قاضي القضاة بدمشق مكان شمس الدين الخوبي وشرح الاشارات لابن سينا توفي سنة ٦٤١ .

سعد الدين بن ابراهيم بن عبد العزيز ابو اسحق السلمي: كان يعتكف بالجامع الاموي شهر رمضان وهو الذي تولى عمارة المدرسة الحنبلية في سوق القمح بدمشق - هو سوق البزورية اليوم - وذلك في ايام الملك الاشرف وكان امير المؤمنين المستنصر بالله، خليفة بغداد قد امر بعمارتها ، كان علامة زمانه في صناعة الطب ، اتقن جزئيات انواعها واحكم كليات اصولها ، برع في العلوم الشرعية والفقهية ، خدم بصناعة الطب في البيمارستان ثم تولى رئاسته وكان له مجلس عام للمشتغلين بالطب عليه ، وللشريف البكري ابيات في مدحه منها :

حكيم لطيف من لطافة وصفه يود المعافى السقم حتى يعوده

ولد بدمشق سنة ٥٨٣ وتوفي فيها سنة ٦٤٤ هـ .

بدر الدين بن قاضي بعلبك : نشأ بدمشق واشتغل بصناعة الطب وقد جمع الله فيه العلوم الدينية والحكمية كان لا يترك وقتاً من ايامه من التزيد في العلم والعناية في المطالعة والفهم تولى رئاسة جميع الاطباء الكحالين بدمشق توفي سنة ٦٥٠ هـ[1] الموافق لسنة ١٢٥٠م .

---

(١) وفي تلك السنة مات بدمشق سيف الدين ابو الحسن علي بن ابي الفوارس القيمري صاحب المارستان بصالحية دمشق وقد بناه سنة ٦٣٥ هـ كان من اجلة الامراء وابطالهم دفن بالقبة قرب مارستانه على الجادة وكان يقول :

الأمر محتاج الى خمسة ما حازها الا فحول الرجال
الصبر والصمت وترك الأسى وعفة النفس وصدق المقال

نجم الدين بن المنفاخ : يعرف بابن العالمة لان أمه كانت عالمة نبغ في دمشق كان عالما بالطب والحكمة والمنطق والأدب له مؤلفات عديدة توفي سنة ٦٥٢ .

جمال الدين بن حيدرة الرحبي : اصله من الرحيبة ولد ونشأ بدمشق كان من أكابر العلماء اوحد زمانه في العلوم الدينية والحكمية واشتغل بصناعة الطب على والده .

من كلامه الصوم منع البدن من الغذاء وكف الحواس عن الاخطاء والجوارح عن الآثام مات سنة ٦٥٨ .

العلامة السويدي : شيخ الاطباء عز الدين بن طرخان الانصاري الدمشقي، اخذ الطب على المهذب الداخور وبرع به وصنف فيه وفاق اقرانه ، ونظر في العقليات والف كتاب الباهر في الجواهر وكتاب التذكرة في الطب وكان مقارنا للطبيب علاء الدين بن نفيس القرشي الدمشقي ومعاصراً له وقد انتخب شيخاً للطب بالديار المصرية والشامية .

قال فيه الذهبي : الف في الطب الكتاب الشامل وهو كتاب عظيم تدل فهرسته على انه رتبه في ثلاثمائة مجلد وكانت تصانيفه يمليها من حفظه ، ولا يحتاج الى مراجعة لتبحره في الفن وشرح الأنموذج في الطب شرحاً ليس له نظير ، قالوا : وكان في اعطاء العلاج وتشخيص الداء أعظم من ابن سينا توفي سنة ٦٩٠هـ.

يحيى بن شرف النووي : قرأ القرآن ببلده في حوران وقدم دمشق بعد تسع عشرة سنة من عمره قدم به والده فسكن بالمدرسة الرواحية وكان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ ثم خطر له الاشتغال في علم الطب فتعلمه حتى فاق جميع اقرانه في سائر العلوم والفنون وكان يردد :من اراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم وقال من لا يحب العلم فلا خير فيه وقال فقر العلماء فقر اختياري وفقر الجهال فقر اضطراري ولد في محرم سنة ٦٣١ .

شيخ الربوة شمس الدين محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي : صاحب تاريخ دمشق المشهور كان عالماً في السياسة والفراسة وتوفي سنة ٧٢٧هـ ١٣٢٦م.

سليمان بن داود أمين الدين أبو الربيع : رئيس الاطباء بالشام توفي بدمشق سنة ٧٣٢ هـ ١٣٣١م .

هاشم بن السيد ناصر السروجي: رئيس الاطباء بالمستشفى النوري سنة ٩٦٤، ١٥٥٦ م .

ابن الحكيم المصاحب ابو بكر محمود بن يونس: رئيس اطباء دمشق وخطيب امويها سمي مصاحباً لانه صاحب السلطان مراد بن سليم سنة ١٠٠٧، ١٥٩٨م.

محمد بن يونس الطبيب الخطيب: كان حسن الصوت والقراءة توفي بدمشق سنة ١٠٠٨ ، ١٥٩٩م.

شمس الدين التنوري الميداني : الطبيب الفرضي الحيسوب انتهى اليه علم الحساب حتى صار مشهوراً وكان مهتماً بعلم الكيمياء وكان له حسن اعتقاد وبرع في علم الطب على عمه يحيى انتفع الناس بحذاقته ومعرفته توفي سنة ١٠٣٠ .

يوسف بن محمد الطرابلسي الاصل الدمشقي المولد : كان رئيس الاطباء بدمشق يلقب بابقراط وعنده مهارة تامة في الطب وفنونه والتشخيص واعطاء العلاجات ومعرفة الداء والدواء وله مشاركة في علوم الفقه والاطلاع عليها وهو جد يوسف آغا الحكيم الدمشقي الميداني مات سنة ١١٠٥ .

مصطفى بن احمد باشا بن حسين بن اسماعيل المعروف بالترزي الدمشقي: كان الاوحد في الطب نفع به خلقاً كثيراً وكان أديباً شاعراً ينفث السحر من رشحات اقلامه وكانت وفاته سنة ١١٦٠ هـ .

اسعد بن ابراهيم الدمشقي الشافعي الشهير بابن حجيج :صوفي المسلك ، طبيب ماهر كان حاذقا في صناعة الطب وهو الوحيد في عصره لان ذلك الوقت كان به الطب قليلا توفي سنة ١١٩٠ .

الباب الثاني

تأخر العلوم الطبية في البلاد الشامية

خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة

السابع عشر والثامن عشر للميلاد

لقد شع من علم العلماء الذين اشرنا اليهم واثبتنا ملخصاً عن سيرتهم نخص بالذكر منهم ابن نفيس وابن اصيبعة والسويدي نور متألق كالنور الذي يتألق من الشمعة قبيل انطفائها اذ تبع ذلك انحطاط كبير في جذوة العلم في بلاد الشام وكانت العلوم والطب منها تسير بقوة التسلسل منبعثة من تاريخها اللامع .

وما ان دخل القرن الثاني عشر حتى كان الطب في حالة محزنة والمناصب العلمية ملعبة وشعبذة وسخرية والمدارس مأوى الحمير كما قال احد العارفين بذلك القرن وكان القرن الثالث عشر تتمة القرن الثاني عشر وكان الكتاب المعول عليه في الطب خلال تلك المدة كتاب الطبيب الضرير داوود الانطاكي .

وكان من اطباء هذا الزمن

الشيخ ابراهيم الخلاصي : قال العلامة البيطار في تاريخه ما خلاصته : ابراهيم ابن محمد درويش الشهير بالخلاصي الحلبي الاصل الدمشقي المنشأ والموطن الطبيب النجيب ، انتهت اليه رئاسة الطب في عصره ، وكان الخاص والعام معترفاً بعلمه وقدره ، انفرد بمعرفة الداء من النبض والقارورة ، وللناس عنه حكايات معروفة مشهورة ، وله مشاركة في بعض العلوم ، وشعر في سلك اللطافة منظوم ، توفي

في اليوم السادس من شوال سنة ١٢٥٥هـ ، ١٨٣٨م ودفن في مقبرة الباب الصغير بالقرب من مقام السيدة سكينة رحمه الله تعالى وكان عالماً وله رسالة في الطب .

مصطفى آغا عودة[١]: ترجمه الفاضل أديب أفندي تقي الدين في تاريخه المطبوع كما اخبر عنه بعض احفاده فهو مصطفى بن محمد آغا الشهير بابن عودة الدمشقي ، أحد الاطباء بدمشق ، كان يداوي الناس بالطب القديم ، حيث لم يكن الطب الحديث منتشراً في الشام ، وكانت الفقراء غالباً تقصده من دمشق وقراها ، فيحسن مداواتهم ويعطيهم العلاج من عنده ، ولم يزل على حاله الى ان توفي سنة ثمانين ومائتين والف ١٢٨٠هـ ، ١٨٦٢م وقد اعقب ثلاثة اولاد سلكوا مسلكه ، ولازموا خدمة المرضى ، في مستشفى البيمارستان النوري ، وهم : سعيد آغا ، وعبد القادر آغا ، والدكتور حسين افندي نزيل صيدا ، توفي الاول سنة ١٢٩٢هـ ١٨٧٤م وتوفي الثاني سنة ١٣١٣ ، ١٨٩٥ وتوفي الاخير سنة ١٣٣٢ ، ١٩١٣هـ وكان اوفده ابراهيم باشا لدراسة الطب في قصر العيني ولذا حمل لقب دكتور.

عبد الغني المعروف بالشيخ فضلي : ذكره السيد تقي الدين في تاريخه فقال ما خلاصته انه كان في دمشق طبيباً بارعاً في فنه فائقاً بين اقرانه ، ماهراً في تشخيص الداء ووصف الدواء وكانت وفاته سنة ١٢٨٨هـ ١٨٧٠م وكان لعبد الغني المذكور مؤلفات منها ماطبع ومنها مالم يطبع وقد اعقب ولده الطبيب زاهد باشا.

---

(١) ننقل خلاصة سيرته وسيرة سابقه الشيخ ابراهيم الخلاصي عن كتاب روض البشر في اعيان دمشق في القرن الثالث عشر لمؤلفه المرحوم اخينا الاستاذ محمد جميل الشطي مفتي الحنابلة وإمامهم بدمشق .

الباب الثالث

اليقظة العلمية في الربوع الشامية

واطباء النصف الثاني من القرن الثالث عشر

وأوائل القرن الرابع عشر للهجرة

تميز النصف الثاني من القرن الثالث عشر واوائل القرن الرابع عشر باطباء متخرجين من جامعات او مدارس عالية ومطببين مجازين وكان من بين الأُول محمد بن احمد الاسكندراني والدكتور ميخائيل مشاقة وحسين عودة وغيرهم ممن سوف نذكر ملخصاً عن سيرة حياتهم. وما ان جاء القرن الرابع عشر حتى تجلت فيه فائدة العلم لعامة الشعب ويعود الفضل الاول في نهضة الطب في الشرق الادنى الى مدرسة الطب في القاهرة اولا فمدارس الطب في استانبول وبيروت ودمشق بعدها.

وتبدلت ايضاً الادارات الصحية اذ جاء بعد العهد العثماني عهد الانتداب فالعهد الوطني فعهد الاستقلال وبعث القومية العربية وتركيز اسسها بالجمهورية العربية المتحدة. ولقد قدرت العهود الوطنية مالصحة من اثر حسن في نهضة الامم فأولتها عنايتها من ناحية حتى يمكن القول بان اكثر البلدان العربية بلغت من الوجهة الصحية والطبية مرحلة تبشر بخير عميم ينقصها توثيق الصلات بين المؤسسات كما يعوزها تبادل المعلومات في كثير من المناسبات وهذا مابوشر به فقد كانت هنالك مشاركة بين جمعية الطب في لبنان ومثيلتها في دمشق واشتراك بالمؤتمرات والحلقات العلمية التي تعقد تارة في دمشق وطوراً في بيروت ، وكان للجمعية

الطبية المصرية فضل كبير في عقد مؤتمرات سنوية باسم الجمعية كما كان لسورية وغيرها من البلاد العربية اثر في تسمية المؤتمر بالمؤتمر الطبي العربي .

محمد ابن احمد الاسكندراني : هو احد متطببي النصف الاخير من القرن الثالث عشر للهجرة ولعله من أوائل الاطباء المتخرجين من مدرسة طبية رسمية على مايبدو لنا مما جاء في سيرته وما لمسناه من علم غزير في مؤلفاته واكثرها شأناً كتابه كشف الاسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالاجرام السماوية والارضية والحيوانات والنبات والجواهر المعدنية وقد جاء في تقريظ الكتاب ومقدمته مايدل على هوية المؤلف وعمله وسيرة حياته من ذلك قوله : كنت منذ زالت عني تمائم الطفولية ونيطت بي عمائم الرجولية ممن شغف بتعلم الطب ليالي واياما وانهمك في دراسته على قدر الطاقة سنين واعواماً فنيطت بي خدمة العساكر البحرية في ثغر الاسكندرية المحمية وذلك الى غاية سنة ١٢٥٦هـ ١٨٣٩م وكنت اذ ذاك ببر الشام فتشرفت بخدمة العساكر السلطانية الى غاية ١٢٥٨هـ ١٨٤١م ثم اقمت بدمشق الشام معتنياً بمداواة أهلها الاماثل الاعلام الى ان اجتمعت في محل حافل سنة ١٢٩٠هـ ١٨٧١م ببعض الاطباء فشرعوا يتحادثون في كيفية تكون الاحجار الفحمية ووجهوا الي السؤال بانه هل اشير اليها في القرآن الشريف ام صرح بذكرها في ذلك الكتاب المنيف فانحط الرأي على تأليف كتاب يشتمل على شرح الآيات القرآنية المتعلقة بذلك شرحاً يكشف معناها وحقيقتها فجمعت من كتب التفسير والطب ماتفرق وسلكت في هذا المختصر جزالة الالفاظ مع تمام المعاني لتسهيل ماأودعت فيه على اني لااقول اني صنعته في قالب الكمال أو نسجته على احسن منوال لعلمي بان ميدان الافكار لاتسلم فيه الجياد من العثار والانسان محل النسيان فلا ابريء نفسي من الزلل ولا انزهها عن الخطأ والخلل وانما اقول ماكان من صواب فهو من الله واصل الي وما كان من خطأ فاللوم يقينا علي ونسأل الله تعالى حسن الاصابة والتوفيق والهداية لاقوم سبيل وطريق .

يقع هذا الكتاب في ثلاثة اجزاء تشعر الباحث فيها ان المؤلف جمع بين علوم الدين والدنيا في زمنه فألبس معلوماته الواسعة الدينية حلة قشيبة من العلوم الكونية وصاغها صياغة قدرها فضلاء عهده لذلك رأيناهم يتبارون في بيان محاسن كتابه مع علو مقامهم ورفعة شأنهم نذكر منهم مفتي دمشق محمود الحمزاوي فقد قال في تقريظ الكتاب : اجلت الطرف في طرائف هذا المؤلف ذي الترتيب المفيد لكل فقيه ومفسر ومفتي وأديب وطبيب ولعمري انه لجدير بان يسمى كشف الاسرار النورانية حيث اماط الحجب عن معلومات كانت مستورة خفية .

ومما قال فيه عارف المنير الحسيني :

هـذا كتاب بديع في مؤلفه ... يغني الحكيم عن الكشاف للجار
فكيف لا وغدا الكشاف مأخذه ... منه فطول امتداحي بعض اخبار

التشريح العام بعض مكنوناته والقول الصريح ادنى صنعاته ، نتائج الكيميا دون فوائده وفرائد الفسيولوجيا اقل عوائده وناهيك به انه اول مادون بهذا الشأن وافرد فيه بالبيان .

ومما قاله محمد الطنطاوي الازهري في المؤلف[1] : رأيته كتابا لم يسبق بمثاله كيف لا ومؤلفه اوحد الفضلاء المتفق على تفضيله وتقديمه واكرامه عند الكل وتعظيمه .

عن الاسرار النورانية ، المستمد من معاني العلوم القرآنية لم يترك في بابه مسئلة نفسية الا ذكرت فجاء بحمد الله يروق الناظر ويسر الخاطر وكيف لا ومؤلفه العالم الفاضل الذي قدره الاطباء في الديار الدمشقية بل لم تسمح بمثله الديار المصرية السيد محمد الاسكندراني بلغه الله الاماني .

وقال فيه محمد سعيد الاسطواني وقفت على هذا السفر الجليل فوجدته جمع

---

(١) ولد بالقرب من طنطا ، تعلم وعلم في الازهر ، دعاه امبراطور روسيا لتعليم العربية في سان بطرا سبورغ فعلم في مؤسستها العلوم الشرقية وجمع فيها مخطوطات ثمينة .

وافاد وحرر ما يكفي الطالبين وزاد كيف لا ومنشئه فريد العصر حبا . ووحيد الدهر طبا ، ابقراط دمشق وحكيمها الملبي لقاصده القاصي او الداني

وقال فيه محمد علاء الدين عابدين : اما بعد فقد اجلت فكري في رياض هذا الكتاب فتحققت انه من غيث السما وانه من اثار من لم يورث ديناراً ولا درهما ورأيته كتابا كشف به بعض اسرار القران العظيم الشأن واودع فيه من الفوائد بما لم يسبقه اليه سابق واني كلما تصفحت صحائف اوراقه وسطوره الفيته السهل الممتنع لم يحلّق حول حماه حتى الآن طائر فكر بل المؤلف مخترع نظامه وتهذيبه ونسيج وحده في امر تأليفه وترتيبه .

ومما قال فيه بكري بن حامد العطار : اجلت طرفي القاصر في أطراف هذا التأليف الباهر كيف لا ومؤلفه لقمان زمانه من حاز قصب السبق في ميدان الطب في الديار الشامية ، بل لم يسمح الزمان بمثله في الاقطار الحجازية والمصرية السيد محمد افندي الاسكندراني بلغه الله تعالى جميع الاماني .

وقال فيه عمر العطار : انه ـ مؤلفه ـ جمع في هذا الكتاب ما شرد وانتشر عن اولي الالباب واظهر به مضمرات السلف على وجه لطيف ونهج منيف فلله دره من فائق ، وياله من جامع حاذق متعنا الله بوجوده وحياته وادام نفعه بجاه من ذا الوجود من بركاته .

ومما قاله احمد الشطي : ان انفع علاج نحا نحوه الحكيم حمدُ من انزل القرآن الكريم فسبحانه من اله اقام في كل عصر ائمة تكشف استار الغيوم واشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله طب الارواح ودواؤها من الامراض نبي الرحمة والآمر بالدواء .

اما بعد فان مما جاد به الزمان هذا الكتاب المنسوب الى خاتمة الاطباء بديارنا الشامية من لوحل بغناء روضته ابن جزله لحمدالله تعالى وقال سبحان من خص بالفضل اهله .

ومما قاله محمد المنيني : احمد الله على ماانعم واصلي على رسوله المبعوث فينا

بكتاب محكم اعجزبه من طولب بمعارضته من العرب العرباء وافحم واسكت من تحدى له من مصانع الخطباء وابكم اما بعد فقد تشرف نظري بالاطلاع على هذا المؤلف العجيب فوجدته كامل المباني ، لم تكتحل عين الزمان له بثاني وهو مع صغر حجمه بحر محيط بجواهر الحقائق فلله در مؤلفه حيث اتى بما ينتفع به الطالب ولا يستغنى عنه المنتهي الراغب جعل الله سعيه مشكوراً وعمره موفوراً ثم وضع المؤلف كتاباً اخر سماه تبيان الاسرار الربانية في النباتات والمعادن والخواص الحيوانية جاء في مقدمته يقول راجي عفو الواحد الصمداني محمد بن احمد الاسكندراني لما انتهى بحمد الله تعالى الكتاب المسمى بكشف الاسرار النورانية هنأني بعض الاخوان وقال لي ان هذا الكتاب عوض لك عن الولد في التذكار وانت عقيم فلما ذهب عني هدس ذلك الكلام في الخاطر صرت احدث نفسي كانه لي غلام يخاطبني واخاطبه ورتبته على مقدمة وبابين مشتملين على بيان مايتعلق باظهار خفايا القوى الموجودة في الحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية وخاتمة بينت فيها ان الفراغ من تأليفه كان في شهر صفر سنة ١١٩٩ هـ وقد تم طبعه في منتصف شهر ربيع الاول سنة ثلاثمائة والف .

قال اخونا الاستاذ جميل الشطي كان المترجم حكيماً في كل شيء ، قنوعاً فيما يأخذه من المرضى ، يطبب الفقراء ويعطيهم العلاج مجانا توفي عقيما سنة ١٣٠٦ ، ١٨٨٧ ودفن في الجهة القبلية من مقبرة الدحداح وكان طبيباً للحكومة العثمانية في مستشفى الغرباء ودائرة البلدية مدة طويلة ، وكان يجتمع عنده بعض العلماء والوجهاء فيتذاكرون معه ويستأنسون لحديثه رحمه الله تعالى تخرج على الاسكندراني عدد من الاطباء منهم عبدالرحمن شوري وعبد الفتاح كحالة فقد قرأ عليه قانون ابن سينا والاخير طب مجانا وكان حاذقاً يحسن تشخيص الداء ويوفق في وصف الدواء. وقد وضع المترجَم رسالة في الهيضة سماها : الأزهار المجنية في مداواة الهيضة الهندية ، وهي رسالة لطيفة جاء في آخرها : تمّ طبع هذه الرسالة البهية للفوائد الجمة السنية بنفقة الطبيب حسين أفندي عودة الدمشقي في ٢٠ ذي القعدة سنة ١٢٩٢ هـ .

الدكتور ميخائيل مشاقة[1] ١٨٠٠—١٨٨٨م حق للعرب ان يفخروا برجل خدم الوطن العربي خريج القصر العيني ومؤلف كتاب مشهد العيان المعروف ايضاً باسم الجواب على اقتراح الاحباب وفيه يترجم اسرته والحوادث والاخبار التي شاهدها بام عينه ، وترجع اهمية كتاب مشهد العيان في التاريخ الى انه من المراجع الصحيحة في تاريخ سوريا ولبنان في القرن التاسع عشر ، نشأ علامتنا في دير القمر فتعلم القراءة والكتابة واربع صناعات وهو لم يبلغ تماماً الرابعة عشرة ثم سكن دمياط عند اخواله من آل عنحوري وهناك مال الى دراسة الرياضيات والموسيقى والفلك فلمع فيها لانه كان متوقد الذهن يميل الى البحث والدرس وكان يعتمد على نفسه اعتماداً كلياً ، وقد اصيب في شبابه بمرض اقعده خمسة اشهر متوالية فتألم لذلك كثيرا واحب ان يتعلم صناعة الطب ليحارب المرض الذي اصابه فعكف على مطالعة الكتب الطبية العربية وغيرها وكان يتتلمذ على كل طبيب اجنبي يأتي الى لبنان من بلاد الشام وكانت بلادنا السورية اللبنانية

---

(١) تلخص سيرته عن العدد ٦٢ من جريدة المساء البيروتية وعن اعداد كثيرة من مجلة النشرة الاسبوعية الصادرة في سنتي ١٨٨٨، ١٨٨٩ م لقب جده الأعلى بمشاقه لإتجاره بتجارة القنب والكتان بسفينة له كان يقصد بها القطر المصري وسواحل سورية ولاسيما طرابلس الشام التي استوطنها أخيراً وتزوج فتاة من إنفة إحدى قراها وتوفي عن ولد اسمه جرجس استوطن صيدا وأخذ يتجر بالتبغ ثم استوطن صور وبنى فيها كنيسة من ماله وبنى مسجداً للمسلمين واتسعت أملاك جرجس ووفرت ثروته وولد ابراهيم وهو ارومة المشاقين في سورية وبشارة وهو جد المشاقيين في مصر . وكان ابراهيم من الأفراد المشهورين وولد عدة بنين منهم جرجس أبو الدكتور ميخائيل . وكان من ارزاء جرجس هذا أن سعى فيه بعض الاشرار إلى الجزار فسلب أمواله وأملاكه حتى أصبح بعد ثروته معدماً ثم عاد الى بيروت ثم قصد دير القمر ثم ترك دير القمر سنة قدوم نابليون الأول من مصر وأقام بقرية رشميا وهنالك ولد ميخائيل صاحب هذه الترجمة في العشرين من آذار سنة ١٨٠٠ الموافق للثالث والعشرين من شوال عام ١٢١٤ ثم عاد جرجس إلى دير القمر وهناك نشأ علامتنا الفاضل . توفي عن خمسة أولاد سيدة وأربعة أعيان وهم نصيف بك وسليم أفندي والدكتور ابراهيم والدكتور اسكندر .

محرومة من المدارس العالية ، وحينما زحفت الجيوش المصرية على بلاد الشام – سوريا ولبنان – عام ١٨٣١ لافتتاحها بقيادة البطل ابراهيم باشا التحق بخدمة الامير بشير الثاني الكبير وقدم بركابه الى معسكر الفاتح المصري الذي كان يحاصر مدينة عكا واستأذن مولاه بمرافقة الهيئة الطبية التي كانت بالجيوش المصرية وعلى رأسها الطبيب المشهور كلوت فذهب معها الى حمص ودمشق يطبب جرحاها ويعتني بالذين اصيبوا بالطاعون الذي فتك بالحملة فتكا ذريعاً وقصد سنة ١٨٤٥ مصر وتتلمذ في المدرسة الطبية المعروفة بقصر العيني بالقاهرة وواظب على دروسها ومستشفياتها حتى نال لقب دكتور ثم عاد الى دمشق . وكان الطبيب ميخائيل مشاقة يمارس مهنة الطب مجانا ولوجه الله ولم يتقاضى فلساً واحدا لقاء اتعابه ، وتعمق الدكتور مشاقة بدراسة المنطق ومال الى قراءة تآليف فولتير وجعل يطالع الكتب الجدلية الكاثوليكية البروتستانية وكانت تربطه بالامير المغربي الكبير عبد القادر الجزائري صداقة متينة .

وصف الاستاذ جرجي زيدان المؤرخ النابغة صاحب الهلال الدكتور مشاقة فقال انه زاره في منزله بدمشق عام ١٨٨٣ فشاهده عالماً ذا هيبة ووقار يجلله الشيب ويلبس العمامة والجبة[1] وكان يتعصب لزيه الشرقي ، خدم الدكتور مشاقة وطنه العربي الكبير ثم كانت له جولات موفقة في حقول العمل الصالح ومواساة المساكين والمحرومين وله كتب كثيرة في الدين والعلم والفلك والتاريخ منها كتاب يشتمل على حوادث سورية منذ عهد الجزار في سنة ١٨٧٣ وكتاب في آثار دمشق القديمة ورسالة في جغرافية دمشق ومتعلقاتها ونصائح وارشاد لاولاده ورسالة في السعد والنحس والعين والموسيقى وله رسالة في الالحان الموسيقية العربية ومطول في الحساب لم يطبعا وقد احب دمشق حباً عظيماً فسكن فيها ينعم بظلالها وهكذا نرى ان دمشق كانت ولا تزال حصنا للينبوع وكل من نزح اليها يعشقها وكان كثير النباهة والكياسة وشديد المهارة في الاعمال اليدوية وعوّد يده اليسرى احكام

(١) لم يكن لبس العمائم وقفاً على المسلمين كما يتصور الكثيرون .

العمل كاليمنى فكان يضرب بها على العود فكانت له احسن معين يوم فلج شطره الايمن سنة ١٨٧٠ وكانت له اقوال مأثورة ويؤثر عنه كثير من البدائه منها تشبيهه اهل البطل بالبق اذ كان يقول عنهم انهم كالبق ان لمستهم علقت بيدك رائحتهم الخبيثة وان اخأت مصباحك هربوا وكان بينه وبين المرحوم علامة دمشق ومفتي الشام المرحوم محمود افندي حمزة مذاكرات في الرياضيات والمنطق وكذلك بينه وبين الامير عبد القادر الجزائري وكان حبيباً الى جميع الولاة والرؤساء والاعيان واهل العلم والفضل من سائر الملل عاش تسعا وثمانين سنة عيشة صالحة شغل اكثرها بعلاج انفس الناس واجسامهم وكان صابراً في مرضه نحو ١٨ سنة الى ان اغمض عينيه في دمشق في ٨ تموز سنة ١٨٨٨ وله من العمر تسع وثمانون سنة وقد رثاه عدد من الشعراء بينهم ابراهيم الحوراني ومما جاء في رثائه قوله :

لم يبق بعد غروبكم من مطلع ... في شرقنا لسوى نجوم المدمع
والطب ناح على ضريحك مدنفا ... وعلاجه في نفسه لم ينجع
اسفي عليك ولست وحدي آسفا ... فوجوه اهل العصر آسفة معي
وهجرت دار اعلمت از زاؤها ... الباب اهليها اخطراب اليلمع
لكن تركت بها صدور مكارم ... انجال فضل كالبدور الطلع
من كل شهم بارع متهذب ... ومجيد طب او حكيم اروع

الدكتور حسين عودة[1]: هو أحد اولاد المتطبب مصطفى آغا عودة . أوفده ابراهيم باشا لدراسة الطب في القصر العيني حاز على شهادة الدكتوراه

---

(١) من بين آل عوده سعد عوده بن سليمان بن داوود الشهير برئيس الأطباء الدمشقي كانت إقامته في محلة العصرونية اخذ الطب وفنونه عن ابيه ومهر به وفاق اقرانه له الباع الطويل في فروعه قال بعضهم في مدحه :

هذا سليمان بن داود الذي ... نال الرئاسة دونكم بالخاتم

وهي طويلة مات سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٦٩ م .

في الطب من المدرسة الطبية الخديوية سنة ١٢٩١هـ ، ١٨٧٢م وقد قرظ رسالة وضعها بدمشق الطبيب محمد افندي الاسكندراني سماها بالازهار المجنية في مداواة الحمية الهندية تقريظاً استنتجنا منه سيرته .

الدكتور امين باشا : جراح جرماني اسمه ادورد شنتزر اختار ان يسمي امينا عندما دخل في خدمة الحكومة المصرية سنة ١٨٧٣ درس الطب في مدرسة برسلو الكبرى المشهورة وتمرن في مستشفيات برلين . عرض خدمته على الحكومة العثمانية فالحق جراحا في معسكر حقي باشا في سورية وقد غادرها بعد وفاة حقي المذكور سنة ١٨٧٦

الطبيب سليمان الخوري : ١٨٣٢م–١٩٠٢م – برع في كثير من المعارف وحصل الطب أولا بنفسه ثم درسه على بعض الاطباء المصريين وفي سنة ١٨٤٩ انفذ الباب العالي طبيباً من قبله لامتحان الاطباء والجراحين والصيادلة في ولايات الاناضول وسورية فلما وصل حمص لم يجد فيها من يحسن التطبيب سوى صاحب الترجمة فأعطاه إجازة بذلك وصدر امر سام من نظارة الداخلية سنة ١٢٩٤ هجرية ١٨٧٦م يعترف به طبيبا قانونيا [1].

---

(١) جاء في المجلد الثامن من المقتطف ص ٧٥١ سنة ١٨٨٤ : الاطباء العثمانيون في سورية : سنت الدولة العلية سنة على كل طبيب قصد معالجة المرضى في بلادها ان يأتي الاستانة ويمتحن في مجلسها الطبي حتى اذا وجدت معارفه كافية في علم الطب وعمله اعطته البراءة السلطانية مؤذنة له بالتطبيب في الممالك المحروسة وقد ذهب الى الاستانة في خلال السنة الماضية سنة ١٨٨٣ كثيرون من الاطباء السوريين الذين درسوا الطب وامتحنوا الامتحان المطلوب فأظهروا من البراعة ما اهلهم لنوال الدبلوما السلطانية وهم الأطباء امين ابو خاطر واسكندر بارودي ، وجرجي باز وابراهيم ثابت وسليم الجر بديني وباخوس الحكيم وخليل خيرالله وسليم داود واسعد سليم ويوسف سليم وابراهيم صايي وابراهيم مطر وانطون نوفل وحبيب كحيل واسكندر مشاقة والفرد بابولاني وقد طبب هؤلاء الثلاثة بدمشق فنتج من ذلك ان الحكومة العثمانية شعرت بنقص الاطباء الرسميين في بلادها فسمحت لكل من تعاطى الطب وتعلم الطب في مدارس اجنبية ان يثبت كفاءته في فحص يقدم الى المجلس الطبي فاذا نجح فيه سمح له بمباشرة مهنة الطب في البلاد العثمانية وعاد طبيباً رسمياً ويبدو ان عدد الذين تقدموا للفحص امام المجلس المذكور لم يكن كافياً لذلك انفذ الباب العالي طبيباً من قبله لامتحان الاطباء والجراحين والصيادلة في ولايات الاناضول وسورية وكان من بين الناجحين في هذا الفحص طبيبنا المترجم .

الشيخ علي شورى: قدم مع ولده الشيخ عبد الرحمن الى دمشق من مصر وكانا طبيبين في حاشية ابراهيم باشا وكان لهما مهارة في الطب القديم على قلة الاطباء في زمنهما. اعقب علي المبحوث عنه ولدين سمى احدهما على اسمه علياً وسمى الثاني يحيى. اشتغل الاول منهما بالطب والنجب ولدين عبد الرحمن ومحمداً اشتغلا بالطب ايضا فتعاطاه علي بقرية كفرسوسة اما عبد الرحمن فاجيز من قصر العيني في القاهرة فمن الاستانة لذلك مارس الطب في دمشق بين سمع الحكومة وبصرها توفي سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٣ م واعقب ثمانية اولاد منهم الدكتور صالح والصيدليان راغب وصادق وقد تخرج الثلاثة المذكورون من مدرستي الطب والصيدلة في الاستانة.

زاهد الشيخ فضلي: توفي سنة ١٣٣٧ هـ ١٩١٨ م هو زاهد بن الطبيب عبد الغني الشيخ فضلي نشأ في حجر والده فتعلم منه الطب ثم درس في مدرسة الطب العسكرية حتى نال رتبة الباشوية وكانت له مهارة بعلم الطب وصنعته اكسبته شهرة واسعة.

ابراهيم مشاقة ١٨٥٠ — ١٩٢٣ : تخرج من كلية الطب الاميركية في بيروت سنة ١٨٧٨ ثم اجيز من الاستانة وتوفي سنة ١٣٤٢ هـ ١٩٢٣ م كان من مشاهير رجال الطب والحكمة ومن اعيان مسيحيي دمشق له شفقة زائدة على الاولاد الصغار وقد اعقب ذرية نجيبة.

اسكندر مشاقة ١٨٥٨ — ١٩٢٤ : من اوائل الاطباء الرسميين في دمشق تخرج من كلية الطب الاميركية في بيروت سنة ١٨٧٧ ثم اجيز من الاستانة توفي سنة ١٩٢٤ م ١٣٤٢ هـ كان من اعيان مسيحيي دمشق واطبائها الأوائل الرسميين المشهورين، اشتغل في جميع فروع الطب، جراحته وامراضه الباطنة وهو من اولاد ميخائيل مشاقة الشهير وشقيق ابراهيم السابق الذكر وكانت تقدر خلقه وعلمه بيوتات دمشق، يميل طبعه لمعالجة الفقراء وقد ترك ذرية نجيبة منهم الكيمياوي الاستاذ سهيل مشاقة.

داوود ابو شعر: تخرج من كلية الطب الاميركية ببيروت سنة ١٨٧٧

وضع كتابا في الطب جاء في تقريظه[1] انه كتاب بديع النسق لازم لجميع القراء على اختلاف طبقاتهم يبحث عن الصحة بعبارة بسيطة واضحة مع نصائح عديدة مؤيدة بدلائل الاختبار واتبعه بنشر مقالات طبية عديدة ثم وضع مع زميله المتخرج من مدرسة الطب الاميركية في بيروت امين ابو خاطر كتابا آخر في الطب سمياه كتاب مغني اللبيب عن الطبيب[2].

عبد النبي قوتلي ١٨٦٧ – ١٩٣٢ : هو عبد النبي بن عبد الوهاب البغدادي الاصل كان من اوائل الاطباء الرسميين المتخرجين من مدرسة الاستانة اشغل وظائف عديدة منها مديرية صحة دمشق وكان طبيباً ممتازاً اشتهر بالخبرة التامة والمعرفة الفائقة ومحبة الناس . وقد اقتدى بسيرته شقيقه **محي الدين القوتلي ١٨٩٤ – ١٩٥٧** فكان من أوائل المتخرجين من المعهد الطبي العربي تمتع بسيرة طيبة في عمليه الرسمي والحر .

الحاج صالح شورى ١٨٦٧ – ١٩٣٣ : تخرج من المكتب الطبي الشاهاني الملكي في الاستانة سنة ١٣١٠ هـ ١٨٩٣ م فكان من أوائل الاطباء الرسميين شغل من المناصب طبابة البلدية[3] فطبابة مدرسة عنبر الإعدادية بدمشق سنة ١٣١٥ هـ فطبابة الحج عام ١٩١١ م فرئاسة اطباء المستشفى العسكري في الحرب العالمية الاولى فالطبابة الشرعية سنة ١٩٢١ وكان له نشاط في الحقل الاجتماعي فاختير في ٣ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ مفتشاً لمأوى العجزة كما صوت له منتخباً ثانوياً[4] عن دمشق .

---

(١) مجلة المقتطف السنة ٨، الجزء ١١ الصادر في آب سنة ١٨٨٤ (٢) مجلة المقتطف ٢ ص ٢٢٥

(٣) أشغل هذا المركز ايضاً الاطباء حبيب قمبشو وميشيل شامندي وفوآد الساطي وعبد النبي القوتلي.

(٤) استقصينا المعلومات الواردة في ترجمة المترجَم من ولده الزميل الدكتور انور شورى ومما أفادنا عنه : أن آل شورى يرتدون في أصلهم الى سنتاي احدى بلاد القطر المصري وان نسبهم يصل الى سبط رسول الله السيد الحسين وأطلعنا على شجرة نسبهم المؤرخة في غرة ذي الحجة سنة ١٣١٢ هـ وأفاد بأن المرحوم الدكتور صالح شورى كان طبيب ناظم باشا والي دمشق الشهير .

حبيب قشيشو ١٨٦٨ - ١٩٣٧ : جاء عنه في سجل المتقاعدين والموظفين انه اجيز من الأستانة والذي نعرفه انه كان من اوائل المتخرجين من كلية الطب اليسوعية، اشغل مراكز حكومية عديدة منها مركز معاون لمدير الصحة ورئيس لأطباء مستشفى الزهري وكان طبيبا محترماً ، مخلصاً لعمله محبوباً من الناس .

علي الساطي[1] ١٨٥٨ - ١٩٣٤ : اجيز من الاستانة مارس الطب ، خاصة فرعه المسمى بالجراحة الصغرى . وهو ينتمي الى عائلة اشتهرت بالطب ولا سيما الجراحة حتى عادت كلمة الساطي في عرف الناس تدل على الجراحة الشائعة حينها وكان له ولد اسمه :

فوآد الساطي ١٨٨١ - ١٩١٦ : زميل لحسن الشاويش الآتي ذكره ورفيقه في الدراسة والتخرج من كلية الطب في الأستانة توفي شاباً بعد ان بدأت تباشير نجاحه في عملية الحكومي والحر .

الحافظ حسن الشاويش ١٨٧١ - ١٩١٠ : هو حسن بن محمود بن حسن الشاويش[2] من عائلة اشتهرت بالتصوف والتجارة نشأ في حجر والده الحافظ محمود آغا الشاويش فرباه تربية دينية ادت الى حفظه القرآن وتوسعه في علم الحديث . وما ان شب حتى ظهرت عنده علائم الرغبة في التوسع بالعلم فقصد مصر ودرس في الأزهر الشريف فكان من خيرة متخرجيه عالماً دينياً وحافظاً مرتلاً ثم تابع دراسته الدينية في دمشق فكان يحضر دروس العلامة المغفور له المحدث الكبير الشيخ بدر الدين الحسني وكثيراً ما كان يفتتحها بعشر من القرآن

---

(١) ينتمي الى بيت اشتهر بالطب في دمشق منهم السيد مصطفى وكان يطبب الناس على مقتضى الطب القديم توفي سنة ١٢٨٢ هـ ١٨٦٥ م . ويرتد اصل هذه العائلة الى طرابلس الغرب حيث مازال فيها على ماروواه احد حفدتها الصيدلي السيد خليل الساطي الوف من بنيها . رحل منها احد بني الساطي الى الأستانة فاقام فيها مدة من الزمن انتقل بعدها الى بعلبك حيث لم تطل إقامته ثم انتقل الى دمشق فاعقب فيها ولدين ، احمد وسعيد اشتهرا بالطب والجراحة مات الاول سنة ١٢٩٢ هـ ١٨٧٤ م وقد أعقب الطبيبين الحاج اديب والحاج مصطفى وقد أعقب الاخير احمد سامي - استاذ الامراض الباطنة في كلية الطب وعميدها السابق وابراهيم الساطي الذي اشتهر بالجراحة ومارس أمراض النساء والولادة وعلمها في كلية الطب ، وكانت على هذه العائلة خدمة طبابة الحج بدمشق .

(٢) خال جامع هذا الكتاب ومؤلفه .

يرتله بصوته الشجي . وقد فتق ذهنه العلم الديني الصحيح فدفعه الى التوسع في العلوم الكونية فقصد الاستانة ودرس في مكتبها الطبي الشاهاني وتخرج منه حوالي سنة ١٩٠٨ فعاد الى دمشق حيث اشتغل بالطب مدة سنة واحدة عاجلته المنية بعدها فتوفي سنة ١٣٢٩ هـ[1] .

اشتهر بين الناس بفضله وعلمه وبأدبه وتواضعه كان متقناً للغات التركية والفارسية والفرنسية كما كان ذا اطلاع واسع على اللغة العربية وفقهها وقد اهله الى اتقانها بيئته العلمية ودراسته في الازهر الشريف .

ولقد قدرت سجاياه الخُلُقية في الاستانة واعجب علماؤها بجمعه بين العلوم الدينية والكونية فأعلوا مكانته وصار الكثيرون من رجال الدولة والدين يتقربون منه لينتفعوا من علمه ويستمعوا الى صوته الرخيم يرتل به القرآن الكريم على القراءات السبع احسن ترتيل وذلك عند افتتاح حلقات الدروس الدينية في جوامع القسطنطينية خاصة في شهر رمضان المبارك .

ويروى عنه انه طُلب يوماً الى الباب العالي وكان ذلك ذريعة رجال الامن فيمن تعطى لهم الأوامر باغراقهم في البحر بعد تكبيلهم بالحديد لكي لاتطفو اجسامهم فوق الماء فصحبهم الى حيث توهم فاذا بهم يدخلونه في السراي الملكية حيث يطلب منه ان يرتل القرآن امام صاحب السيادة والسلطان في ذلك الآن .

مصطفى شوكت بن السيد محمد زكريا ١٨٧٩–١٩٥٦ : ولد في دمشق تخرج من المكتب الطبي العسكري في الاستانة ٢٢ في تشرين الاول سنة ١٣٢١ ١٩٠٥ برتبة رئيس عين في وظائف طبية حكومية في مدن متعددة من مدن

---

(١) توفي شاباً فرثاه عدد من الشعراء من بينهم المرحوم الاستاذ جميل الشطي قال فيه معدداً بعض حسناته محدداً تاريخ وفاته :

اذا تلى احيا بترتيله ... وان بدا أروى بحسن الادب
حتى اذا جاء الى قومه ... بالطب من بعد النوى والنصب
دعاه الى كماله ربه ... فارخوا اجل نجم غرب

الدولة العثمانية ثم عين طبيبا في المستشفى المركزي بدمشق فطبيبا عدليا في حماه فرئيسا لقسم حفظ الصحة العامة في مديرية الصحة العامة فمعاونا لمدير الصحة العام في الحكومة السورية كان يتكلم العربية والتركية والافرنسية اشتهر بين الناس باستقامته وحسن معالجته وطيب سمعته حصل على وسام نوط الشرف السوري من الدرجة الثانية تقديراً لخدماته الجلى وذلك في ١٣ ذي القعدة سنة ١٣٥٤ وشباط ١٩٣٦.

عبد القادر الزهراء ١٨٨٠ - ١٩٥٦ : من اوائل اطباء القرن العشرين العسكريين تخرج من كلية الطب العسكرية في الاستانة اشغل مراكز رفيعة في الدولة العثمانية وفي الحكومة العربية ثم في الجمهورية السورية كما عانى الطبابة الحرة وكان في عمله موفقا متعه بسمعة حسنة وثناء عاطر كان رحمه الله مجداً نشيطاً عمل في الحقل الاجتماعي طول حياته وكان من مؤسسي كليه الطب ومن كبار اطباء الهلال الاحمر السوري ومؤسسيه توفي فجأة سنة ١٩٥٦ .

صادق بن رسلان الطرابشي : توفي سنة ١٣٤٠ هـ ١٩٢١ م احد رجال الطب في الربع الاول من القرن العشرين وربما كان اول الاختصاصيين بامراض الاذن والانف والحنجرة تخرج من كلية الطب في الاستانة واختص في اوربا وكان رضي الاخلاق يميل لتطبيب الفقراء والمساكين اشغل مناصب عديدة مدنية وعسكرية من بينها طبابة الرأس في المستشفى العسكري الذي كان يسمى بالمستشفى المركزي وكان موقعه في مدخل جادة الصالحية .

رشدي العطار ١٨٨٥-١٩٥٥ : هو ابن الشيخ اديب العطار وحفيد العلامة الشيخ بكري العطار. تلقى علومه في المعهد الطبي العثماني بدمشق وتخصص بالامراض النسائية والتوليد . مارس العمل الوظيفي في عام ١٩٠٨ وتدرج في الترقية الى ان اصبح مفتشا صحيا عاما في الحكومة السورية . نال من الاوسمة وسام المجيدي الرابع العثماني ووسام الاستحقاق السوري من الدرجة الثانية .

من انجاله الدكتور اديب العطار الذي سلك مسلك والده وهو اليوم عضو في الهيئة التدريسية في كلية الطب .

محمد فائق العطار ١٨٨٦ - ١٩٥١ : هو شقيق رشدي العطار المذكور ينتميان الى أسرة عريقة بالنسب متأصلة بالعلم ، راسخة بالأدب توفي والده الشيخ أديب سنة ١٣١٦ هـ ولم يزل حدثاً فكفله جده الشيخ بكري علامة بلاد الشام فاخوه الاكبر الشيخ عبد الحميد العطار ولما شب وتعلم ، والتحق بالمكتب الطبي في دمشق وتخرج منه ، شغل وظائف عديدة كان خلالها مثال الطبيب الناجح ، المخلص لعمله ، المحب لوطنه وشعبه كوفيء عليها بمدالية حرب في ١٣٣٣/١٠/٢٩ هـ وبكتب شكر رسمية تبين جده ونشاطه .

أحيل على المعاش سنة ١٩٣٣ فعمل حراً ، وأسس عيادة مركزها عمارة نوفرة كان يفدها الفقراء والمساكين من أنحاء دمشق وغوطتها .. واستمر بعمله هذا حتى لازمه المرض ، واقعده في الفراش ، بعد أن أنهكت قواه وخارت .

حكمت المرادي : من اطباء دمشق في النصف الاول من القرن العشرين وهو من آل المرادي الذين ينتمون في نسبهم الى السيد مراد بن علي النقشبندي البخاري السمرقندي الشهير قدم دمشق سنة ١٠٩٧ وقد انجب بيتهم جماعة من الاعيان والعلماء الاعلام . وقد ظهر منهم الطبيب حكمت المرادي من اطباء هذا القرن وضع كتابا في الطب الشرعي وقد وافته المنية قبل انجاز اجزائه .

صلاح الدين القاسمي[1] ١٣٠٥ هـ ١٨٨٧ م - ١٣٣٤هـ ١٩١٥م : قال فيه محب الدين الخطيب ماملخصه : في مكتب عنبر[2] اكتشفت معادن الخير في امثال صلاح الدين القاسمي وكان معلم العربية فيه شيخا تركيا ارساوه ليعلم العربية في عاصمة العروبة والاسلام التي كان يؤمّها جرير والفرزدق والاخطل ليعرضوا فيها بدائع بيانهم العربي الخالد .

---

(١) ننقل زبدة سيرته عن كتاب نشرته المطبعة السلفية ومكتبتها لصاحبها محب الدين الخطيب سنة ١٩٥٩ عنوانه صلاح الدين القاسمي أتى فيه على ذكر صفحات من تاريخ النهضه العربية في أوائل القرن العشرين .

(٢) عنبر هداسري بنى لنفسه داراً واسمة الارجاء في دمشق على الطراز الشرقي النفيس ، ثم صارت هذه الدار من أملاك الدولة ، فجعلتها مدرسة ثانوية للعاصمة السورية .

كانت العروبة يومئذ عنوانا لمدلول نسيه العرب منذ الف سنة . في هذا الجو نشأ النابغة العبقري صلاح الدين القاسمي برعاية شقيقه الأكبر العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي واخوان له في حلقة نورانية كانت تسمى حلقة الشيخ طاهر الجزائري انتهت بقيام جمعية النهضة العربية سنة ١٣٢٤ وما بعدها كان الدكتور صلاح الدين القاسمي كاتم اسرارها . كانت مهمة جمعية النهضة العربية تعريف شباب العرب المثقفين بعروبتهم يوم استفحل طغيان الشعوبية عند الترك لسحق كل دعوة في بلاد العرب الى اليقظة والحياة وكان صلاح الدين اصغر اعضائها سنا.

دخل كلية الطب بعد دراسة ثانوية تعلم فيها التركية والفارسية والفرنسية ومبادىء العلوم الكونية الى جانب ما كان يتلقى في بيته من الدين وعلوم العربية نال شهادة دكتور في الطب سنة ١٩١٤ ثم كان له نشاط علمي وقومي وادبي تدل على ذلك محاضراته العديدة ومقالاته الكثيرة عن العلم والاجتماع والقومية في الامم وكان من اوائل من نبهوا الى الخطر الصهيوني منذ مايقرب من خمسين سنة كما تناول اسلوب المنفلوطي بالنقد في دراسة طويلة سماها نظرة في النظرات نظم الشعر في صباه المبكر جمع اثاره اخوه المرحوم الدكتور مسلم القاسمي ، وباشراف عمه المرحوم قاسم خير الدين القاسمي ، وقد كان يرى فيه قدوته ومثله الأعلى ولكن المنية عاجلته في سن ازرار الورد ، في السنة التي نال فيها شهادة الطب .

وكان من بين البحوث القومية التي القاها صلاح الدين القاسمي في جمعية النهضة العربية بحث عنوانه التعليم بالعربية قرر فيها ان اصلاح التعليم يقضي اولا ان يكون بالعربية لتعود الى نضرتها الاولى ومما قاله في هذا الصدد: ولقد ثبت بالاختبار ان الرجل اذا أخذ من العلم بنصيب بغير لغة امته فلا يرجى منه — في الاعم الاغلب من احواله — اي خير لقومه ، ولابدع فاللغة من الذرائع الكافلة لتقويم الحياة القومية وليس ادعى لابادة حياة الامة وانزالها منزلة من كتب عليهم ان يكونوا محكومين ابد الدهر ، من السعي وراء إماتة لغتها التي يتفاهم بها ابناؤها .

وكان من بين الدراسات القومية مانشره في العدد ٤٣ من القبس الصادر

في ١٢ محرم ١٣٢٧ و٨ شباط ١٩٠٩ تحت عنوان المسألة العربية ونشأتها وما نشره في المقتبس نفسها في ٢٤ رمضان ١٣٢٩ العدد ٧٨٣ بعنوان الصهيونية والوباء ولعلها اول صيحة انذرت العرب بالبلاء الصهيوني .

اما شعره فقد قال فيه محب الدين الخطيب هي زفرات من الحان روح صلاح الدين ، ورنين من نبضات قلبه ،في زمن الطفولة وبعض سنوات الشباب، وكان في قمطره مجموعات انيقة من شعره احرقها وذرّها في الهواء ليخلص قلبه لعشق القومية العربية وحدها وهو في ظل الداعدائها الشرقيين من طواغيت دولة الترك وكان ينشد في ذلك الموقف .

ستبكي قوافي الشعر ملء جفونها على عربي ضاع بين الأعاجم

ولم يبق من شعره سوى القليل ومن اروعها قصيدة سماها الدمعة اليتيمة نظمها في رثاء شقيقه الاستاذ السيد جمال الدين القاسمي وقد ذكر بعض شعره اخونا المرحوم الاستاذ جميل الشطي[1] قال :

كنت في بستان، صحبة الدكتور صلاح الدين القاسمي نشرب اقداح الشاي سنة ١٣٣٠هـ ١٩١٤م فأنشد يقول :

ياجميلاً تزهو به الحسنـــاء وأديبا تسمو به الأدباء
هات من خالص الشراب ودعني اشرب الكأس والهواء رُخاء
واغنم العيش وهو غض طري فلقد طاب صبحنا والمساء

فأجبته بقولي :

ياصلاحاً ما مثله الصلحاء كل ارض حللت فيها سماء
دام يصفو لك الهوى والهواء وتدارج الأقداح وهي هناء
ان يسوء صبحنا يسر المساء وسيغني عن الغذاء العشاء

توفي هذا النابغة في الحجاز عام ١٣٣٤-١٩١٦ ولقدعاش عبقريا سابقالسنه منذ امسكت انامله القلم ليعبر به عما في نفسه من اخلاص للعرب ولغتهم وعلمهم

(١) مختصر ديوانه المطبوع سنة ١٣٧٤ هـ ، ١٩٥٤ م

وللقومية العربية ودعوة لتأسيس دولة عربية اراد صلاح الدين ان يكون من شهودها كما دلت على ذلك آخر قصائده فادركته المنية فمات في ريعان الشباب عن عشرين عاماً ونيف رحمه الله .

مسلم البارودي ١٩٠٨ — ١٩٤٥ : حصل على شهادة الدكتوراة في الطب بتفوق عام ١٩٣٢ وقد بدأ حياته العملية طبيباً عاملاً في الاقطار العربية كان طبيب محافظة مدينة دمشق الممتازة اعتباراً من صيف ١٩٤١ ، فلما بدأ الفرنسيون يتحرشون بالمواطنين السوريين في شهر ايار ١٩٤٥ تطوع طلاب الجامعة الى جانب قوات الشرطة والدرك التي كانت في خدمة الحكومة الوطنية كما تطوع عدد من الاطباء للعمل في خدمة القوات الوطنية والشعبية وكان في مقدمتهم الدكتور مسلم البارودي . وحين وقع العدوان الفرنسي أصيل يوم الثلاثاء ٢٩ أيار ١٩٤٥ كان الدكتور مسلم البارودي في مقر عمله بالقلعة حيث قام بعمله الانساني خير قيام وأنقذ حياة كثير من الجرحى ثم لم يخرج من القلعة حتى أجلى عنها آخر جريح الى المشافي . وظل يعمل بلا انقطاع من مساء الثلاثاء ٢٩ أيار حتى ضحى يوم الاربعاء ٣٠ أيار ١٩٤٥ فيسعف جرحى الاحياء التي تساقطت عليها القنابل ويوجههم للمشافي وبينما كان يقوم بواجبه الانساني والوطني بالقرب من سراي الحكومة حيث تساقط الجرحى من القوات السورية أصابته رصاصات في مقتل من جسمه .

وقد احتفل طلاب دمشق جميعاً المتطوعون في القوات الوطنية بعد اسبوع من استشهاده بوضع لوحة تذكارية باسمه على نصب تذكاري قائم في ساحة محطة الحجاز بدمشق قريباً من المكان الذي استشهد فيه ، ثم جمّلت بلدية دمشق النصب التذكاري عام ١٩٥٣ ومدت مصلحة مياه عين الفيجة خط المياه الى النصب عام ١٩٥٨ .

هذا وقد أصدر المجلس البلدي بدمشق عام ١٩٥٣ قراراً بتسمية الشارع الممتد من مكان النصب التذكاري في محطة الحجاز الى باب جامعة دمشق باسم شارع الشهيد الدكتور مسلم البارودي .

جميل كبارة ١٩٠٨ - ١٩٤٨: من اطباء الربع الثاني من القرن العشرين تخرج من كلية الطب بدمشق واختص بامراض العيون في مدارس اوروبا وخاصة في فينا وباريس اشتهر بين الناس بدماثة خلقه وادبه وعلمه ونشاطه الاجتماعي . كان من ضحايا الاجهاد في العمل الاجتماعي فقد آلى على نفسه بعد ان كشف اطباء الهلال وجود حوادث من الهيضة في دمشق ان يدير باسم الهلال الاحمر السوري حملة تطعيم السكان ضد الكوليرا في جميع القرى الواقعة على ضفاف بردى منذ نبعه الى مصبه فتحمل في سبيل ذلك من التعب الجسماني ماينوء به عشرات الرجال وتحمل من الاجهاد النفساني ماظهرت آثاره فيه فتوفي مأسوفا على شبابه الغض ونفسه الكريمة وخلقه القويم ونشاطه السليم .

ياسين العجة : من اطباء الربع الثاني في القرن العشرين : تخرج من كلية الطب بدمشق واختص بامراض الرأس وعين في مديرية الصحة يعمل ضمن اختصاصه . توفي في سن الكمال وكان لوفاته حزن عميق في النفوس لما كان يتحلى به من علم وادب وخلق كريم .

ولقد وجد في دمشق خلال النصف الثاني من القرن العشرين اطباء آخرون عديدون بينهم اساتذة في كلية الطب واطباء موظفون او اطباء احرار وافتهم المنية سوف نذكر زبدة عن سيرة حياتهم في ابحاث الباب الذي خصصناه بكلية الطب او في معجم نلحقه بهذا الكتاب ؛ من هؤلاء الاطباء السادة هوردیشانو وابنه كوستي وحسيب بيازيد وسليم عجة وتوفيق ارمين ملكيان وغيرهم من كبار اطباء دمشق [١] .

---

(١) لقد اخذنا بعض المعلومات المتعلقة بسيرة عدد من ترجموا في هذا البحث من دائرة ذاتية المتقاعدين التي يديرها السيد خالد زكريا ومن دائرة السجل العام للموظفين التي يديرها السيد فؤاد المحروس فلهما ولرجال دائرتهما الشكر على ماقدموه من مساعدة قيمة .

الباب الرابع

الطب والاطباء في حلب

في القرون الثلاثة الاخيرة

ان الامم في اعمارها وحياتها تمر بها ادوار النشوء والارتقاء والتكامل كبقية الأحياء ثم تعتورها عوامل الضعف والانحطاط والانهيار .

ولكن الامم خلافاً للافراد لا تضمحل ما بقيت لها المقومات القومية ، والروحية والاجتماعية ، والفكرية ، والسياسية ، والاقتصادية تعمل عملها ، وتجدد فعاليتها وتثير نشاط قواها البناءة ، وتنطلق في سيرها تناضل وتكافح الى ان تعيد سيرتها الاولى رغم قدم الزمن ، واختلاف المحن وتباين الظروف ، وتعود وكأنها وليدة اليوم تعمل ما تستلزمه ضرورات الحياة ، وضرورات النهوض والتقدم ، وتتجاوب عواملها الداخلية مع العوامل الخارجية باندفاع قوى تلك المقومات وحركتها للنمو والبناء والتكامل منتهزة كل فرصة ، والفرص لاتفيد مالم يكن الاستعداد موجوداً والوعي قائماً ، والمحيط صالحاً .

إن هذه الظاهرة الطبيعية هي الاساس لدراسة الامة التي يهم الباحث معرفة حقيقتها ، وتقدمها في سلم النشوء والرقي والحضارة ، سواء أكان ذلك من ناحية الطب والاطباء ، او في نواحيها الاخرى .

---

(١) نثبت هذا البحث كما اتحفنا به صاحب المعالي الدكتور عبد الرحمن الكيالي عضو المجمع العلمي العربي .

ونرى تيسيرا للمعرفة ان نقسم الموضوع الى ثلاثة ادوار :

الدور الاول – دور الانحطاط وجمود الوعي القومي العربي وانهيار الحضارة العربية بما فيها الطب والطبابة ، ويعتبر مبدأه منذ غزو جنكيز خان وابنه هلاكو للامبراطورية العربية ومنها البلاد الشامية ، وهدم العاصمة الكبرى بغداد وما تلاه من غزو تيمورلنك ثم الصليبيين ثم من بعدهم غزو السلطان سليم الاول عام ٩٢٢ هجري اي عام ١٥١٧ م البلاد العربية ، وبقاؤهم مستعمرين لها حتى ظهور ابراهيم باشا المصري وغزوه بلاد الشام والاناضول عام ١٢٤٧ المصادف ١٨٣٢ م .

الدور الثاني – دور الاحتكاك واليقظة العربية ، ويعتبر مبدأه منذ احتلال ابراهيم باشا الى ان زال حكم العثمانيين عن مصر ، والشام ، وبغداد وليبيا ، والجزيرة العربية عام ١٩١٨ ، وزال الاحتلال الفرنسي عن سوريا ولبنان عام ١٩٤٦ المصادف ١٣٣٤ هـ .

الدور الثالث – دور الشغف العلمي واليقظة القومية ، ويعتبر مبدأه من عام ١٩٤٦ حتى عام ١٩٥٩ اي عام ١٣٧٩ هـ .

والذي يتبين من دراسة التاريخ ان شعلة الحضارة العربية لم تنطفىء نارها خلال الدورين الاول والثاني بل كانت تختفي ثم تتقد الى ان جاءت سنة ٩٢٢ هجرية فانطفأت انوارها وتهدمت معالمها ولكن المقومات لم تمت ، وعناصر الحياة الخالدة لم تنمحي ، وفي خلال حكم الاتراك العثمانيين كانت وطأة الخمول والجمود الفكري والانحطاط القومي بلغت اشدها حتى قال مؤرخ حلب الشيخ كامل الغزي المولود عام ١٢٧٠ والمتوفي عام ١٣٥١ في كتابه نهر الذهب مجلد ١ صفحة ١٧٦ : عهدنا منذ ١٢٧٠ ان الاطباء كانوا يداوون المرضى على قوانين الطب القديم ، ثم في حدود ١١٥٥ هجري اي في عام ١٨٤٢ م جاء طبيب انكليزي مع اول بعثة انكليزية سياسية الى حلب ، وبدأ يداوي المرضى وفي عام ١٢٩٨ جاء طبيب الماني اسمه بيشوف وتعاطى الطبابة حسب الاصول الغربية ، وتعلم العربية .

ومن هذا يفهم ان الطب بمعناه العلمي لم يكن موجوداً في ذلك الحين ، وان الاطباء الذين كانوا يمارسون الطب حتى عام ١٢٧٠ هـ تثقفوا بالثقافة الطبية العربية ودرسوها بانفسهم لانفسهم ، واثباتا لذلك يقول الشيخ راغب صاحب تاريخ اعلام النبلاء عن هذا الدور : كان هنالك عدد من الاطباء يطببون الناس في البيمارستان الغوري ، والبيمارستان النوري وفي بيوتهم ، وكان ممن اشتهر اسمهم علاء الدين الأربلي عام ٩٢٦ هجري ، والطبيب محمد سبيخ عام ٩٣٧ ، والطبيب هاشم السروجي عام ٩٤٦ وكان رئيساً لاطباء المستشفى النوري وكحالا ، ثم الطبيب جمال الدين الأتروني عام ٩٧٥ ، وكان رئيس اطباء المستشفى الارغوني ، والطبيب صادق بن هاشم الرومي عام ١٠١٦ ، والطبيب احمد بن ابراهيم الخلاصي عام ١٢٤١ ، والطبيب صالح بن نصرة الله سلوم عام ١٢٤٥ والطبيب الشيخ محمد الطيار الكيالي عام ١٢٧٨ ، وله كتاب مخطوط في علم التشريح .

ولما جاء ابراهيم باشا المصري الى حلب فاتحاً وتم له احتلال البلاد الشامية عام ١٢٤٧ المصادف ١٨٣٢ ميلادي وبقي فيها تسع سنوات بدأ الدور الثاني دور الاحتكاك واليقظة القومية .

وكان الفضل في هذه اليقظة للعلماء والمهندسين ، والاطباء ، والاداريين ، والمتخصصين بالزراعة الذين جلبهم معه ابراهيم باشا فأثروا في افكار الشعب ونبهوا افراده الى ماهم عليه من تأخر وجهل وحاجة للاصلاح والنهوض ، وكان الاطباء يداوون جرحى الجيش ومرضاه ، ويداوون المعلولين من الاهالي ، والمهندسون يبنون الطرق ، والمعابر والجسور والمشافي والثكنات ، كالثكنة الموجودة للآن في حلب ، والثكنة الموجودة داخل القلعة ، والمستشفى الموجود حالياً في محلة الرمضانية المخصص لمرضى الجيش ، والمهندسون الزراعيون اصلحوا اصول الزراعة وانواعها ، والعلماء درّسوا طلاب العلم وشوّقوا الكثيرين للذهاب الى القاهرة ومعاهدها العلمية والدينية .

وبعدما انسحب جيش ابراهيم باشا من البلاد وجاء دور عبد الحميد الثاني

ظهر في البلاد اطباء ولكن كانوا يعدون على الاصابع يمارسون المهنة ، منهم من تخرج من قصر العيني في القاهرة ومنهم من تخرج من الاستانة ومنهم من كان من بقايا الجيش المصري كالحكيم حسين بن علي جد الحاج نوري الحكيم وعائلته، وفي حدود ١٨٦٢ حضر الى حلب المستشرق الامريكاني الدكتور حنا ورثبات وتعاطى مهنة الطب — وكان متعلماً في احدى معاهد امريكا — وبقي فيها مدة خمس سنين ثم سافر الى بيروت واشترك مع الدكتور بوست والدكتور فانديك في تأسيس كلية الطب عام ١٨٦٧ في الكلية السورية الانجيلية وكانوا يدرسون العلوم الطبيعية والعلوم الطبية باللغة العربية .

وكان الدكتور ورثبات في سني وجوده بحلب قد درّس الطب لبعض المتشوقين لطلبه وتحصيله فعلمهم اياه وعلمهم علوماً اخرى كالكيمياء والنباتات والحيوانات ومفردات الطب والاقرباذين والطبيعيات وكان منهم الشيخ محمد فائز الكيالي والسيد بكري زبيدة ، والسيد عبد الله الخلاصي والشيخ محمد الافندي الملقب بالحكيم ، ونصري الحكيم، والشيخ محمود السنكري والياهو حابير ثم تعاطى هؤلاء المهنة الطبية في بيوتهم واتخذوا فيها عياداتهم يعالجون المرضى ويصرفون لهم الادوية فافادوا كثيراً واستفادوا كسب عيشهم وبقي منهم اناس حتى عام ١٩٢٠ .

ودليلاً على أن هؤلاء المطببين الذين عالجوا المرضى وخدموا الطبابة في زمن قلّ فيه وجود الاطباء المأذونين لم يكونوا دجالين ولا جهلة ، اذكر الشهادة الآتية التي كان منحهم اياها الدكتور حنا ورثبات وهي صورة عن النسخة التي لاتزال محفوظة عند الدكتور محمد علي الحكيم حفيد الشيخ محمد الافندي ، وقد كتبت بالعربي ونصها :

(اني أنا المحرر اسمي أدناه أشهد بأن السيد محمد الافندي قرأ علي من الدروس الطبية علم التشريح والفيسيولوجيا والكيمياء وطالع معي ايضاً المواد الطبية ، والاقرباذين ، وعلم النباتات وأشهد ايضاً بأن معرفته العامة بهذه العلوم كانت

حسنة ، حرر في ٢٠ ايلول عام ١٨٦٦) .

ولما ارتقى عبدالحميد الثاني عرش السلطنة العثمانية عام ١٢٩٣ اي عام ١٨٧٤ ميلادي واسس الكلية الطبية الملكية في الآستانة وغيرها من الكليات العالية ، للسياسة والادارة وللحقوق والزراعة والصناعة ، واسس المشافي الحديثة في كل ولاية ، وفتح المدارس الثانوية فيها وظهرت آثار الاصلاحات ، والتنظيمات الشرعية والقضائية في المحاكم ومنها ما كان في حلب نمت يقظة العرب وزاد اتجاه ابنائهم نحو العلم ولكن الاقبال على الطب والتعليم والوظائف لم يكن كما ينتظر لعوامل عديدة ، أهمها وجود المدارس العليا في الاستانة ، واتخاذ اللغة التركية لغة الكتب والتعليم ، ونزعة ابناء العرب الى الهجرة وطلبهم العلم في بلاد الغرب بدلاً من الاستانة .

وفي اثناء هذا الدور من عام ١٨٦٦ الى عام ١٩١٤ لم يكن عدد الاطباء المأذونين عدا من ذكرنا اسماءهم من المطببين بالنسبة الوافرة ، وكان معظمهم من الاطباء الاجانب اذكر منهم الدكتور الايطالي ارتوربوفه حي والدكتور النمساوي جوزيف والدكتور الالماني لورانس .

وكانوا يعالجون الامراض الداخلية ، واما من كان من ابناء البلاد فالدكتور يوسف اسود خريج قصر العيني والدكتور اوغست كوسا خريج فرنسا والطبيب الجراح الدكتور الطونيان خريج احدى كليات امريكا ، والطبيب الجراح الدكتور نافع السباعي خريج كلية الطب في الاستانة ، والطبيب الجراح الدكتور صاموئيل خريج كليات امريكا .

وقد وجد في زمنهم اطباء عسكريون ومدنيون في دوائر الصحة ولكن كانوا موظفين لايسمح لهم بالتداوي خارج اوقاتهم الرسمية .

ومع ما كان من آثار التجدد ، والانشاء ، والتنظيم ، زمن السلطان عبد الحميد ، ورغم وجود كليات الطب في الاستانة وبيروت والقاهرة ودمشق ، ففي عام ١٩١٤ لم يكن عدد الاطباء يزيد عن عشرة في مدينة حلب ، ولا كانت المعاهد

الطبية والمعاهد الرسمية تضم العدد الكبير من ابناء العرب ، ومما يذكره التاريخ ان الكوليرا لما انتشرت في حلب عام ١٣٠٨ اي عام ١٨٩٠ وكثرت الوقوعات والوفيات كانت الحكومة المحلية تسعى وتعمل لتنظيف الهواء ظناً منها أن جراثيم الكوليرا تعيش في الهواء بإجبار السكان على حرق الدمن ـ الزبل ـ حول المدينة في اماكن متعددة ، وامام كل بيت داخل المدينة ، وعلى تبخير البيوت بالقطران والكبريت وطرح الزاج والكلس في المراحيض ورش الجدران بحامض الكاربون .

وفي عام ١٣٠٩ خفّت وطأة الكوليرا في حلب وحارم وانطاكية التي كان معدل الوفيات فيها ١٠٠ شخص في اليوم ثم انتقلت الى عنتاب ، ومرعش وكلس واورفه والاسكندرونة ومن الغرائب التي تروى عن هذا العهد أن حمى التيفوس عندما انتشرت في سجن حلب مات اكثر السجناء ومن تبقى على قيد الحياة نقلتهم الحكومة الى جبل الغزالات بعيداً عن حدود المدينة ووضعتهم تحت الخيام لعدم وجود محجر صحي ولا مستشفى حكومي .

وفي عام ١٣٠٩ وضع الاساس لأول مستشفى وسمي بمستشفى الغرباء ، ثم في عام ١٣٢٠ عادت الهيضة ـ الكوليرا ـ او الهواء الاصفر ، وانتشرت في دمشق ، واقيمت المحاجر الصحية في خان شيخون والهبيط ، وقلعة المضيق ، والحمراء شرقي حماه ، ولكن الوباء تعدى المحاجر وانتقل الى حلب مرة ثانية وتفشى في حماه والجسر ، وادلب وكلس وعنتاب واهلك الكثير من الناس ، ولما عجزت الحكومة عن محاربته بعثت الدولة الى حلب ببعثة المانية برئاسة الدكتور فونسكي لمكافحة الوباء والاعتناء بنظافة البلدة ومعالجة المصابين ولكن الوباء لم يختف الا بعد شهور عديدة .

وبعد عام ١٩١٤ زاد عدد الاطباء المأذونين من الجامعات الطبية عن السنين السابقة ، ولكن لما وقعت الحرب العامة الاولى وسيقت الجيوش الى جبهات الحرب ، واحتاجت الحكومة الى الاطباء والجراحين والصيادلة لم تجد في البلاد

ما يكفيها لمشافيها ، ومراكزها الصحية ، وطوابيرها العسكرية مما يدل على أن المتخرجين من المعاهد الطبية ، لم يكونوا من الكثرة ما يكفي لاملاء المناصب وتولي الوظائف ، ومداواة الجرحى والمرضى ومحاربة الامراض والاوبئة الفتاكة التي انتشرت خلال الحرب في البلاد الشامية والعراق والاناضول واماتت مئات الالوف من السكان والعساكر وكان سببها الاهمال وسوء الادارة وسوء التغذية وقلة الاطباء وقلة المشافي ، وفقدان الادوية واحتشاد الجنود والجيوش في المدارس والجوامع والخانات والمعاهد التدريسية وبين السكان .

ومما اذكره واعرفه ان الوفيات في حماه وحدها في اول عام الحرب ومن تشرين الاول عام ١٩١٤ الى شهر آذار من عام ١٩١٥ بلغت حسب الاحصاء الرسمي في دائرة النفوس مايزيد على احدى عشر الف شخص ، توفوا من الجوع ، والتيفوس ، والهيضة ، والحمى الراجعة ، والملاريا الخبيثة وداء الخفر (السكوربيت).

ولهذا لم تتمكن تركيا حليفة الالمان من الدفاع عن حدودها ولا استطاعت كسب الحرب بل خسرتها وانكسرت جيوشها ، وتمزقت امبراطوريتها ، وانفصلت عنها البلاد العربية ، لان عدد من مات اثناء الحرب من الاهالي والجنود بسبب ما ذكر من الامراض والظلم والجهل فاق اضعاف اضعاف ماقتل واستشهد في ميادين الحرب ، حتى ان سوريا ولبنان فقدا نصف مليون من سكانها .

ومما يذكر في هذا الصدد ان مستشفى الطونيان كان الموجود الوحيد في زمن الحرب فاتخذه الجيش مقراً لاجراء العمليات للضباط والموظفين الكبار لما فيه من اطباء وآلات ومعدات ولما غلبت تركيا ودخل الامير فيصل بجيشه فاتحاً الى سوريا عام ١٩١٩ واتخذ دمشق عاصمة لملكه كان اول عمل عمله تأسيس المجمع العلمي وتعريب لغة الدواوين والمؤسسات الحكومية وانشاء المدارس الثانوية والابتدائية ونشر العلم وجعل التدريس في اللغة العربية ، وبذلك وضع حداً لعهد العثمانيين واستعمارهم وبث روح العروبة في الشعب ، وايقظ الوعي القومي وحبب للقلوب الحرية والاستقلال والكرامة .

ومع أن العهد الفيصلي الجديد لم يدم اكثر من سنتين فان شعلة القومية في سوريا ولبنان وسائر البلاد العربية عادت فأضاءت بنورها على دنيا العرب وهزت النفوس فجعلتها تشعر باليقظة وبلذة العلم والحرية ، واوقدت نار الوطنية والحماس في قلوب اصحابها ، فلما احتل الفرنسيون سوريا ولبنان وارادوا فرض انتدابهم لم تقف الحركة العلمية عن سيرها وتقدمها ، ولا استكانت قوى النضال عن المقاومة والمطالبة بحقوقها وتحررها ، بل برزت الحركة الوطنية للوجود ، واخذت تقوى وتشتد في ميادين الجهاد والتضحية ، يقودها الاحرار المخلصون فأثارت الهمم وجمعت الكلمة ، ووحدت الصف ، وتمكنت من هدم ما كان يبنيه الفرنسيون لبقاءهم وتثبيت اقدامهم ، الى ان توفقت الامة بفضل ثوراتها وقادتها وضحاياها ودوام نضالها ، ان تحرر نفسها ، فما حلت سنة ١٩٤٦ الا والبلاد قد انتقلت وارغمت فرنسا وجيش الانتداب ورجال الانتداب على الرحيل عنها نهائياً ، وتم لها السيادة والاستقلال كما تم بعدها لمصر والاردن والعراق ولبنان وليبيا والمملكة العربية ومراكش وتونس وسيتم لغيرها .

والى هنا ينتهي دور الاحتكاك واليقظة القومية العربية ويبتدىء الدور الثالث دور الشغف العلمي والثقافة القومية .

اما وقد وصلنا الى هذا الدور الهام فقبل ان اذكر ما يجب ؛ عن الاطباء والطب من عام ١٩٤٦ حتى وقتنا الحاضر ، يجدر بي ان اعرف ماهو المقصود من الشغف العلمي عند العرب ، وما هي الثقافة القومية ؟ يقول الاستاذ هوكينغ في كتابه مبادىء السياسة العالمية عند بحثه عن مستقبل الحضارة العربية وعن شغف العرب العلمي الذي كان من ابرز انطلاقتهم الاولى بعد زمن الرسول ، وما كان لهم من فضل على العلم والطب والمدنية .

ان الشغف العلمي الذي امتاز به العرب هو الجوع بذاته ، الجوع الباحث عن العلم وعما وراء الطبيعة التي تنتسب اليها كل الفلسفات ، هو الحضارة بعينها ، التي يتغذى منها الجوع ويهضمها ويمثلها ، هو الانشاء العالمي للحكومة والثروة

الذين يمدان النبوغ والعبقرية والفن، والعقول التي لاحدود لتغيرها في اللانهائية، يمدانها ويضمنان لها الامن والازدهار في السلم والحرب ، هو التعاون المثمر بين مختلف الذهنيات مع سعة العقل العربي وعشقه للحرية والمثل العليا، وتحرره من التعصب والتزمت ، ثم يتابع قوله ومما هو جدير بالذكر ان الشغف العلمي الذي اسميه انا الشعور الديني والشعور الميتافيزيكي ، العامل الوحيد في نمو كل الحضارات هو قوي في البلاد العربية اكثر مما هو في الغرب وامريكا .

واخيراً يختم كلامه بقوله : وسوف نرى عندما تزول اللفحة المحرقة التي اصابت العرب وخدرت نفوسهم ان بقية العناصر كالثروة والشجاعة الفكرية والحرية الفكرية والشروع في العمل ، والبناء السليم الاجتماعي ستعود اليهم ويمكن التعجيل بعودتها بمساعدتها وافساح المجال لسيرهم .

ومن الأدلة على حقيقة قوله وصدق فراسته ما كان من انطلاقة العرب في ثورتهم الاولى وما تركوه للاجيال من تراث علمي شامل وآثار خالدة ، وما ازمعوا ان يفعلوه في عصرنا الحاضر بعد انطلاقتهم الاخيرة . واما الثقافة القومية فهي الثقافة العميقة الواسعة الشاملة للعلم والادب والفن ، الثقافة التي تربط ماضي الامة العربية بحاضرها وتحقق كل ماتتحمله كلمة القومية من مثل ، وفلسفة وفكر ودين ، وروحانية واخلاق ، وتصنيع وتنظيم واستعداد وتعاون واستثمار للقوى ، الى بقية ماتتطلبه الحياة الحرة النامية ، والحضارة البناءة الناهضة والمجتمع التقدمي الضامن للعدالة الاجتماعية ، والخير البشري .

وبعد هذه السطور الوجيزة انتقل الى بيان عدد اطبائنا ، ومشافينا ، وما عندنا من صيدليات ومؤسسات صحية وخاصة من عام ١٩١٤ الى عام ١٩٥٩ ايضاحا للفارق العظيم بين ما كنا عليه في الدورين السابقين وما نحن عليه في الدور الاخير بعد ماتحررت البلاد وقامت دولتنا الجمهورية العربية المتحدة .

ان الثابت من المستندات الرسمية والاحصاءات النقابية ، أن دائرة الصحة بحلب لم تكن موجودة قبل سبعين سنة ، وان عدد الاطباء قبل نصف قرن لم

يزد عن العشرة واليوم اصبح عددهم في المدينة وحدها ١٧٠ طبيبا منهم ١٦٦ من الوطنيين و ٤ من الاجانب .

واما تصنيفهم من حيث المهنة فالذين يعالجون الامراض الداخلية يبلغ عددهم ١٢٨ شخصا والذين يتعاطون الجراحة العامة ١١ ، والمولدون ٦ ، واطباء الامراض الجلدية ٢ ، واطباء العيون ٥ ، واطباء الاطفال ٥ ، واطباء الامراض العصبية ٣ ، واطباء التحليلات البيولوجية والجراثيمية ٤ ، واطباء امراض الصدر ١ ، واطباء امراض القلب ٢ ، واطباء التداوي بالكهرباء والتصوير الكهربائي ٣ . ومع ماذكر عن انواع التخصص فان معظم الاطباء يتعاطون مختلف الامراض الداخلية والخارجية والجراحية الصغيرة والقليل منهم من يتجنب معاطاة ماليس من اختصاصه . ومما يدعو للاعجاب والتقدير ان عدد الممرضات المتعلمات المأذونات يبلغ ١٤٩ ممرضة وفي الاقضية ٢٣ في حين لم يكن هنالك ممرضة مأذونة قبل خمسين سنة .

واما القابلات حاملات شهادة فن القبالة من المعاهد الطبية فعددهن في المدينة ٨٨ وفي الاقضية والنواحي ٢٧ ويوجد غير هذا العدد ممن يتعاطين القبالة بالممارسة ولكن بعد ان فحصتهن دائرة الصحة واجازتهن بالعمل ، وهذا مما خفف كثيراً من عدد الاصابات بالحمى النفاسية والمضاعفات الولادية .

ويستفاد من الوقائع التاريخية ان اول مستشفى اسس في حلب كان في عهد ابراهيم باشا المصري ثم في سنة ١٣٠٨ اسس مستشفى الغرباء ثم قبل الحرب العامة الاولى اسس مستشفى الطونيان واليوم يوجد للحكومة خمسة مشافي واحد للطبابة الداخلية وواحد للجراحة والاصابات الطارئة وواحد لامراض السل وواحد لامراض العقل وواحد للامراض السارية وللحكومة ايضاً محجر صحي و٦ مستوصفات مجانية .

ويوجد للجمعيات الخيرية الاهلية والطائفية ١٣ مستوصفا احدها خصص لمداواة مرض القرعة بالاشعة الكهربائية .

وعدا ماذكر من المستوصفات فيوجد ٣ مراكز اسعافية للحكومة ودار للقطاء و٢٣ مستوصفا في الاقضية والنواحي ومستشفى عظيم حديث للامراض الداخلية والخارجية اسس في مدينة ادلب .

ويوجد لطبابة الاسنان في مدينة حلب ٧٤ طبيبا و ٣٦ صيدليا واربعة مستودعات للادوية .

ومما يحسن الاشارة اليه ان في حلب اربعة مشافي خاصة مجهزة باحسن الجراحين والاطباء والمعدات ووسائل التحليل والتشخيص والتمريض والتجبير والتصوير بالاشعة الكهربائية وهي مستشفى القديس لويز ومستشفى الكلمة ومستشفى الطونيان ومستشفى دار التوليد للجمعية الخيرية النسائية .

ويوجد مشافي اخرى خاصة لايزيد عدد الاسرة في كل منها عن عشرين سريرا منها للتوليد ومنها للجراحة ومنها للامراض العينية ومن هذه المشافي :

مستشفى كلينك للتوليد ومستشفى حلب الاهلي للدكتور فؤاد الزعيم للتوليد والجراحة والتطبيب ، ومستشفى داوود لاربان للتوليد ومستشفى الدكتور اسكندر قسيس للتوليد ومستشفى الدكتور كريكوار للتوليد ومستشفى الدكتور توفيق خاشوالي للجراحة ومستشفى الدكتورين صبحي سباعي وهشام السباعي للجراحة والتطبيب ومستشفى الدكتور احمد الصيرفي للجراحة ومستشفى الدكتور مفيد حسني باشا للجراحة ومستشفى الدكتور روبير جباجيان لامراض العيون وهذه المشافي لايزيد عدد الاسرة فيها عن العشرين .

ويوجد للاطباء نقابة تأسست عام ١٩٤٣ وهي تعمل بجد منذ تأسيسها حتى الان وقد توفقت اخيراً لبناء مقر دائم لها وله منافع عديدة ومخازن وطوابق اربعة ، واحد منها لاعمالها واجتماعاتها والاخرى للايجار ويوجد للصيادلة نقابة ولاطباء الاسنان نقابة وللقابلات نقابة ولاصحاب بيع العقاقير والادوية نقابة ويتولى شؤون البيطرة ومداواة علل الحيوانات والدواجن اربعة اطباء

بيطريين ، واذا سألنا عن مستوى الطبابة العلمي والمستوى الثقافي قلنا ان ذلك يتناسب مع المحيط واطبائه وصيادلته ومؤسساته الخاصة والعامة .

هذا ولما كان الاطباء والصيادلة ليسوا خريجي معاهد طبية واحدة - بل اكثرهم من الجامعة الاميركية ، واليسوعية في بيروت وجامعة دمشق في سوريا ومنهم عدد وافر تخرجوا من معاهد الاستانة ومن معاهد المانيا وفرانسا وانكلترا - فان ثقافتهم الطبية تختلف كثيراً وكذلك ثقافتهم القومية ، وهم في كل حال ارقى علما وارقى مهنة من الذين كانوا يتعاطون الطب في الخمسين سنة الاخيرة من القرن التاسع عشر وما قبله .

ومما لا شك فيه ان الدجالين والجاهلين صنعة الطب قد قل عددهم ونـدر وجودهم الآن ، لكثرة عدد الاطباء والمستوصفات والمشافي ولارتفاع مستوى الشعب ووعيه ولسهر رجال القانون والصحة ورجال النقـابات على استئصالهم ومعـاقبتهم ، فانقطع رزقهم واحجم المرضى عن مراجعتهم ، ولكن هذا في المدينة واما في القرى فمن المؤسف انهم لا يزالون يعالجون المرضى الضعفاء ولا زالت اضرار جهلهم موجودة تسبب المضاعفات وتزيد في الوفيات ، ولمـا كان مستوى الاطباء والطبابة يرتقى مع مستوى ثقـافة الشعب ووعيه وادراكه اهمية حياته وصحته وما لعلم الطب من فوائد وما للطبـابة من وسائل ، وكان من المسلم ان الطبيب يؤثر في محيطه ويتأثر هو من المحيط بحسب قانون الفعل والتفاعل فلكي يتمكن الطبيب من افادة المحيط واصلاحه بعلمه وفنه وشخصيته لابد من وجود معاهد طبية علمية تمده بالمعونة الاستكشافية ويلجأ اليها ليستقي من معين تجاربها وعلمهـا ولا بد من اقامة المشافي وجعل اطباءها ومختبراتها ودراساتها ومعداتها ومبانيها نموذجا لما وصل اليه العلم والفن والمدنية ، ولا بد من نشر التعليم بين جميع افراد الشعب ليزداد وعيه وادراكه ، ويرتفع مستواه الاجتماعي والخلقي ، ولا بد من تدريب المتخرجين من معاهد الطب في المشافي ، والمختبرات قبل خروجهم الى العالم لممارسة مهنتهم ، ولا بد من نشر المجـلات

والابحاث الطبية العلمية عن المشاهدات ، والحوادث والوقوعات والاختبارات الطبية كما كان يفعل اباؤنا وذلك ليتمكن الطبيب أن يفيد المجتمع ويتمكن المجتمع ان يستفيد من الطب والاطباء ولابد من عقد المؤتمرات الطبية والقاء المحاضرات ليتمكن الاطباء من رفع مقاييسهم العلمية واداء واجبهم العلمي والمهني تجاه من ائتمنهم على حياته ومستقبله

ومع التذكر بان العلم ليس وقفاً على أحد ولايخص أمة دون امة فالعالم الحقيقي المخلص من يعمل بوحي الضمير ويأخذ من الناس خير ماعندهم ويعطيهم خير ماعنده ويؤدي واجبه بتواضع ونزاهة وتجرد وحرية وتعاون .

وختاماً لكل ماتقدم انقل ماكتبه الدكتور الاستاذ امين اسعد خير الله في كتابه الطب عند العرب لانه خير مايقال لاطبائنا في العصر الحاضر عن مسؤوليتهم وعن الشغف العلمي والثقافة القومية : ان لكل امة عصرها الذهبي ، ورجالها العظام ، فلاثينا بيركلس وزمنه ، ولروما اوغسطس وعصره ، وللعرب هارون الرشيد والمأمون في بغداد ، وعبد الرحمن الثالث والحكم الثاني في الاندلس و صلاح الدين ونور الدين الزنكي في دمشق والقاهرة وقد نعم العرب بمدينة عمت عالمهم الراقي في العصر الذي كان فيه باقي العالم يتخبط في ظلام الجهل والانحطاط والتعصب ، وكان الطبيب في طليعة رجال العرب الذين ساهموا في هذه المدينة الزاهرة الراقية وكان مثال التسامح العلمي والتساهل الديني وصورة رائعة لثقافة العرب وهم في أوج مجدهم .

★ ★

الباب الخامس

مقتطفات من رسائل قيمة

في تاريخ الطب عند العرب في العصور الحديثة

زودنا بها المؤرخ البحاثة الاستاذ عمر الطيبي

فاتحنا الاستاذ الطيبي بمواضيع كتبنا الباحثة عن الطب والاطباء عند العرب في القرون الاخيرة والعصور الحديثة فاتحفنا برسائل متتابعة نقتطف منها ماهو آت:

جاء في الجزء الثامن الاخير من شذرات الذهب ان **عبد الحليم بن مصلح المنزلاوي** الصوفي المتوفى عام ٩٣١ بنى بيمارستاناً للفقراء، وانه اشتهر في ذلك القرن:

زين الدين عبد القادر الشيخ شمس الدين محمد القويضي الدمشقي: كان طبيباً حاذقاً يذهب الى الفقراء في منازلهم ويعالجهم وربما لم يأخذ شيئاً وقد يعطي الدواء من عنده او يركبه من كيسه توفي عام ٩٤٧.

محمد بن محمد بن حسن بن البَيْلوني الحلبي: كانت له معرفة في الطب توفي سنة ٩٦٣.

فرس الدين حلبي بن ابراهيم بن احمد الحنفي: نعت بالامام العلامة، نشأ في حلب وطلب العلم وجدّ واجتهد حتى بلغ ماقصد وارتحل ماشياً الى دمشق واخذ فيها الطب عن ابن المكي وله مؤلفات، توفي عام ٩٧١ هـ.

ويبدو انه مرت مرحلة من الزمن كان الاطباء فيها يتلقون الطب بالدراسة

كما يتلقى الفقهاء الفقه والحديث والعلوم الدينية اذ ذاك وكانوا يمارسون الطب ويحرزون ثقة المرضى وثقة الرأي العام .

العيل الملقبة بالحكيم : ومعلوم كان في معظم المدن عوائل تلقب بالحكيم نسبة الى ممارسة الطب والاشتهار به وفي دمشق ثلاث عائلات تحمل هذا اللقب عائلة حسن الحكيم وعائلة الدكتور اسعد الحكيم وعائلة الاديب المعروف الاستاذ رشدي الحكيم واذكر ان احد رجال هذه العائلة كانت له صيدلية في باب السريجة امام مدخل التعديل وكان يمارس الطب ايضاً وكان كثيراً ما يعطي العلاج من دكانه وقد تتعهد دكانه الحصول على العلاج الذي يصفه غيره من الاطباء وخالد الحكيم السياسي الحمصي المولد والمنشأ كان والده يطبب . وقد جاء في رسالته المذكورة ايضاً بحث عن الطب والرقية وطب الحلاقين قال فيه :

الطب والحجب : لعب بعض الشيوخ الذين يرقون ويكتبون الحجب والتمائم ، دوراً في الطب فقد كانوا الى جانب التكبيس والقراءة على الماء وكتابة الرقى يصفون غلي بعض النبات ، او يغلونه ويقدمونه للزبائن كشراب يشربونه على اسم الله ، وكان بعضهم يصف كاسات الهواء وقد يقوم باجرائها للمريض ، ويصف له تبديل الهواء واذا لم يستطع كان يصف تبديل الغرفة وخدع اكثرهم الزبائن فأوهموهم ومعظمهم من مرضى النفس بان ما يكتبونه يؤدي ما يطلبه المريض خير اداء وكانوا كثيراً ما يكتبون حجباً للقبول والمحبة ولغير ذلك [1] .

ان كتابة الحجب وغيرها معروفة في الغرب ايضاً ، والاطباء المبشرون

---

(١) ومن الطرائف ان سيدة اعتادت ان تستكتب احد الشيوخ المسمى الشيخ محمد حجبا ، وكان زوجها كثيراً مايظهر لها الود فور اخذ الحجاب . جاءت مرة بحجاب امرها الشيخ محمد ان تضعه تحت مخدة زوجها كما امرها ان تلاطف الزوج فقامت بتنفيذ الامر خير قيام . ارق الزوج يوما بعد ان ضايقه البق فقلب الوسادة ليلتقط البق فعثر على ورقة كتب فيها — يللي بيبسط بيبسط حالو ، ويللي بيزعل بيزعل حالو والشيخ محمد اخذ البيشلي اشترى خبز لعيالو — . استدعى الرجل زوجته واطلعها على الحجاب فاعترفت بانها دفعت بيشلي اجرة كتابة الحجاب فوعدها بان يعطف عليها شريطة ان لا تكتب حجبا بعد الآن والبشلك معناها خمسة وتعني خمسة انصاف قرش صاغ .

يستعملون الكثير من الاوهام التي يستعملها بعض الراقين وكتاب الاحجبة ، ومن الجدير بالذكر ان المشيخة الاسلامية كانت في عام ١٩٠٩ امرت بالحد من الحجب والتعاويذ والرؤى .

الطب والحلاقة : ولعب الحلاقون ايضاً دوراً في التطبيب وبقليل من الجراحة ، ووفق اكثرهم بجراحة بسيطة يبضع فيها الارجل والايدي المصابة المتورمة ، واكثر منها وصف العلق وحمل المرضى على التداوي بما يمص الدماء من فصد وحجم وشطب رؤوس الاطفال المصابين بالقرع واستعمل بعضهم بعد الشطب عصير بعض النباتات او غير ذلك من العقاقير . والحلاقون في الغرب قاموا بمثل هذا العمل ، وكاوت بك مؤسس الكلية الطبية في القصر العيني في مصر كان اجير حلاق على ما يروى . وحتى يومنا هذا يراجع بعض المضطرين الحلاق للفصد والحجامة او لفتح المصرف .

الطب واليهود : وجاء في ـ الرسالة ـ بحث عن اليهود قال فيه : واليهود لعبو دوراً كبيراً في الطب وقد خلالهم جوه ثم جاء الاطباء النصارى من غربيين وشرقيين فازعج ذلك اليهود[1] .

ولقد بلغ حقد اليهود على النصارى الاطباء الى حد قتل الطبيب الدومنيكي في حي اليهود في عهد ابراهيم باشا المصري وكان للمال اثره البالغ في تبرئة المجرمين وإطلاق سراحهم وألفت رسالة في الموضوع طبعتها مجلة المسرة في حريصا اليك ملخصاً عنها ووصفاً لها :

تؤلف الرسالة الوثيقة السابعة من الوثائق المعدة لدرس تاريخ البطريركيات الملكية عنوانها استشهاد ابراهيم امارة في دمشق سنة ١٨٤٠ نقلت عن محضر القضية الاصلي نشرها لأول مرة وعلق عليها الخوري بولس وطبعت في مطبعة القديس بولس في حريصا سنة ١٩٣٧ .

---

(١) ولقد استعمل اليهود جميع الوسائل المنفرة للشعب من اطباء النصارى من ذلك اقوال نشروها بين الناس منها .

ياحكيم النصراني خصرك لوى حكيم وبيفهم بالعشرة وبيعطي دوا

ومما جاء في كلمة الناشر : كنا نشرنا في مجلتنا البطريركية ، في السنتين ١٩٣١ ، ١٩٣٢ محضر استشهاد الاب توما الكبوشي الايطالي ، ذبح أعيان يهود دمشق مع خادمه ابراهيم امارة من طائفة الروم الكاثوليك ، مساء الخميس من شباط سنة ١٩٤٠ ، نزولاً على اشارة حاخامهم الاكبر ، وعلى وصايا تلمودهم ، لاستعمال دمائهم في فطير فصحهم ، وكانت سوريا في آخر عهد الاحتلال المصري ، فتولى شريف باشا ، حاكم دمشق ، التحقيق في هذه الجريمة الدينية الفظيعة بنفسه ، وسار بها بفطنة ودقة نظر ونزاهة كشفت النقاب عن تفاصيلها واسرارها وابطالها مما لا يدع للريب مجالاً ، ويعود بالفخر عليه وعلى المحاكم المؤلفة في ذلك العهد في بلادنا ، وقد نشرنا هذه الوثيقة على حدة ونشرتها ايضاً ، بعد استئذاننا ، الكلية الاميركية ببيروت في مجموعة الوثائق العائدة الى هذا العهد .

ثم قال وغايتنا من هذه النشرة اثبات استشهاد شاب من مواطنينا وخدمة التاريخ الوطني والقيام ببعض الواجب نحو الشهيد ، جعل الله دمه الزكي ودماء جميع الذين قد ذهبوا ويذهبون ضحايا العقائد التلمودية ، فداءو كفارة عن اخوانهم الباقين في هذه الدنيا الفانية ، دار الجهاد ووادي الدموع .

ومما جاء في الرسالة : ان البادري توما الكبوشي قضى نحو ٣٣ سنة بدمشق يتعاطى الطب والتطعيم بالجدري فصار مشهوراً عند جميع الاهالي هناك ، ويوم الاربعاء في ٥ شباط سنة ١٨٤٠ / ٢ ذي الحجة ١٢٥٥ بعد العصر ذهب الى حي اليهود ، ولما رأى خادمه ابراهيم امارة انه قد تأخر عن العودة الى الدير ، ذهب الى حي اليهود قبيل الغروب ليفتش عنه ، وأتى مساء الاربعاء الى الدير الخواجة سنطي الصيدلي في مستشفى دمشق وقرع بابه كثيراً ، فلم يجبه احد فأخبر بذلك رهبان الدير الكبير الفرنسيسكان ، فظن هؤلاء انه متأخر عند بعض المرضى ، وصباح اليوم التالي ٦ شباط جاء اناس مسيحيون باكرا ليصلوا فظنوا ان البادري لايزال نائماً .

وكان السنيور ماري طبيب شريف باشا قد دعا رهبان الديورة الى تناول

الغذاء عنده في ذلك النهار . فلما لم يحضر البادري اخذهم القلق ، وراسوا بعد الغذاء واخبروا بذلك قنصل فرنسا فتوجه الى دير البادري فوجد الحي مملوءاً من كل الطوائف يقولون من فم واحد توجه البادري الى حارة اليهود وفقده لابد حصل هناك مع خادمه فنزل رجل الى الدير وفتح الباب ودخل القنصل ورأى عشاء البادري وخادمه حاضراً لم يمس ، فقويت الشبهة بانهما مقتولان خارج الدير ، وقد أعلم بذلك شريف باشا حاكم دمشق فبعث بفتشين ليفحصوا عن الامر فدلت القرائن لديهم على ان اليهود نفذوا تلك المأساة البربرية . وقد تولى التحقيق في هذه المأساة شريف باشا بنفسه . ثم اتت الرسالة على مقاطع ذات صلة بالطب منها اذا كان حكيم يهودي غير ماهر يجب عليه ان يتعلم بمعالجة بقية الامم لاجل التعليم فقط وحرام عليه ان يعالج احدا من اليهود لكونه غير ماهر بصنعة الطب ، ثم جاء في الرسالة المذكورة بعنوان معلومات شاهد عيان عن تاريخ الدكتور مخائيل مشاقة[1] وبخط يده نقله الاستاذ عيسى المعلوف عن النسخة الاصلية المحفوظة عند ولده المرحوم ابراهيم مشاقة في دمشق :

قاله الدكتور مخائيل مشاقة في هذه الحادثة وكنت من جملة المدعوين لفحص العظام التي عثر عليها فافرزت منها ما تحقق انه عظم انساني ووجدت قطعة من الفك الاعلى ولم يزل عليه خصلة من شعر اللحية . وبعد الفواغ من فحص العظام صار فحص الاقمشة وهي مخزقة لاتعرف ولكنه وجد طربوش اسود من ملابس البادرية ، ثم وجد قطعة من جوخ من ذيل كسوة فعند تأملي فيها لم أشك بأنها من كسوة البادري توما ، ثم وجد قطعة ثانية من الجوخ ذاته من كتف الكسوة ملصق فيها قطعة من أسفل القبع الذي يرفعه البادرية على رؤوسهم باوقات البرد فزاد يقيني بذلك لسبب اذكره : وهو اني قبل فقد البادري باشهر مررت على حانوت جوخي واشتريت منه لزوم الشتاء لعيلتي فعرض علي قطعة جوخ عنده سميكة كاللباد فأخذت منها عشرة اذرع ونصف لزوم

(١) راجع ترجمته ص ١٥ من هذا الكتاب .

سروال وطاكولة — جاكتة — بثمن بخس ، وعند قطعها مر البادري توما وسألني مادا تعمل فأخبرته ، قال : وهذه تناسبني في فصل الشتاء فأخذ الباقي وكان دون الستة اذرع . وسأل البائع هل يوجد عنده غيرها اجابه ولا في دمشق يوجد منها ، فعملها كسوة فوقانية للشتاء . فالقطعتان من الجوخ اللتان وجدتا مع العظام هما من نفس الجوخ المذكور الذي لا يوجد منه في دمشق غير عندي وعند البادري توما .

وقد حكم على عشرة من المتهمين بالقتل لثبوت الجريمة عليهم ، وكان قد تقرر تنفيذ الحكم في هؤلاء العشرة بعد أن يعلنه شريف باشا حاكم سوريا العام ، بيد ان الكونت ده راتي منتون قنصل فرنسا فاز من الحكام بان يحول الحكم الى ابراهيم باشا قائد الجيوش المصرية العام ليصادق عليه . وهذا التأجيل كفى لتخليص المحكوم عليهم من انياب الموت ، فبهذه الفرصة وصل الى الاسكندرية محاميان اوفدهما يهود اوروبا لتخليص بني مذهبهم فطلبا الى محمد علي باشا ان يصدر امره باعادة التحقيق في هذه القضية فرأى الخديوي ان في ذلك تزكية نار الضغائن بين اليهود والنصارى ، فوعدهما بفرمان العفو عن المتهمين ، بيد انهما لفتا نظره الى ان كلمة عفو تعني الجريمة وسألاه أن يطلق سراحهم ويأذن بعود الهاربين منهم فنزل عند طلبهم وحالما تسلم شريف باشا الفرمان اطلق سراح المتهمين وكان ذلك في ٥ ايلول سنة ١٨٤٠ نفسها ويعتقد ناشر الرسالة ان هناك اعتبارات مالية وسياسية حملت محمد علي باشا على خطة التسامح مع هؤلاء المجرمين فقد كان في حاجة شديدة الى المال والى عطف الدول الاوروبية . التي كانت قد انقادت الى مشورة انكلترة بنزع سوريا منه . اما الذين حكموا من المتهمين فقد نزحوا الى القطر المصري هربا من نقمة المسيحيين والمسلمين عليهم .

وقد حاول بعض اليهود قتل الشيخ محمد طه غزال وكان يطبب فنجاه الله منهم . ولقد عرفت دمشق طبيباً يهودياً اسمه الزلطة كانت عيادته في خان

السقالين على تخت الى جانب البحرة والاجرة التي يتقاضاها زلطة [1] . وكان وكان يستدعى الى الدور حتى اشتهر انه استدعي الى دار احد شيوخ العلم وانه اشتبه به الشيخ فحلفه بالكلمات العشر انه لن يغدر به فحلف ووصف للشيخ العلاج وشفي. وكانت دول القهوة على النار الى جانب مكتب الزلطة فيها نبات يغلي والزلطة كثيراً مايصف العلاج وكثيراً مايقدمه من دولة من دول القهوة.

وجاء في تذكرة داود الانطاكي عن الطب واليهود قوله :

توسع فيه — في الطب — الناس حتى تعاطاه اراذل العلم كجهلة اليهود فرذل بهم ولم يشرفوا به وهذا لعمري قول الحكيم الفاضل افلاطون حيث قال : الفضائل تستحيل في النفوس الرذيلة رذائل كما يستحيل الغذاء الصالح في البدن الفاسد الى الفساد .

ثم قال : فاني حين دخلت مصر ورأيت الفقيه الذى هو مرجع الامور الدينية يمشي الى اوضع يهودي للتطبيب به فعزمت على أن اجعله كسائر العلوم يدرس ليستفيد منه الناس .

الطب في البادية : وقد جاء في احدى رسائل الاستاذ الطيبي بحث عن البادية وطبها واطبائها قال فيه :

عرف في بعض البوادي اطباء يتنقلون بين العربان فاذا اصيب بدوي بجراح خيطها الطبيب وبعضهم يقوم بما يكاد يسمى عملية جراحية . وهم يستعملون الكي بالنار .

والطب عند العرب تحدث عنه حافظ وهبة في كتابه عن جزيرة العرب كما تحدث عن عجوز عربية متطببة شفي بدواؤها احد رجالات العرب بعد ان عجز الطبيب الاجنبي عن شفائه ، ومن عادة البدو انهم يفرون من الامراض السارية.

والبادية جيدة الهواء عذبة الماء على الاكثر وهم كثيرو التنقل ولهم فيها

---

(١) وهي كلمة عامية تطلق على (ثلاثين بارة) رائجة والقرش الرائج (٤٠) بارة والصاغ (٥٠) والليرة العثمانية مائة قرش صاغ او (١٣٠) قرشاً رائجا .

رحلة الصيف ورحلة في الشتاء طلباً للدفء وللمرعى ولتبديل الهواء . وفي بعض البلاد العربية مياه حارة جارية يستشفون بها .

وجاء فيها ايضا بحث عن التبشير بالطب قال فيه :

كان التطبيب المجاني وتقديم العلاج بالمجان من اهم عوامل التبشير التي قام بها الغربيون في بلادنا فبينما كانت الحكومة العثمانية تعجز عن حماية الحجاج في طريقهم لاداء الفريضة كانت البلاد من عمان حتى تبوك ومدائن صالح عرضة لغزوات المبشرين باسم الطب ولم يكن في الكرك حكومة وكان لواء الكرك آخر ما احدث في الولاية السورية أما صحراء سيناء فكان يسرح فيها الاجنبي ومبشروه أيضاً. وفي حين لم يكن في حوران طبيب حكومي او غير حكومي كان الانكليز قد انشأوا مستشفى تبشيري في السلط كما انشأ الدنمركيون مستشفى في النبك.

وكانت البعثات الطبية التبشيرية تقوم برحلات منتظمة في اربد وبلاد الكرك ومعان وتقيم في القرية يوماً او اياماً حسب اهميتها وتقدم العلاج مجاناً وتؤدي رسالة التبشير أيضاً وتفتح عملها بالصلاة وقد بلغ تأثيرها ان الكثير من القرويات المسلمات في الكرك وما اليها كن اذ عجن يصلين على العجين .

فصحراء سورية والحجاز ، كانت مسرحاً للمبشرين الاجانب وقد انتبهت الحكومة العثمانية في مطلع هذا القرن الميلادي فعينت واعظين مسلمين ليصلحوا ما افسد المبشرون، والحديث في هذا الموضوع طويل جداً ، وفي المدن صال المبشرون المتطببون وجالوا حتى ان بعثة راهبات مبشرات كانت تطبب مجانا في مدخل سوق القطن من جانب قبر هشام الملاصق لجامع سيدي هشام في سوق مدحت باشا ، على ان الاطباء المتخرجين من المدارس الطبية تبرعوا بالتطبيب بالمجان في كل اسبوع يوماً واحداً للخلاص من اساليب التبشير عن طريق الطب .

ومما جاء في هذه الرسائل ايضاً بحث عن المرأة المتمدنة والطب قال الاستاذ الطيبي ، نشرت الهلال ما يأتي : بروكلين ، اميركا ، الآنسة رفقة حنا .

هل يسمح للنساء الطبيبات بتعاطي مهنتهن في بلاد الدولة العلية وما هو عدد المتعاطيات منهن في الوقت الحاضر وهل من صعوبة في احراز الرخصة الرسمية وهل يقبل عليهن المرضى اذا وجدن في البلاد ؟

الهلال [1]. لا تمنع الدولة العلية الطبيبات (كذا) عن تعاطي مهنتهن في اي قسم كان من بلادها بل تسهل لهن الطريق وتعينهن رسمياً بصفة قوابل في بلديات بعض المدن الكبيرة ، وقد صدر بذلك امر رسمي صرح به الباب العالي في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٢ مفاده انه يسمح للطبيبات الحائزات على الشهادات الطبية بتعاطي الطب بعد عرض شهادتهن على مجلس المكتب الطبي وتقديم الامتحان العادي وليس في ذلك على ما نعلم شيء من الصعوبة .

اما عدد الطبيبات في الوقت الحاضر فهو قليل ولكن بعضهن في المدن الكبيرة كالاستانة العلية يربحن أرباحاً لا تقل عن ارباح الاطباء .

هذا نص ما نشرته الهلال ولعل الآنسة صاحبة السؤال كانت تنوي دراسة الطب او انها كانت من طالبات الطب .

وجاء في رسائله أيضاً تحت عنوان أهي اول طبيبة عربية ؟

قرأت في شهر حزيران عام ١٩٠٥ خبراً عن طبيبة عربية ثم قرأت بعض مقالاتها وهذا خلاصة مادونته عنها؛ الدكتورة نسطاس شاهين بركات السورية الاصل نالت عام ١٩٠٥ م شهادة الدكتوراه من كلية دتروبت باميركا بعد ان درست اربع سنوات متوالية كما نال الشهادة معها سيدة اميركية وعشرة شبان من اميركا وغادرت المدرسة لتتمرن في احد مستشفيات اميركا ثم تعود الى مسقط رأسها في سورية .

وجاء فيها أيضاً بعنوان : الحكومة والطب : كان الاطباء الرسميون اقل

---

(١) الهلال ص ٩٢٩ – ٩٣٠ السنة الخامسة ، الجزء الثالث والعشرون الصادر في اغسطس ١٨٩٧ .

من القليل ومن النادر والشاذ ان يحظى اللواء او القضاء بطبيب رسمي [1] واذكر ان لواء حوران كان يمتد من سعسع [2] حتى حدود السلط لم يكن للطبيب وجود فيه وكان الحلاق يقوم باعمال الطبابة لدى القضاء في اكثر الاحيان وقدوجد فيه منذ اكثر من ستين سنة رجل اسمه تامر افندي كان يقوم بالطبابة فاذا احتاج الى اخراج رصاصة او تشريح كلف بالعمل احد طلاب المدارس الاعدادية في دمشق .

وخلال الحرب العالمية الاولى فقد العلاج لدى الجيش العثماني وقل الاطباء واذكر ان احد الاطباء الملكيين الذين دعوا للخدمة العسكرية كان مسيحياً وهو طبيب بيطري فاستخدم في درعا وكان المرجع لشعبة اخذ العسكر .

واذا كان صرعى الاوبئة والامراض في الدول الغربية في الحرب العالمية الاولى اكثر من صرعى الرصاص فما بالكم بصرعى الاوبئة في الدولة العثمانية .؟!

وللمقارنة بين الجيش العثماني وحالته الصحية والجيش الفرنسي والالماني انقل لكم ما يلي :

قال المسيو دي فراسينه حسن صحة الجنود دليل على قوتها واليك الآن ما يدل على حال الجنود الفرنسيون والالمان من جهة الصحة ففي سنة ١٩٠٢ كان في فرنسا ٤٨٣٢٠٧ جنود توفي منهم ٢٠٦٢ وفي تلك السنة كان في المانيا ٥٤٠٥٤٨ جنود توفي منهم ١٠٨٠ جندياً فيكون معدل الوفيات قريباً ٢ في الالف في الجيش الالماني و ٤ في الالف في الجيش الفرنسي .

---

(١) واذكر ان والدتي – والدة الاستاذ الطبي – مرضت ، في قرية الشيخ سعد وهي بعيدة عن القطار مالايقل عن ساعتين على الماشي راجت المتصرف من اجلها وكان اسمه ابراهيم فوزي باشا وهو من خيرة المتصرفين العثمانيين فاحتار في امر مراجعي وكيف يستطيع بنفوذه الرسمي ان يحضر لها طبيباً ثم استطاع ان يحضر طبيب القطعة العسكرية من السويداء. فانزل المتصرف الطبيب في داره وكان ذلك منذ اكثر من خمس وخمسين سنة .

(٢) القنيطرة بعض من اعماله .

الباب السادس

صلاح اللغة العربية

لتدريس العلوم وتعليم الطب باللغة العربية

عالج هذا الموضوع مؤخراً الدكتور عزة مريدن استاذ علم الادوية وفن المداواة عميد كلية الطب – بجامعة دمشق – في محاضرة ممتازة القاها في دار الحكمة جاء فيها [1]:

سبق لي شرف الوقوف على هذا المنبر غير مرة ، بمناسبة المؤتمرات الطبية العربية وقد حاضرت في موضوعات مختلفة ، كنت القيها باللغة العربية منسجماً بذلك مع طبعي وعروبتي وكنت أجد ، برغم المحاضرات الكثيرة التي كانت تلقى باللغة الاجنبية ، ولاسيما الانكليزية ، أن عدداً غير قليل من الزملاء ، لم يكن يستهجن المحاضرة العربية ، بل كان منهم كثيرون ، يجدون فيها لذة ومتعة ورنة موسيقية عذبة ، حتى لقد تمنى بعضهم ان تكون له القدرة على الاداء بهذه اللغة الحبيبة . ولكم تمنيت في مثل هذا الموقف المبهج ، أن أكون من القادرين على استحضار الارواح ومخاطبتها ، اذن لحاولت مخاطبة الشيخ الرئيس ابن سينا ، والتمست منه عودة الذكرى الى ذلك اليوم الذي أجاب فيه سائله

---

(١) القيت بقاعة المحاضرات في دار الحكمة بالقاهرة مساء يوم السبت الموافق ٢٤ مايو سنة ١٩٥٨ .

المريض ، بلغة الشعر يوم قال :

الله يشفي وينفي مـــا يجيئه ... من الاذى ويعافيه برحمتـــه
اما العلاج فاســـهال يقدمـه ... ختمت آخر أبيـاتي بنســـخته
واللحم يهجره الا الخفيف ولا ... يدني اليـــه شراباً من مـدامته
وليرسل العلق المصاص يرشف من ... دم القـــذال ويغني عن حجامته
هذا العلاج ومن يعمل به سيرى ... اثار خير ويكفى أمـــر علته

قلت — ان الشيخ الرئيس — لو لم تلق اليه اللغة العربية مقاليدها ، ولو لم تطعه في التعبير وحسن الاداء ، لما بلغ به الامر ، ان يصنع أراجيزه الطبية الكثيرة ، أو يجيب المرضى طباً باسلوب الشعراء ، أو أن يقول قصيدته العينية الرائعة في وصف الروح وهي من عيون الشعر تضمنت أقصى مايراود عقل الفيلسوف المفكر من شوق الى معرفة الحقيقة يقول في وصفها جبران خليل جبران قد يجد المطالع فيما نظمه كبار الشعراء الغربيين ، مقاطع متفرقة تذكر بما جاء في قصيدة ابن سيناء[٢]

هذا الشيخ الرئيس لم يكن عربي الاصل — ومع ذلك تتنازع نسبته اليها أمم كثيرة ، فنحن ندعيه منا والينا — ونقيم الدليل على ذلك بقانونه الذي ظل نبراس الاطباء والمريدين طوال ستة قرون ، وبمؤلفاته العربية الكثيرة

---

(٢) ففي روايات شكسبير الخالدة أبيات تشبه بمعناها قول ابن سينا :

وصلت على كره اليك وربما ... كرهت فراقك وهي ذات تفجّع

او في أقوال شيلي ما يماثل :

سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ... ماليس يدرك بالعيـــون الهجّع

أو في تأملات غوته مايضارع :

وتعود عالمـــة بـــكل خفيـــة ... في العالمـــين وخرقها لم يرقـــع

أو فيما قاله براونتغ مايضاهي :

فكأنها برق تألـــق بالحمى ... ثم انطوى فكأنـه لم يلمع

ولكن الشيخ الرئيس قد تقدم هؤلاء جميعاً بقرون عديدة ، ووضع في قصيدة واحدة ماهبط بصورة متقطعة على افكار مختلفة في أزمنة مختلفة .

في الفلسفة والطب والموسيقى ، ويدعيه الايرانيون والاتراك والروس ، ويقيم كل منهم له مهرجاناً ايضاً ، قلت ليس مايحملنا على أن نقول الطب في شعر رقيق مقفى أو في نثر حلو مصفى ، ولا أن نتنكر لهذه اللغة الحبيبة التي كانت وماتزال من أقدر اللغات على الأداء ، ومن أقواها على الاشتقاق والنحت والتصريف ، ومن اغناها في المفردات والصيغ والأوزان ، بل نحن بحاجة الى ان نتكلم بلغتنا الأثيرة — المفضلة — مانحتاج اليه في حياتنا العملية والاجتماعية وهي لعمر الحق أغزر وأنقى وأكرم من أن توصم بالفقر والعجز والتقصير .

وفي مؤتمر الأدباء العرب الثاني المنعقد في أيلول ١٩٥٦ ، قال عميد الادب العربي وعماده ومجدده الدكتور طه حسين : لقد أثبتت اللغة العربية انها لغة طامحة حريصة تسيغ وتهضم كل ماتستطيع أن تلقاه أمامها من أنواع البحث والعلم والحضارة على اختلاف فروعها ، فكل ما كتبه اليونان والرومان أساغته اللغة العربية وحولته الى ثقافة واحدة ، نعم لقد كانت المدنية أول نشأتها يونانية لاتينية كما يرى العالم (تارو) فاقتبسها العرب وترجموا الآثار اليونانية والفارسية والهندية واتقنوا تعلمها ، ولكنه ماتم غير قليل حتى طبعوا هذه الثقافة بطابعهم وأضافوا اليها كثيراً من مبتكراتهم وارائهم ، ذلك أن العرب بعد أن وطدوا دعائم الملك العريض ، أضحى همهم أن يضموا الى عظمة الفتح ، عظمة العلم . يقول لوكلرك لم يكد ينقضي القرن الثامن ، حتى كان العرب قد ملكوا جميع علم اليونانيين وحتى أضافوا اليه الكثير مما ابتكروه أو نقحوه أو جددوه وحتى اجتمع لهم في خزانة قرطبة وحدها زهاء (٦٠٠) الف مجلد ، في مختلف العلوم والفنون واللغة والاداب ، ، فليت شعري كيف استطاع العرب آنذاك ان يملكوا جميع العلوم اليونانية ، والى أي لغة ترجموها ان لم تكن اللغة العربية ؟ وكيف امتلأت بطون هذه الكتب بالعلم ومصطلحاته ؟ وكيف كان يعبر أساطين الطب والرياضيات والكيمياء والفلك عن آرائهم ، وهل عجزت اللغة العربية آنذاك ، عن نقل جميع المصطلحات العلمية أو وضعها أو نحتها أو

تعريبها ويقول لوكلرك ايضا لم يكن العرب نقلة فحسب ، بل ساروا سريعا الى طور التوليد ، وظهر منهم نوابغ في الطب والجراحة كأبي القاسم الزهراوي الذي كان في علمه وفي الجراحة خاصة ، منقطع النظير حتى انتهت اليه رئاسة الجراحة في القرون الوسطى ، ويعد كتابه المصور في الجراحة ، الذي وضع به طرائقه ومبتكراته في الفنون الجراحية ، وفي مختلف الآلات التي صورها أحسن تصوير آية كبرى بين المؤلفات العربية الرائعة .

ولقد انتشرت اللغة العربية في عصر النهضة ، واختارها كثير من العلماء للدراسة والتأليف لتفردها بمزايا كثيرة جعلتها تصلح للتعبير عن المسائل العلمية ، فهي التي جعلت ابن سينا والفارابي والطبري والرازي والطوسي والأهوازي ، وغيرهم كثيرون ، يؤلفون ويدرسون ويعلمون باللغة العربية ، مع انهم جميعاً ليسوا من العرب أصلاً ، ولكننا بتنا نعتبرهم عربا لانهم تثقفوا بلغة العرب وألفوا بلغة العرب وعاشوا ونشروا آرائهم وعلومهم ومصطلحاتهم في بلاد العرب ، أفكان هؤلاء جميعاً يتحولون عن الانتاج بلغاتهم الاصلية السهلة الغنية الجزلة لو كانت اللغة العربية فقيرة ضحلة مجدبة أو لم تكن ينبوعاً ثراً غنياً بالبذل والعطاء وكيف استطاع التراجمة الغربيون مثل جيراردو كريمون وهو من اكبر مترجمي القرن الثاني عشر ان ينقل الى اللاتينية قانون ابن سينا ، وأن ينقل كتاب الجراحة لابي القاسم الزهراوي وأن ينقل غيرها ايضاً ثم تعجز اللغة العربية اليوم التي اخذت عن الأقدمين كل علومهم ، عن نقل العلوم والمصطلحات الحديثة ؟ بل كيف يقر العقل والتاريخ ، امكانية الترجمة من العربية الى اللاتينية ثم ينكر هذه الامكانية المعكوسة ؟ .

ولقد ترجم ريمون داجهن رئيس اساقفة طليطلة رسالة الروح لابن سينا الى الافرنسية ثم أخذ بقية التراجمة ينقلون تراث العرب اليها حتى ترجموا نحواً من ٣٠٠ مجلد وبذلك انتقل علوم العرب الى الغرب ، وقد احصى لوكلرك بين هذه الكتب المترجمة في الطب والجراحة نحواً من ٩٠ مجلداً لكبار الاطباء

والجراحين العرب ، كالرازي وابي القاسم وابن سينا وابن زهر .

يقول الفيلسوف الالماني هومبولد : لم يقتصر العرب على حراسة كنوز المعارف التي عثروا عليها ونقلوها الى لغتهم . بل اضافوا اليها الشيء الكثير ، وفتحوا طرقاً جديدة للبحث في أسرار الطبيعة ، كيف لا وأبو القاسم ، كان اسبق الجراحين الى سد الشرايين النازفة وابتكر طريقة فريدة في تفتيت الحصى في المثانة ، وهو اول من اشار بالبتر عند حدوث الموات ، ولعمري بأية لغة ألف أو درس أو نقل هؤلاء العرب الذي عناهم الفيلسوف الالماني ، ان لم يكن باللغة العربية ، يقول المؤرخ الكبير جرمان من مونبيليه : اننا نشهد لعلماء العرب ، الذين كتبوا في الموضوعات العلمية والطبية ، بمزية الايضاح التام والطريقة التعليمية ، فكان يشهد جرمان وأمثاله بمزايا العرب في تأليفهم وكتبهم وطرائقهم التعليمية ويعتوها بالايضاح التام ، لو لم تكن في الواقع كذلك .

واذا تركنا العلم والطب ، الى الادب والشعر لرأينا كثيراً من فحول الشعراء والكتاب لم يكونوا عرباً ، بل وجدوا في اللغة العربية كل ما يرضيهم للتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم ، فبشار وابو نواس وأبو العتاهية وابن المقفع وسيبويه كلهم كانوا فرساً ، وابن الرومي الشاعر المفلق ، كان أبوه رومياً وكانت امه فارسية ، ومع هذا كله فان هؤلاء جميعاً ، حينما عاشوا في البيئة العربية واختلطوا بها وتثقفوا بلغتها انطلقت من كوامن نفوسهم ، عيون الشعر وروائع الكتابة والادب ، وصنفوا في نحو اللغة وصرفها من القواعد ، ما لا يزال خالداً على الزمان .

ولقد تطورت اللغة العربية وماتزال ، شأنها شأن اللغات كلها ، وهي قد استوعبت ومازالت جميع خلجات النشاط الفكري والنفسي ، وأني لاتحدى أي أديب في العالم ، أو أي لغوي في أي لغة من لغات العالم أن يكون في ادبه أو في لغته ، من يستطيع ان يؤدي بأقصر عبارة وادق اسلوب تضمن شيئاً كثيراً

من العواطف والمشاعر والاحاسيس في سطر واحد بل في بيت واحد من الشعر القصير ، ما أداه الشاعر العربي الرقيق في قوله :

وتلفتت عيني فمذ خفيت عني الديار تلفت القلب

او ما قاله فيلسوف المعرة في احدى قصائده :

خفف الوطء ما أظن أديم الـ أرض الا من هذه الاجساد

وفي كتاب اعجاز القرآن ، للكاتب العربي الكبير المرحوم مصطفى الرافعي ، وصف خلاب لما جاء في تلك الآيات القصيرة من رائع المعاني وكبير القدرة على جليل الوصف وحسن الاداء ، بأقصر اسلوب وارو ع بيان .

تحيا اللغة وتنمو بعلومها ، أكثر مما تحيا وتنمو بآدابها ، ولئن كانت المعاني الادبية التي جاءت على السنة الشعراء والادباء ، القدماء والمحدثين تضمنت معظم عناصر الحياة الحقيقية والخيالية ، فان الادب منظوماً كان أم منثوراً ، قلما يعوّل في نموه وتطوره ، على تناول المصطلحات التي يأتي بها العلم الحديث ، في نواحيه المختلفة ، ولقد تطور العلم في فروعه كافة ونشأت عن هذا التطور وجوه جديدة للقول فيه ، وصفاً وتعريفاً أو شرحاً وتصنيفاً لهذا كان لابد من ان تنمو اللغة وتزداد مفرداتها بوضع هذه المصطلحات العلمية ، وضمّها الى صميم اللغة العربية ، فاللغة العربية ، قد نمت فيما مضى من الزمن ، بالاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب ، أفمن العجيب اليوم ، ان تنمو بعد تطور العلم وبهذه الوسائل نفسها ، ولقد نشر العلامة اللغوي الامير مصطفى الشهابي بحوثا مستفيضة في كتابه عن المصطلحات العلمية ، الذي تضمن المحاضرات التي القاها على طلاب معهد الدراسات العربية فجاءت آراؤه الثمينة في شأن المصطلحات العلمية وكيفية وضعها وتوحيدها ، تحفة رائعة تنير السبيل امام الباحثين والمحققين ، وقد استعرت هنا بعض ما اورده في كتابه ، للتدليل على قيمة لغتنا العربية ، ومقدرتها على القول وحسن الاداء فاذا كان العرب قد اشتقوا من الفلس ومن فعل أفلس ، الذهب فعل ذهّب ، ومن البحر فعل ابحر كما اشتقوا أمطر واثج وهندس

وكثيراً غيرها ، فهل علينا لوم او تثريب اذا قلنا في لغة الطب اليوم ، أفأد وأمعد وأصدر وأكبد وأمثن للمصاب بقلبه او معدته او صدره او كبده او مثانته . وكيف دار على السنتنا اليوم ما اشتققناه من الكهرباء والمغناطيس والبستان فقلنا الكهربة والمغنطة والبستنة ثم لم نجد على اللغة ضيراً في هذا الاشتقاق بل لقد كانت هذه الاشتقاقات خير وسيلة للدلالة على المعاني المشابهة لها باللغات الاجنبية .

ولقد قاس العرب قطر الارض ، وخطوط الطول والعرض ، وابتدعوا علم الجبر واشتغلوا في الكيمياء والطب والفلسفة . وكانت اللغه العربية الحبيبة تملأ الدنيا ايام الامويين والعباسيين ، أيام الوليد والمأمون ، وفي عهود العلماء العرب وغير العرب من المثقفين بعلوم العرب ، فهل وجد العرب وعلماؤهم جميع ذلك الا بلغتهم ، وهل كانوا يتناقشون ويتعلمون ويعلمون الا بهذه اللغة الحبيبة ؟ وهل امتلأت خزانة الكتب العربية حتى اكتظت ، بغير هذه اللغة الاثيرة[1] — وليس بعلم غير الله عدد الكتب التي القيت في نهر دجلة في حملة هولاكو — آخر ايام المستعصم العباسي حتى روى الراوون — وان كان في ذلك شيء من المبالغة — ان مياه دجلة ظلت سوداء اللون خلال ايام واذا كان القرآن العظيم قد نزل بلسان العرب ثم وسعت لغتهم كلام الله وكلام الله اسمى واجل من ان يحصر ويحد[2] : افما تتسع للغة البشر في جميع مرافقهم العلمية والاجتماعية ؟ ويرحم الله شاعر النيل حافظ ابراهيم حينما نظم قصيدته الرائعة في اللغة العربية تنعي حظها بين اهلها :

اقتطف في هذه المناسبة بعض ابياتها :

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ونديت قومي فاحتسبت حياتي

---

(١) التي تؤثر على غيرها وتفضلها .

(٢) ولو أن ما في الارض من شجرة اقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ، ما نفدت كلمات الله .

رموني بعقم في الشباب وليتني عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ولما لم اجد لعرائسي رجالا واكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق اسماء لمخترعات
انا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

الى ان يقول :

أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة وكم عزّ أقوام بعز لغات
ايهجرني قومي عفا الله عنهم الى لغة لم تتصل برواة
فاما حياة تبعث الميت في البلى وتنبت في تلك الرموس رفاتي
واما ممات لا قيامة بعده ممات لعمري لم يقس بممات

واذا كانت العلوم المختلفة ولا سيما الطب ، تدرّس في البلاد الغربية بلغات أهلها ، فكيف نستسيغ هذه الدراسة ، نحن العرب ، بلغة غيرنا من الامم ؟ فني المانيا ، يدرّسون باللغة الالمانية ، وفي فرنسا بالافرنسية ، وفي اليابان باليابانية ، وفي تركيا بالتركية ، وما كانت اللغة في أي يوم من الايام ، الا الدعامة الاقوى في انشاء القوميات والحفاظ عليها ، وما الذي يمنع بعد هذا ان يتقن رواد العلم - ولا سيما في هذا العصر الذي نحن فيه - لغة او لغتين ، ليتصلوا بالعالم الآخر ، بحيث لايفوتهم في اختصاصاتهم شيء من المستحدثات او او مما يقال او يعمل عند الآخرين ، وهذه فرانسا كانت الى عهد ليس ببعيد ، قبلة العالم ، يقصدها روّاد العلم من كل حدب وصوب فلما تضاءلت ثقافتها وهزل انتاجها وأصبحت امة من الدرجة الثانية او الثالثة اتجه العلماء بانظارهم نحو عالم آخر واتجه الفرنسيون انفسهم يغترفون ، بلغة غير لغتهم ، من ينابيع العلم الغنية ، يعوضون بذلك عما اصابهم من هزال الفكر والعلم والانتاج ولم يمنعها هذا وهي تدرّس الطب والعلوم المختلفة بلغتها التي تعتز بها ان تقتني الكتب

والمجلات الانكليزية والالمانية والاميركية ، وان تدرس فيها تطورات العلم ومستحدثاته .

واذا قيل ان كثيراً من الكلمات الاجنبية – ومنها بعض المصطلحات الطبية – نحتاج في ترجمتها الى كلمتين او اكثر ، فليس هذا مما تعاب عليه اللغة العربية ، ففي كل اللغات أشباه لذلك ونظائر ، وفضلا عن هذا فان في اللغة العربية كلمات كثيرة مقتضبة ، تفيد معنى مستقلا ولا تتألف من اكثر من ثلاثة او أربعة حروف ، وتحتاج ترجمتها الى لغة اجنبية ، استعمال ثلاث كلمات او أكثر أحيانا (١) .

والامثلة على ذلك كثيرة في اللغات المختلفة ، وحتى في الشعر وهو من أرفع درجات الادب ، قد يلجأ الكاتب او الأديب او الشاعر الى الاتيان بكلمتين لمعنى قد تؤديه كلمة واحدة ، وذلك اما لضرورة التأكيد ، او لزيادة التنبيه او حرصاً على الافصاح وحسن التعبير او التزاماً للقافية : يقول الشاعر العربي :

ولي كبد مقروحة من يبيعني بها كبداً ليست بذات قروح

فالكبد ذات القروح ، هي نفس الكبد المقروحة ، ومع ذلك فقد ذكر الشاعر كلمتين بدلا من واحدة لاداء المعنى نفسه . وان قال قائل ان بعض الكلمات الموضوعة اشتقاقاً او مجازاً او نحتاً او تعريباً ، لا تنطبق تماماً على المعنى المقصود ، رددناه الى الكثير الكثير مما يجري على السنة الكتاب والادباء والشعراء ، مما لم يكن في الاصل موضوعاً للمعنى المراد منه ، ولكن جريانه على اللسان واستعماله في الكتابة والشعر والخطابة ، جعله في الموضع الذى انتهى اليه ، وهذا هو بعينه ما أصابنا في اول العهد بتأسيس كلية الطب بدمشق

---

(١) فنحن نقول : حديدة ، ويترجمها الافرنسيون بأربع كلمات – un morceau (de fer – وكلمة جئت وهي من ثلاثة حروف يترجمونها بقولهم : (je suis venu) ومثلها ذهبت وأكلت وما أشبه ، وكلمة يعمل يقابلها بالانكليزية : (He is working) وستكتب (You will write) وذهبنا : (we Had gone) .

ولكن كل الكلمات الاصطلاحية الموضوعة ، أضحت في هـذا اليوم ، على كل شفة ولسان ، يفهمها الطبيب وطالب الطب بل وكثير من سواد العامة . واذا كان بعض الشعوبيين ، يأخذون على اللغة العربية ما فيها من الكلمات الدخيلة ، ولا سيما من اللغة الفارسية ، فان هذا لن يضيرها في شيء ابداً ، ففي القرآن العظيم — وهو المرجع الافضل في لغة العرب — غير قليل من الدخيل المعرب كسندس واستبرق وجهنم وغيرها كلمات كثيرة تواتر استعمالها عند المتقدمين فدرجت على ألسنتهم وألسنة المتأخرين دون أن يفطن الى ذلك احد من عامة الناس او خاصتهم ، اللهم الا عند الباحثين في أصل الكلمات والتحقيق فيها ، ومثال ذلك النرجس والديباج والدولاب والدرهم والبريد والديوان ، وقد اشتقت من بعضها أفعال كثيرة الاستعمال كما نقول مثلا : دوّن اشتقاقاً من الديوان . وهكذا فعل الفرنسيون يوم دارت على الالسنة منذ بعض سنين تلك الكلمة الانكليزية التي وضعها الاميركيون وهي كلمة — ستريس — وقد ترجمناها نحن بالشدة [1] .

اما المصطلحات العملية التي استعملها اجدادنا العرب ، ولم تكن معانيها الاصلية تدل على معانيها الاصطلاحية فكثيرة ، منها التشريح الذي نعرف معناه نحن الاطباء بمجرد سماعنا هذه الكلمة ، ولكن التشريح لم يكن من الامور المعروفة عند القحطانيين او العدنانيين من العرب القدماء ، ومع ذلك لم تعجز هذه الكلمة العربية اللطيفة ، عن الدلالة على المعنى المقصود منها كل الدلالة .

لنعد بعد هذا التمهيد الذي كان لابد منه الى تعليم الطب باللغة العربية ، ولننظر هل كان التعليم باللغة الانكليزية اصلا عندنا ، ام هو بدعة استعمارية فرضت علينا فرضاً ، في عصر لم يكن لنا فيه حول ولا طول : يقول الصديق

---

(١) Stress وصرّف الافرنسيون من هذه الكلمة الدخيلة فعلا فقالوا :
— (Stresser) و (Stressant) و (maladie Stressante) وغير ذلك .

العلامة اللغوي الامير مصطفى الشهابي في كتابه عن المصطلحات العلمية ما أنقل بعضه بتصرف :

حينما أسست اول مدرسة طبية في مصر ، كان التدريس فيها باللغة العربية ، وقد ألف في الطب آنذاك كثيرون ، أمثال السادة محمد علي البقلي وكان من مشاهير الجراحين ألف كتاباً نفيساً في الجراحة والسيد محمد الشافعي الذي ألف كتاباً في الامراض الباطنية ومحمد ندى الذي ألف في الحيوان والنبات والكيمياء والفيزياء وغيرها ، وعلي رياض وكان صيدلياً درّس علم الادوية والسموم وألف فيها ، ومحمد الديري الذي صنف في الجراحة والامراض الوبائية وسالم سالم الذي ألف في الطب الباطني ، وغيرهم كثيرون وكان ينتسب هؤلاء جميعاً الى احدى فئتين : فئة البعثات العلمية الى ديار الغرب ، وفئة الذين أتموا دراساتهم من أنفسهم فيها أي انهم كانوا جميعاً ممن درسوا الطب بلغة اجنبية افرنسية او انكليزية ، ومع ذلك فانهم لما عادوا الى مصر ألفوا وصنفوا ما تعلموه باللغة العربية ، وخشية من قيام ضجة او اعتراض حول تعليم الطب باللغة العربية شبه الاعتراض الجزئي الذي نراه في بعض الزملاء اليوم ؛ فقد ألف المرحوم محمد عمر التونسي معجما بالمصطلحات الطبية ، سماه الشذور الذهبية في الالفاظ الطبية ؛ هو على ما أعتقد ، شكل مصغر عن معجم المصطلحات الطبية الذي وضعه أساتذة كلية الطب بدمشق في الآونة الاخيرة ، وأروع من هذا ان الدكتور براون وهو احد الاساتذة الاجانب في كلية الطب ، وجد ان لامناص من تعلّم اللغة العربية لمجاراة القوم ، فتعلمها وألف بها كتباً في الفيزياء والكيمياء . هذه كانت حال دراسة الطب في مصر ، في أول عهده . فلما احتلها الاستعمار الانكليزي عام ١٨٨٢ عصفت سموم الاستعمار البغيضة في رؤوس المستعمرين الطغاة وقرروا اقصاء القوم عن لغتهم وعروبتهم وقوميتهم ، فجعلوا تدريس الطب باللغة الانكليزية وكان ذلك انتكاساً كبيراً اصات اللغة العربية ، اما نحن في دمشق ، وقد

انشأ المعهد الطبي العربي فيها عام ١٩١٩ - وكان يدعى بهذا الاسم قبل ان يصبح كلية - فقد كان هذا الحدث مفاجأة سارة ، واختير أساتذته من أساطين الاطباء آنذاك ، وتشاء الصدفة ان يكون جلّهم ممن درسوا الطب باللغة التركية ، وكان عليهم جميعاً ان ينفذوا برغبة ووطنية مشيئة القومية العربية التي تلزمهم بتعليم الطب بلغة أهل البلاد ، فشمروا عن ساعد الجد ، ونبشوا بطون الكتب القديمة ، ونفذوا الى صميم المعاجم لمختلفة ، وأخذوا يضعون المصطلحات الطبية ، وما هي الا بضع سنين ، حتى كان كل استاذ وضع مؤلفاً في الفرع الذي وسّد أمره اليه ، وحرصوا على استمرار اتصال الطلبة بتطور العلم ، فوضعوا في آخر كل كتاب ، معجماً للمصطلحات الطبية الواردة فيه وما عتم غير قليل ، حتى امتلأت خزانة الكتب بالمؤلفات الطبية ، وزخرت بطونها بالكلمات والمصطلحات المنبوشة والمنحوتة والمشتقة والموضوعة ، ولم نتقعر في اختيار هذه الكلمات والمصطلحات ، بل تساهلنا ماوسعت ذلك قواعد اللغة واصولها في النحت والاشتقاق والتعريب ، وأبقينا الرموز الكيمياوية على حروفها اللاتينية ، كما أبقينا كثيراً من الكلمات على الفاظها العالمية ، التي باتت هي هي في جميع اللغات ، كالهورمون والفيتامين والاوريميا والآليرجيا والغنغرينا والبلاغرا وغيرها من الكلمات التي لاضير في تعريبها مثلما قال المتقدمون ، الجغرافيا والكيمياوالجيولوجيا ، وأعدنا الى صفوف اللغة العربية كثيراً من الكلمات التي أخذها عنا الغربيون او أخذناها عنهم منذ القديم [١] .

واني. مع ذلك لا احب ان اتهم بالتعصب ، واصرح كل الصراحة في قول

---

(١) الوذمة لـ Oedème والادرة لـ - Hydrocèle والقنطرة لـ - Catather والشراب لـ - Sirop وغيرها ، ولكننا نبشنا كثيراً من الكلمات القديمة التي تفيد المعنى المراد منها ، اذكر بعضها على سبيل المثال - لا على سبيل الحصر - العشاوة لـ - Héméralopie والانغار لـ - dentition والبله لـ - idiotie والجدرة لـ - goitre والسفل لـ - Crétinisme والسهاف لـ - Polydypsie والعملقة لـ - gigantisme والدحدحة لـ - Nanisme والعصيدة لـ - athérome وقلنا فيها ايضاً آته روما .

الحق : ان هذا المعجم على عظم المجهود الذي بذل في وضعه ، فان فيه بعض الكلمات التي تحتاج الى اعادة النظر والاصلاح وهذا ما يجب أن يحمل عبئه بعد اليوم ، لجنة عامة دائمة ؛ آن على ما اعتقد ، موعد قيامها وعملها في هذا السبيل عملا جذريا نهائيا. واستميح لنفسي ان استطرد في هذه المناسبة وأقول ان احد اركان هذا المعجم استاذ تلقى دروسه الطبية باللغة الفرنسية في الجامعة اليسوعية ، وهو الدكتور مرشد خاطر ، الذي يعد بحق قطباً كبيراً من اقطاب وضع المصطلحات الطبية باللغة العربية . كما ان عددا غير قليل من الاساتذة الذين ضمتهم كلية الطب الى حظيرتها ، كانوا ممن درسوا الطب باللغة الانكليزية في الجامعات الاميركية او الانكليزية ومع ذلك فقد ألفوا بالعربية كتبا بالفرع الذي يعملون فيه ، تعدّ بحق من افضل الكتب والمؤلفات بغزارة مادتها وسلامة مصطلحاتها وهم الذين لم يكونوا يعملون شيئاً عن اللغة الطبية العربية ، ولا عن المصطلحات العلمية فيها ، قبل انتسابهم الى كلية الطب .

ولقد افاضت اللجنة المؤلفة لتنسيق دراسة الطب في مختلف جامعات الجمهورية العربية المتحدة ، في بحث هذا الامر الخطير وقلّبت فيه وجوه الرأي ، حتى اشبعته بحثا ودرساً وانتهت الى تقرير ما يلي :

١ ــ التقدم بالتوصية لوزارة التربية والتعليم بشأن رفع مستوى دراسة اللغة الاجنبية الاولى للطلاب في المدارس الثانوية .

٢ ــ انشاء دراسة خاصة في كلية الآداب لتدريس اللغة الاجنبية التي يقررها مجلس الجامعات الاعلى لطلاب كليات الطب والصيدلة وطب الاسنان خلال السنوات الثلاث الاولى للدراسة ولا ينقل الطالب الى السنة الثالثة في هذه الكليات ما لم يكن قد ادى بنجاح الامتحانات الخاصة بهذه الدراسة .

٣ ــ تدريس احدى المواد في كل سنة دراسية ، بحسب ما يقرره مجلس الكلية المختص باللغة الاجنبية المقررة وتكون امتحانات هذه المادة باللغة التي درست بها .

٤ – يجب تعريف الطلبة أثناء التدريس النظري والعملي ، بالمواد التي تدرس باللغة العربية ، على جميع المصطلحات الطبية والعلمية باللغة الاجنبية ، ويجب على الطالب في الامتحانات أن يذكر المصطلحات الاجنبية بجانب أسماءها العربية .

وبعد فاني لأتساءل ، ومعاذ الله ان يكون في تساؤلي الا البحث عن الحقيقة ، ومعاذ الله ان يجرؤ الا مكابر جهول على محاولة الانتقاص من الجهود العظيمة التي يبذلها زملاؤنا الاكارم في جامعات مصر – ففيهم جهابذة الطب واعلامه ، وفيهم عباقرة العلم وأفذاذه ، وفيهم الطبيب الخطير والجراح الكبير والعالم النحرير – ولكن التساؤل يظل يجري على الخاطر واللسان : وهو ، هل كان لتعليم الطب باللغة الانكليزية اثر في البحث والكشف والابتكار ، وهل نشأ عن هذه الدراسة باللغة الانكليزية اياها ، طب محلي وطرق جديدة وأبحاث علمية مبتكرة ، نشرت على العالم الطبي هنا وهناك ؟ لست أنكر أبداً فضل الزملاء الاكارم فلقد كنت استشف من خلال البحوث التي كان يقدمها أعلام الطب في هذا البلد العتيد أيام المؤتمرات الطبية ، ما يدل على البحث والكشف والاستقراء وعلى وفرة العلم وواسع الاطلاع ، واني لانحني أمام ذلك اجلالا واكباراً ، ولكني أحب أن أتساءل ايضاً : هل كانت هذه الكشوف والبحوث والابتكارات ، ناجمة عن تعليم الطب باللغة الانكليزية أم كانت بسبب جهد العاملين في مجال البحث والتنقيب ، وما هو دخل اللغة الانكليزية اياها في هذه المجهودات المثمرة ؟ .

ولئن كنت أضع بين يدي هذا الموضوع الخطير . مثل هذا التساؤل ، فلست أعني امكان الاكتفاء بالدراسة العربية ، دون الرجوع الى ما قيل أو كتب في غيرها من اللغات ، وليس ينكر احد فضل التوسع والاطلاع بلغة ثانية ، بل ان الواجب ليقضي على العلماء عامة وعلى الاطباء خاصة ، ان يتقنوا معرفة لغة او لغتين ، حتى تخرج علومهم ومعارفهم ، من افقها الضيق المحدود ،

الى الآفاق العالمية التي يجب أن تكون فيها ، وأحب ان تكون الحدود واضحة جلية ، في الفرق مابين تعلم اللغة الانكليزية او غيرها من اللغات ، وبين التعليم بها في بلد ووطن غير بلدها ووطنها ، فهما امران مستقلان ، ولا رابطة تلزم بالضرورة ، ان يتصل هذان الموضوعان ، ولكن الضرورة القومية ، تفرض علينا فرضاً ان نجعل التدريس في بلادنا بلغتنا ، وان ننشىء ابناءنا واجيالنا على الفخر والاعتزاز بلغتهم وبقدرتها على ابتلاع العلوم واستيعاب الثقافات واني لمؤمن كل الايمان ، بأن العرب الذين اضاعوا بسبب تفرقهم ، مكانتهم وعزتهم واجادهم ، يوم كانوا قبلة الدنيا ومنارة العلم والهدى ، هم اشد ما يكونون حاجة في هذه الايام ، الى الاغتراف من معين الغرب والشرق على السواء ، والعمل على هضم العلم وتطويره والبحث فيه ، حتى لا ينقضي حين طويل من الدهر ، إلا وقد عادت للعرب عزتهم ومكانتهم واجادهم . واذا كان العرب اليوم بحاجة قصوى الى الاستعانة بعلوم الآخرين ، فليس الذنب ذنبهم ، والتاريخ يشهد لهم ، فلقد عاشوا قرونهم الاخيرة ، في ظل الاستعمار والعبودية ، يتخبطون في دياجير الجهل والظلام ، فأصيبت عقولهم بالخمول واصيبت اجسامهم بفقر الدم الذي فقدوا فيه الحديد ، فلما تنبهت عقولهم ، وافاقوا يلمسون كيانهم وينفضون عنهم غبار الذل والجهل والعبودية ، سعوا اول ما سعوا الى النور والحرية والكرامة ، ثم سعوا الى الحديد يستعيدون به غابر قوتهم وماضي عزتهم والقوة مبعث النهضة ، فقد تحالف العصر الذهبي في ماضي العرب مع القوة والمنعة والكرامة ، فكانت نهضتهم الرائعة في العلوم والمعارف ، وسنرى ان التاريخ سيعيد نفسه ، وستعلو مكانة العرب في الارض علمياً وقومياً واجتماعياً ، بل انه سوف يكون لنا باذن الله وفي وقت قريب طب عربي عالمي ، يوم نؤمن بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقنا ، ويوم نؤمن بقدرة لغتنا

على الاحاطة وحسن الأداء ، ويوم يشعر كل واحد منا ، انه انسان لا يعمل لنفسه وحدها ، وانما يعمل لخير الانسانية جمعاء ، ليعيش العالم في أمن ودعة وسلام ، انه مدعو الى ان يعلم مايجري حول الناس جميعاً ، انه مدعو الى ان يعتز ويفخر بما جاء به اجدادنا الأولى ، كانوا منارة الدنيا وكعبة العالم ، وأن يتعلم علم الآخرين في غير تحفظ ولا احتياط ، وان يؤمن بنفسه في غير غرور ولا كبرياء ، وأن يعمل بجد وصمت وهدوء ، وان يعطي من وقته كل يوم ، مايكفي للاتصال بكل مستظرف حديث ، وان يجلس الى أمثاله من الغربيين ، يحدثهم بعلومه وعلومهم وبطرائقه وطرائقهم وبماضيه وماضيهم ، وان يدخل في روعهم انه يعب من الثقافة الحديثة مثل أو اكثر مما يعبون . وليس من البعيد بعد هذا كله ، أن يسعى الينا حثيثاً ذلك اليوم ، الذي نرفع فيه رؤوسنا ونصيح بأعلى صوتنا ، ها إن التاريخ بدأ يعيد سيرته ، وهاهم الغربيون يأتون الينا متعلمين وينهلون من معيننا كما نهل منه اجدادهم ، فنحن اليوم في فجر عهد جديد ، نحيا فيه حياة العزة والإباء ، ويدوّي صوتنا في أرجاء الارض ، فيجب ان ننسجم فيه مع واقعنا ، وأن نمهد منذ اليوم ، لمستقبلنا القوي العزيز باذن الله ، هذا أوان الشد فاشتدي زيم ، نعم لقد آن الأوان ، ان ننفض عنا غبار الخوف والوجل وأن نخطو بقوة وعزيمة ثابتة نحو تدعيم كياننا وقوميتنا ، في حاضرنا وفي مستقبلنا ، بتقديس لغتنا واجلالها ، وجعلها لغة العلم والابتكارات ، لغة الطب والمخترعات ، واذا كان الفضل في وضع الحجر الأساسي لبناء وحدة العرب ، يعود الى العزيزة مصر ، والى شقيقتها سوريا ، وكانت وشائج القومية العربية متصلة أبداً بعز اللغة العربية ومجدها فان الفضل سيكون لها ايضاً في الحفاظ على هذه اللغة العزيزة ، ورحم الله شاعر النيل فلقد تنبأ بهذا حينما قال :

لمصر أم لربوع الشام تنتسب ... هنا العلا وهناك المجد والحسب
وكنان للشرق لا زالت ربوعها ... قلب الهلال عليها خافق يجب
خدران للضاد لم تهتك ستورهما ... ولا تحوّل عن مغناهما الأدب
أم اللغات غداة الفخر أمهما ... وان سألت عن الآباء فالعرب

الباب السابع

تعليم الطب بدمشق

نقدم في هذا الباب فصولاً نبحث فيها عن تأسيس مدرسة الطب بدمشق في عهد العثمانيين فتأسيس المعهد الطبي العربي بدمشق فتحويره الى كلية للطب في نطاق الجامعة السورية ففي جامعة دمشق .

الفصل الأول

تأسيس المدرسة الطبية في العهد العثماني

لقد احتل الاتراك بلاد الشام العربية منذ القرن السادس عشر حتى نهاية الحرب العالمية الاولى واثقلوا كاهل الأمة العربية بطغيانهم وحالوا دون نمو التفكير وتفتح الذهن والبحث العلمي ، وظلت الحالة على هذا النحو الى عام ١٩٠٣ عندما استطاع بعض رجال الفكر العربي ان يقنعوا الحكومة التركية بفتح جامعة عربية ضمن الجامعة العثمانية ، فأصدر في ٢٧ ايلول سنة ١٩٠١ السلطان عبد الحميد امراً بإنشاء مدرسة لتعليم الطب بدمشق فأعد في بناء زيور باشا في الصالحية — وهو اليوم مدرسة تجهيز للبنات — مخابر للكيمياء والطبيعة والتشريح والغرائز وذلك ريثما تتم الابنية المناسبة ، وكانت لغة التدريس فيها اللغة

التركية [1] وقد أم المدرسة في سنتها الاولى اربعون طالباً من دمشق وضواحيها ومن بلاد الاناضول وكانت مدة التدريس ست سنوات، اربع منها في المدرسة والسنتان الاخيرتان بين مدرسة الطب والمستشفى [2] حيث كانت تلقى الدروس السريرية على أسرة المرضى وتطبق على المرضى في المستشفى وعندما تمكن القائمون على ادارة كلية الطب من اقامة بناء لها في حديقة المستشفى نقلوا المخابر الى البناء الجديد .

غير أن الحرب العالمية الاولى حالت دون اتمام خطة توسيع المدرسة وبعد ان دخلت تركيا غمار الحرب العامة ، ترك الاباء اليسوعيون مدرستهم الطبية في بيروت فنقلت مدرسة دمشق اليها وظلت فيها حتى اعلان الهدنة سنة ١٩١٨ عندما تراجع الالمان والعثمانيون الى ابعد من دمشق وعاد الأباء اليسوعيون الى مدرستهم في بيروت ، فانقضت بانسحاب الاتراك حياة مدرسة الطب العثمانية بعد ان استمرت من عام ١٩٠٣ - ١٩١٨ وتخرج منها ١١٠ أطباء و ١٥٢ صيدلياً .

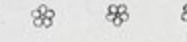

(١) خصص للطلاب درس في انشاء اللغة التركية ليتمكنوا من معرفة كتابة التقارير فيها ، وكان من اساتذة الانشاء السيد عبد الوهاب الانكليزي ، والسيد عبد القادر العظم ، والسيد اسعد بك .

(٢) كان يسمى مستشفى الغرباء فالمستشفى العام واسمه اليوم مستشفى كلية الطب.

الفصل الثاني

المعهد الطبي العربي

لما وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها وتولى الامير فيصل بن الحسين الحكم في سوريا من تشرين الثاني عام ١٩١٨ الى تموز عام ١٩٢٠ ، قام في دمشق جماعة من طلاب المدرسة الطبية القدماء[١] الذين توقفت دراستهم اثناء الحرب ، وعقدوا اجتماعاً قرروا فيه مطالبة الحكومة العربية بفتح المدرسة ثانية وقد سعت نخبة طيبة من رجال الشام الى إقناع الدولة بضرورة اعادة مدرسة الطب بحث في ذلك سنة ١٩١٩ وكان مفكروا هذا البلد ورجال دولتها منقسمين ، فئة تقول بعدم اعادة كلية الطب وفئة تقول بوجوب اعادتها وقد فازت الفكرة الثانية وكان من الداعمين لها الدكتور محمود حمدي رئيس أطباء الجيش العربي والدكتور احمد قدري طبيب الملك فيصل حينها ثم تألفت لجنة مؤسسة[٢] رأسها

---

(١) وفي مقدمتهم السادة يحيى الشماع وحسني سبح وجودت الكيال وكانوا حينها طلاب السنة الاخيرة وكانت الكلمة المأثورة التي رددها الطلاب حينئذ ، الكلية الطبية واجب وجودها ، محتم بقاؤها كما جاءت في خطاب القاه باسم الطلاب السيد يحيى الشماع في جمع استحثت الحكومة فيه على ايجاد المدرسة الطبية باسم المعهد الطبي العربي .

(٢) وكان من بين أعضائها الاطباء الاساتذة أحمد راتب ، طاهر الجزائري ، محمود حمدي حموده ، حكمت المرادي ، سعيد السيوطي ، زخور العازار ، الكيميائي توفيق لطوف كما تدل على ذلك وثيقة اطلعنا عليها بخط المرحوم الدكتور عبد القادر الزهراء .

رئيس ادارة الصحة العامة انذاك الدكتور عبد القادر الزهراء فنجحت في مسعاها وقامت بما عهد اليها به خير قيام [1] .

وكان أخيراً أن افتتح معهد الطب في بناء المستشفى في كانون الثاني عام ١٩١٩ ودعي بالمعهد الطبي العربي ، غير أن ابنية المعهد والمستشفى التي تركت واهملت اثناء الحرب ادركها التصدع والخراب ولم تعد لائقة للسكن ، وكذلك فان ادوات المخابر ومعداتها كانت قد نقلت الى بيروت ولم يبق من المعهد الطبي القديم الا البناء فقط ، فكان الواجب يقضي بتجهيز المعهد بجميع الادوات والمعدات وقد اختير الاستاذ الدكتور رضا سعيد [2] لإدارة المعهد بالنسبة لسابق

---

(١) استنتجنا ذلك من رسالة بعثها الينا بطلب منا الاستاذ الدكتور سعيد السيوطي جاء فيها أن احد اجتماعات اللجنة عقدت في داره وأنه كلف هو والدكتور الزهراء والدكتور حسام الدين ابو السعود بمقابلة الحاكم العسكري والمدني حينها رضا باشا الركابي لإقناعه بضرورة اعادة افتتاح كلية الطب وقد جاء في الرسالة المذكورة قول صاحبها : حينما دخلنا غرفة الحاكم العسكري والمدني وجلسنا امامه عرفني – سعيد السيوطي – بسبب صداقة قديمة بينه وبين والدي وقد طلب مني الكلام فأخبرته عن تشرد تلامذة الطب والصيدلة واحتياج سوريا لتأسيس كلية الطب فيها فقال ومن لا يريد أن يكون له شرف المساهمة بتأسيس كلية الطب ولكن ليس في الموازنة مخصصات . فأجبت ان الاساتذة متبرعون بالتدريس مجاناً هذا العام والمستشفى – مستشفى الغرباء – صالح للتطبيقات فوافق على ذلك وحصلنا على أمر منه بتأسيس الكلية الطبية وقمنا بالتدريس وقد جعلت الحكومة راتب الاستاذ في السنة التالية أي سنة ١٩٢٠ إثنين وثلاثين جنيهاً مصرياً

(٢) وكان المرشح لهذا المنصب احد ثلاثة اطباء الدكتور : رضا سعيد والدكتور عبد الرحمن شهبندر والدكتور محمود حمدي حمودة وسمي الدكتور أمين المعلوف ناظراً للدروس اما الاساتذة فكان منهم سعيد السيوطي . حسام الدين ابو السعود ، صادق طرابيشي ، مرشد خاطر ، عبد القادر راضي ، محمود حمدي حموده ، اديب الجعفري ، سامي الساطي ، ابراهيم الساطي ، جميل الخاني ، ميشيل شمندي ، عبد القادر سري ، مصطفى شوقي ، سعيد شيخ الارض ، منيف العائدي ، الياس المر ، توفيق الدقر ، عبد الله مظهر ، احمد حمدي الخياط ، عبد الرحمن شهبندر ، خيري القتاني ، صدقي ملحس ، صو تراكي ، حبيب بيازيد ، حمدي أمين ، كامل هلال ، علي رضا الجندي ، ومن الصيادلة السادة عبد الوهاب القنواتي وفهمي ابو السعود ، شوكت الجراح . منير المحايري . حصلنا على هذه المعلومات من محاضر جلسات المعهد الاولى وجداول المرتبات .

خبرته في الأمور الادارية وحنكته ومرونته فأخذ على عاتقه تنظيم هذا المعهد بالرغم من العقبات الكثيرة التي واجهها بسبب التقلبات السياسية . وكان عدد الطلاب في السنة الاولى اربعين طالباً عدا الطلاب القدماء من الصفوف الاخرى .

اغتصب الجيش الفرنسي بلاد الشام في ٢٥ تموز ١٩٢٠ فترك البلاد عدد كبير من الاساتذة شغرت مراكزهم لذلك طرحت قضية معهد الطب على بساط البحث من جديد وطالب بعضهم بالغائه قائلين ان لا حاجة لوجود مدرسة طبية في دمشق بينما يوجد في بيروت مدرستان طبيتان . وقد استطاع الدكتور رضا سعيد بما كان له من حنكة ودراية ، لا ان يبقي على حياة المعهد الطبي فحسب بل ان يوفر له الازدهار والنماء والابقاء على التدريس فيه باللغة العربية . والواقع أن اختياره لإدارة المعهد الطبي كان حدثا ذا شأن اذ استطاع بدهائه ومرونته ان يتغلب على جميع الازمات التي تعرض لها المعهد الطبي العربي وكادت تطيح به في مهده ولولا ما تحلى بـه هذا الرجل من خبرة وسعة صدر واخلاص للعمل وحسن تصريف للأمور لتأخر تأسيس المعهد الطبي العربي لا بل الجامعة السورية مدة اقلها ربع قرن وقـد تمكن الدكتور رضـا سعيد من التغلب على نقص الاسـاتذة بأن الف لجنة طبية اختارت اسـاتذة لـكلية الطب فملئت بذلك الامكنة الشاغرة واستطاع ايضاً ان يبقي على لغة المعهد لغة عربية .

وما ان بدأ تدريس الطب في المعهد المذكور باللغة العربية حتى برز في هذه الناحية منذ اللحظات الأولى أسماء ثلاثة أعلام وهم الأساتذة خاطر ـ مرشد ـ خياط ـ حمدي ـ خاني ـ جميل . (١)

---

(١) اكتفينا بذكر هذه الاسماء الثلاثة لانهم اصحاب الفكرة ومنفذوها على انه جاء بعدهم من سار على غرارهم في وضع المصطلحات وبحثها وقد برز في هذه الناحية الاستاذ صلاح الدين الكواكبي واشترك مع خاطر والخياط بوضع معجم المصطلحات الذي يصح أن يعتبر مرجعاً اساسياً في هذا المضمار . على ان الواجب يقضي بالاشارة الى ان جميع اعضاء الهيئة التدريسية في كلية الطب ساهم كل منهم بقدر طاقته في اثبات صلاح اللغة العربية لتدريس العلوم الكونية والطبية ووضع من الالفاظ ماهو داخل في نطاق اختصاصه العلمي .

وقد كان على هؤلاء وزملائهم وتلاميذهم ان يضعوا الالفاظ وينحتوا المصطلحات في وسط معارضة قوية في البلاد العربية أكثرها بريء وبعضها مغرض ينسب الى اللغة العربية العجز عن مسايرة التطور العلمي مما عرّض لغة المعهد لهزات عنيفة تحاكي الهزات التي تعرضت لها حياة المعهد الطبي ، واننا لنقتطف كلمات من مقال كتبه الاستاذ مرشد خاطر مقدمة لمعجم لغوي طبي عربي وضعه الاستاذ فؤاد غصن تبين شدة المعارضة التي لقيها باعثو لغة العرب الطبية .

قال الاستاذ خاطر : مسكينة انت ، لغة الضاد لقد جفاك بنوك وهجروك واساؤا اليك كل الاساءة . نسبوا اليك العجز عن الايداء والتقصير عن الافهام وما انت العاجزة القاصرة وانما هم العاجزون القاصرون . يفاخر بنوك اليوم بتعلمهم لغات الغرب ويباهون بانهم لايحيطون علما بآدابك وليس في اقبالهم على لغات الغرب مايضيرك لو جعلوا ذلك الاقبال واسطة لنقل مافي تلك اللغات من العلوم والفنون اليك . ولكن في رغبتهم عنك ضررا بك وبهم لو كانوا يعلمون . انهم عرب مهما تفرنجوا غير انهم لايحملون من العروبة الا اسمها . اذا نطق احدهم كان في خلال كلماته عجمة وفي جمله مزج سمج بين الفاظك والكلمات الاعجمية او كتب آخر مقالة كانت كتابته مرتدية تلك الحلة التي لم ترتدها العربية ابداً . او سئل احدهم البحث في موضوع علمي او في فن من الفنون اعتذر بقوله انه لايجد في معجماتك الضخمة وموسوعاتك الجامعة ما يكفيه للتعبير عن افكاره المفككة . اجل لقد عقك بنوك واقبلوا على سواك فاذا نشأ من بنيك من تستفزه الحمية للسير بك في طريق العلم الشاق قامت امامه من ابنائك انفسهم العقبات الجمة والعراقيل التي يصعب التغلب عليها .

نظرة واحدة الى الغرب ونهضة ابنائه ومحبتهم للغاتهم ونظرة اخرى الى البلدان العربية وميل ابنائها عنها كافيتان لاقناع القارىء ان اللغة لاتحيا الا ببنيها .

ولقد رأت كلية الطب انه لابد من اصدار مجلة طبية عربية تدعم اللغة[1] وقد تم ذلك سنة ١٩٢٤ وحددت أهداف المجلة بأربع غايات :

اولاها خدمة اللغة العربية الشريفة .

ثانيها احياؤها بعد ان أصاب هذه اللغة العزيزة من الهوان ما أصاب العرب أنفسهم بعد ان دالت دولتهم وانحلت عرى قوميتهم وصمت علماؤهم فنامت لغتهم نومها العميق عن العلم قروناً عديدة واذا هي الآن بعد ان افاقت من سباتها ترى وادياً عميقاً يفصل بين جبل العلم القديم الذي ركزت في أعلى قمته علمها وبين جبل العلم الحديث الأشم الذي قام يناطح السماء بذروته . وقد عانى أبناؤها الحاضرون التعب الشديد في وصل العلم القديم بالحديث ونحت أوضاع جديدة لمسميات لايحصرها عد أوجدها العلم الحديث ولم تكن معروفة قبله .

وثالثها خدمة الطب والأطباء في البلاد العربية .

ورابعها خدمة الشعب اذ يجد الباحث في بعض مقالات المجلة لذة لعقله وفائدة لصحته لأنها لم تقتصر في ابحاثها على الطب والصيدلة فحسب بل تتناول ايضاً الموضوعات الصحية التي يسهل فهمها وتعم فائدتها .

وما أن برزت مجلة المعهد الطبي للوجود وعهد برئاسة تحريرها وادارة امورها الى الاستاذ مرشد خاطر ، حتى بدت صلة اتصال بين الغرب والشرق تنقل الى البلاد العربية كل مستحدث في البلاد الغربية ويدون فيها أساتذة المعهد الطبي مشاهداتهم التي تنشر بعضها في مجلات الطب الغربية . وقد بلغت هذه المجلة مقاماً رفيعاً في عالم الصحافة والطب بفضل أبحاثها القيمة عن اللغة والطب واخذ بعد ذلك اللغويون في العالم العربي وفي مقدمتهم اعضاء الهيئة التدريسية يعملون جادين في انتقاء

---

(١) كان قبل ذلك الاستاذ سعيد السيوطي في سنة ١٩١٩ يشرف على مجلة اصدرتها دائرة الصحة سميت مجلة الصحة العمومية لم ينشر منها الا اعداد قليلة وكانت تضم مقالات لاساتذة المدرسة الطبية العربية .

الالفاظ والمصطلحات الجديدة مكابدين في ذلك عناء زائداً معيدين النظر في الكلمات التي وضعها كبار المدرسين العرب في المدارس الطبية العثمانية مخلصيها من الشوائب التي الحقها بها المدرسون الاتراك بقواعد الاضافة والنسبة التركية التي شوهتها تشويها اضاع معالمها ومعانيها ، مقرين ما صح من الالفاظ التي وضعها اساتذة قصر العيني والكلية الاميركية يوم كانوا يدرسون باللغة العربية . ومن الواجب ان يؤتى على ذكر فطاحل من علماء اللغة ساهموا في ايجاد لغة الطب امثال الاستاذ محمود عبد الحق والاب الكرملي والدكتور امين معلوف والدكتور شرف وغيرهم بما نشروه في مجلات المقتطف او المعهد الطبي او لغة العرب وغيرها ثم دخلت لغة الطب والعلم اليوم في دور تمحيص وتدقيق وبت بفضل المؤتمرات الطبية العربية التي تعقد في كل عام وبفضل المجمع اللغوي في مصر .

وبدأ الاساتذة ينشرون تعاليمهم باللغة العربية ويدونونها في مؤلفات خاصة لاقت استحساناً كبيراً والحق يقال ان رجال المعهد الطبي العربي بمجلتهم ومحاضراتهم ومؤلفاتهم ومقالاتهم قاموا بنهضة لغوية تبعها انتصار للغة العربية في عالم العرب وبلاده الشاسعة .

وقد سارت باقي الكليات التي انشئت بعد كلية الطب ـ المعهد الطبي ـ على غرارها فانتقوا الالفاظ ووضعوا المصطلحات وألفوا الكتب وأصدروا المجلات حتى عادت جامعة دمشق ـ الجامعة السورية سابقاً ـ خليقة بأن تنعت بباعثة اللغة العلمية في البلاد العربية .

لقد كان الباعث الوحيد لتضحية هؤلاء المصلحين في الجامعة السورية ولاسيما في كليتها الطبية حب خدمة اللغة واحياؤها ، ذلك الباعث الذي حملهم على متابعة الجد ومواصلة البحث ليل نهار لا يكلّون ولا يملون يخرجون من ثمرة الاجداد ما يكفل لهم تأمين حاجاتهم اللغوية على الوجه الذي يرتضيه كل من تذوق اللغة واطلع على وقائعها وعمق النظر في أسرارها ، ذلك الوجه الذي يجب ان يسعى إليه ويبتغيه ولا يحيد عنه كل عربي مثقف .

البحث الأوّل

التعليم السريري في مدرسة الطب العربية ومعهده وكليته

نذكر في هذا البحث تاريخ تدريس العلوم السريرية :

أ ـ الامراض الباطنة : كان يطلق عليهم اسم شعبة الامراض الداخلية . ولقد اشرف عليها واشترك بالتدريس فيها الاساتذة الاطباء السادة احمد سامي الساطي ، اديب الجعفري ، حسني سبح ، ترابو ، عزة مريدن ، بشير عظمة ، مدني الحيمي ، موفق المالكي وقد قسمت اليوم قسمين ، قسم الامراض الباطنة العامة وقسم الامراض الخاصة .

يرأس قسم الامراض الباطنة العامة اليوم الدكتور الاستاذ موفق المالكي ويعمل معه فيه المدرس الدكتور محمود سعده .

يرأس قسم الامراض الباطنة الخاصة الدكتور الاستاذ مدني الحيمي ويعمل معه فيه الاستاذ المساعد الدكتور فيصل الصباغ والمدرس الدكتور السيد موسى رزق . وقد ادخلت الامراض الجلدية والتناسلية في قسم الامراض الباطنية الخاصة ويعمل فيها الاستاذ ذو كرسي الدكتور حنين سياج والمعيد الدكتور مأمون الجلاد . وبما ان الاستاذ الدكتور حسني سبح رافق شعبة الامراض الباطنة منذ اسس المعهد الطبي العربي حتى الآن رجوناه ان يكتب لنا لمحة عن تاريخها فقال :

---

(١) كانت تسمى شعبة الامراض الباطنة وكان يدرس فيها في العهد العثماني استاذ سريري مختص بالطب الداخلي في المانيا يدعى اورخان عبدي .

لقد كان المعهد الطبي العربي وما زال المعهد الوحيد في سائر الاقطار العربية الذي استخدم اللغة برباطة جأش وطول أناة إذ أنه منذ تأسس عربي اللغة والروح حتى الآن ما برح يخدم اللغة بين نبش المصطلحات القديمة التي أخفى عليها الدهر ، الى تعريب الالفاظ العلمية التي لم يعرفها العرب ، الى النحت والاشتقاق وغير ذلك من الجهود الشاقة التي تتطلب في الأفراد توقد الهمم وشد العزائم .

وان الانسان ليجذل حينما يرى ان هذه النهضة المباركة اخذت بها فروع الجامعة الاخرى وسارت في هذا المضمار شوطاً بعيداً . فاذا عرفنا أنه ما من نهضة موطدة الاسس تسير تبعاً لناموس النشوء والارتقاء إلا وكان للغة فيها الاثر الكبير ، وعرفنا أن النهضة اللغوية العلمية في البلاد العربية قامت على رجال المعهد الطبي العربي أدركنا الخدمة العظيمة التي أسداها رجاله لسورية خاصة والعالم العربي عامة .

وقد أضافت الكلية الطبية في سورية الى خدماتها للغة الضاد خدمة كبرى بنقل القاموس الطبي الذي وضعه الدكتور كلارفيل الى اللغة العربية وقد عهد بهذه الترجمة الى الاساتذة مرشد خاطر واحمد حمدي الخياط وصلاح الدين الكواكبي . وقد ضم هذا القاموس بين دفتيه معظم المصطلحات الطبية والعلمية التي وضعها اساتذة كلية الطب بدمشق فأصبح مرجعاً يعود اليه كل طبيب عربي . هذا من ناحية اللغة فقط واذا أضفنا الى ذلك تزويد المعهد الطبي العربي البلاد العربية بالاطباء والصيادلة أدركنا عمق الهوة السحيقة التي ملأها المعهد الطبي بجهود أساتذته والعاملين فيه ولا يسع الباحث في هذا الصدد إلا أن يرى في تسمية احد الشوارع الموصلة الى الجامعة بشارع رضا سعيد عملاً فرضه اخلاص هذا الرجل الكبير وصحبه للعلم واللغة والجامعة مما حمل حتى مناهضيه على الاعتراف بفضله وعظيم حنكته وفائق مرونته التي لولاها لما كان في دمشق جامعة أو لتأخر ايجادها حقبة من الزمن .

تعود بي الذكرى في تكوّن شعبة الامراض الداخلية او الامراض الباطنة كما تدعى الآن ونشوئها الى سنة ١٩١٩ غداة نلت اجازتي في الطب واخترت الاختصاص بهذا الفرع وشرعت بالملازمة فيه بصفة معاون ثم مساعد الى ان القيت مقاليد امور الشعبة الي ، فكان لي الاشراف عليها اذ عينت استاذا لها سنة ١٩٣٢ ، وبديهي ان تسلك الشعبة في هذه الحقبة من الزمن سبيل النمو والارتقاء بقدر مايسمح به ماخصص بها من مال قليل ، وان تبلغ مابلغته في الآونة الاخيرة من توسع متطلعة الى مستقبل افضل ترتقي فيه الى درجة الكمال ان شاء الله . فعندما اعيد افتتاح كلية الطب سنة ١٩١٩ وقد عرفت آنذاك بالمدرسة الطبية العربية ، لم يكن في شعبة الامراض الباطنة سوى استاذ واحد وعدد السرر المخصصة للرجال والنساء بل والاطفال ايضا لم يكن يتخطى الخمسين ، مع العلم ان مستشفى الكلية كان المستشفى الوحيد ملاذ سكان دمشق وضواحيها ان لم اقل الاجزاء الاخرى من الدولة السورية ، وسرعان ماعرف المستشفى المذكور بالمستشفى العام بعد ان عرف مدة غير قصيرة بمستشفى الغرباء ، وما لازم هذه التسمية من سمعة لاتوحي بالثقة انتقلت اليه من العهد العثماني ، وطبيعي ان لايكون نزع تلك السمعة بالامر الهين لاسيما وان زبائنه المستشفين فيه كانوا طبقة خاصة درجوا على ان لايرتادوه الا قبيل النفس الاخير ، بعد استفحال امر ما اصابهم من علة استنفذت كل وسيلة خطرت على بال ذويهم ومن حولهم من متطببين ومشاورين ممن يزعمون الخبرة ، دع الدجالين الذين كثر عددهم مع قلة الاطباء المجازين في تلك الآونة .

ولم يكن تشخيص الامراض يستند بادىء ذي بدء الا الى الظواهر السريرية وما ان تم تجهيز مخبري الجراثيم والكيمياء في المعهد الطبي العربي حتى شرع بارسال المواد الى المخبرين المذكورين ، وبدأت منذ ان عينت مساعدا لاستاذ الشعبة بان آخذ على عاتقي اجراء التحاليل البسيطة في غرفة صغيرة جهزتها في جانب قاعة الامراض الداخلية للرجال ـ وقد عرفت بقاعة الرازي ـ ببعض

الادوات البسيطة التي استطعت ابتياعها من الاسواق المحلية مما كان يتوفر لدي من مال قليل ادخرته من اجور التحاليل التي كانت تأتي من خارج المستشفى ـ لفقد المخابر في المدينة ـ وكان هذا المخبر الصغير الذي تجري فيه الفحوص المجهرية والتحاليل الكيميائية المخبر السريري الاول ،وضم اليه بعد قليل ما كان في مستودع المستشفى من آلة كهربائية المانية الصنع استعملتها للتشخيص والمعالجة بالتيارين الفارادي والغلواني واضيف الى المخبر آلة قياس التطور الاسامي .

وسافرت في اواخر سنة ١٩٢٤ الى فرنسا وبقيت فيها حتى منتصف سنة ١٩٢٦ ، وجهدت بعد عودتي من رحلتي الاولى في ادخال ما اطلعت عليه من مستحدثات طبية سريرية كانت او مخبرية ومن بينها فحص السائل الدماغي الشوكي فحصا كيميائيا واحيائيا ، وما يستلزم ذلك من تحاليل كنت احضرها بنفسي . وهذه الشعبة التي بدىء العمل فيها بالتدريس النظري والعملي باستاذ واحد ظلت كذلك قرابة عشر سنوات وقد مارست فيها تخطيط القلب الكهربائي بعد رحلتي الثانية الى ديار الغرب سنة ١٩٢٩ واستوردت للشعبة سنة ١٩٣٠ آلة للتخطيط المذكور كانت الوحيدة في سورية آنذاك ، ولم يكن العمل بها سهلا ثم انتقلت هذه الآلة الى فرع الفيزيولوجيا بعد استبدالها بغيرها .

وكان تعيين احد الاساتذة الفرنسيين في الشعبة باعثا في بث روح النشاط فيها والبدء بدراسة الامراض المستوطنة ولا سيما البرداء والزحار وكلاهما كانا شديدي الانتشار آنذاك وازدهرت الشعبة بما صدر عنها من بحوث ودراسات نشر بعضها في مجلة المعهد الطبي العربي وبعضها الآخر في المجلات الفرنسية .

وافتتحت عيادة للأمراض الباطنة في مبنى جديد وأخذ يؤمها عشرات المرضى الذين منهم من يعالج بعد اجراء الكشف الشعاعي عليه والفحوص المخبرية اللازمة ، وذلك باشراف احد اعضاء هيئة التدريس ومساعدة احد المعاودين ، ومنهم من يرسل الى الشعبة ليستشفي فيها وتدرس حاله درساً كاملا .

وبعد افتتاح مستشفى المواساة اخيراً ، فاتحة عهد جديد

فقد انتقلت اليه شعبة الامراض الباطنة في ١٥ آذار ١٩٥٨ مع الاحتفاظ في البدء بعدد السرر الذي كان لها في مستشفى كلية الطب ـ وهو ٦٠ سريرا ـ وزيد عدد السرر مؤخراً حتى بلغ ١٥٠ سريراً في مطلع هذه السنة، وقضى التنظيم الجديد ولوائحه التنفيذية بجعل الشعبة قسمين: احدهما للامراض الباطنة ـ جهاز الهضم، الامراض الانتانية، الغدد الصم وامراض الكلي، وامراض الكولاجين والتطبيقات السريرية للمداواة ـ والثاني للأمراض الباطنة الخاصة ـ امراض القلب والتنفس والجملة العصبية وامراض الجلد ـ وفي الاولى استاذان ومدرس واحد وفي الثاني ـ بما في ذلك امراض الجلد ـ ثلاثة اساتذة ومدرس واحد، واصبح يجري توزيع المرضى بمقتضى الاختصاصات المذكورة مع السعي في التدريس السريري بعدم التزام الاختصاص الضيق وهو التوجيه الذي تجنح اليه كليات الطب في العالم وترك ذلك الى دراسات مابعد التخرج، واملنا وطيدبما يبذل من جهد وبما يخصص للشعبة من مال وافر سيرتفع عدد اعضاء هيئة التدريس فيها وتستدرك مايعوزها من عدة وعدد مسايرة في ذلك الركب في البحث والتعليم.

ومما كتبه رئيس القسم الخاص الاستاذ الدكتور مدني الحيمي عن الشعبة الداخلية قوله:

والشعبة الداخلية حاليا قادمة على ازدهار جديد فمخبر المشافي قادم على خطوة جديدة للاتساع بحيث يمكن اجراء كل الفحوص المخبرية اللازمة للمرضى كما ان شعبة الاشعة ستتسع كثيراً.

ولا شك ان ازدهار المخبر والاشعة هو ازدهار للشعبة الداخلية نفسها لاعتمادها الكبير عليها وعدم استغنائها عنهما.

امراض القلب في الشعبة الداخلية: يزيد عدد المصابين بامراض القلب ـ وما يتعلق بها من اصابات الكليتين وزيادة الضغط الشرياني والتصلب الشرياني الخ ـ عن ثلث مراجعي عيادات المشافي الخارجية. ويعالج الذين يستطيعون الانتقال بتتبع احوالهم وتقدير الجرعة الكافية من الدواء الذي يحتاجون اليه غير ان الاطباء يضطرون لادخال اغلبهم الى المستشفى اسعافا لان حالتهم

الصحية لا تمكنهم من الانتقال بين العيادة ومكان اقامتهم مرة اخرى .

وفي المستشفى يعين لهم نظام خاص في الطعام والمعالجة وتتحسن احوالهم في بضعة ايام او بضعة اسابيع فيخرجون من المستشفى مع وصفة خاصة تعين لهم مقدار العلاج الذي يتحتم عليهم الاستمرار على تناوله .

ب – المداواة السريرية : الحقنا بحثها بقسم الامراض الباطنة لصلتها به يرأسها الاستاذ الدكتور عزة مريدن ويعمل معه الاستاذ الدكتور اكرم المهايني وقد رجونا رئيسها ان يكتب عنها فقال :

من المعلوم ان شعب كليات الطب السريرية في بلاد العالم كافة تتضمن فيما تتضمنه شعبة خاصة بتطبيقات المعالجة باسم شعبة فن المداواة السريرية او ما يسمى ايضاً شعبة السريريات الدوائية ولم يكن لهذه الشعبة وجود بين الشعب السريرية التابعة لكليتنا ، بسبب نقص عدد الاسرة والموازنة ، وبالرغم من قيامي على تدريس هذه الشعبة طوال السنوات الماضية ، سواء في شعبة الامراض الداخلية حينما كنت احد المشرفين عليها ، وسواء في شعبة امراض الاطفال منذ ما أسستها وأشرفت عليها ، فاني كنت وما زلت ألح بضرورة وجود هذه الشعبة المستقلة كما هو جار في كل بلاد العالم ، ولقد أثرت هذه المساعي ، واستطعت تأسيس نواة لهذه الشعبة مؤلفة من قاعتين .

والى جانب ذلك ، قامت عيادة للمداواة السريرية ، الغاية منها معالجة المرضى بالطرق الفنية ، وذلك أمام طلاب الصف السادس من كلية الطب الذين يلازمون على هذه العيادة ٢ – ٣ مرات اسبوعياً ، حيث يقومون بفحص المرضى ورسم الخطة الدوائية الحسنة ، وبعد المناقشة في فوائد هذه الطريقة او تلك من المعالجات المختلفة يستقر الرأي على الوصفة النهائية من حمية ومعالجات ووصايا ويسجل الطلاب ذلك في مذكراتهم كما يعالج بعض المرضى في العيادة ببعض الادوية التي يمكن تطبيقها فيها .

أما الاعمال التي نقوم بها في الشعبة السريرية ، فتتناول فحص المريض سريرياً

ومخبرياً وشعاعياً مع تسجيل مشاهدة له ، ثم رسم خطة المعالجة المثلى التي يمكن تطبيقها ونتابع مع الطلاب من يوم لآخر تطور حالة المريض على أثر المعالجة المرسومة كما يشاهد الطلاب ، وهم طلاب الصفين الخامس والسادس عادة ، طرائق المعالجة المختلفة ويطبقون بعضها بانفسهم تحت اشرافنا ، وهكذا يستطيع الطالب ان يدرك سواء في المستشفى ام في العيادة خير الطرق في معالجة الامراض المختلفة ، ويكوّن ذلك خطوة جريئة أولى للطلاب ، تساعدهم على الوقوف بحزم وعزيمة امام مرضاهم الذين سيعالجونهم حينما يغادرون كليتهم ، واني لعلى كل اليقين أن الطلاب الذين يتابعون معالجة المرضى سواء في الشعبة السريرية أم في العيادة ويراقبون بدقة سير المعالجة وتطوراتها ، سوف يكونون في المستقبل اقوى عزيمة وأكثر جرأة على مجابهة الحوادث المرضية المختلفة التي سيشاهدونها في حياتهم العملية .

ج – الأمراض العصبية النفسية : تطور الطب النفسي تطوراً كبيراً خلال النصف الاول من القرن الحالي من حيث تصنيف الأمراض والاسباب والبواعث والأمراض والإنذار والوقاية والمعالجة ، فلم يعد كما كان يظن قديماً فرعاً طبياً مستقلاً لا صلة له بالامراض العامة بل هو ذو صلة بالاختلاطات الوظيفية والتخريبات العضوية التي تقع في الجسم ، فكما ان هذه التخريبات والاختلالات العضوية ينشأ عنها أعراض وتناذرات نفسية كذلك ينشأ عن الاضطرابات النفسية تخريبات واختلالات وظيفية عضوية مما أدى الى جعل تدريس هذا الفرع الطبي إلزامياً في جميع المعاهد الطبية والى فتح قاعات خاصة لمعالجة الامراض النفسية في جميع المستشفيات العامة ، وذلك لان المرضى المصابين بالامراض النفسية لا يوجد بينهم سوى عشرة في المائة فقط الذين يستوجب معالجة مرضهم في مستشفيات الأمراض النفسية الخاصة بينما التسعون الآخرون يراجعون المستشفيات والأطباء العموميين لحالات مرضية نفسية ذات منشأ عضوي أو لحالات مرضية عضوية ذات منشأ نفساني .

ومن بواعث المسرة ان معهدنا الطبي اعار هذا الفرع ما يستحق من الاهتمام فانتدب لتدريسه سنة ١٩٢٨ الكولونيل الدكتور جود استاذ الأمراض النفسية في معهد فال دي جراس الطبي في باريس سابقاً ثم عقبه الدكتور ترابو استاذ السريريات الباطنية في كلية الطب الى ان عهدت الي [١] رئاسة الجامعة السورية بتدريس الأمراض النفسية وسريرياتها في مطلع سنة ١٩٤٢ هذا وبالنظر لضيق نطاق مستشفى كلية الطب وعدم امكان تخصيص قسم فيه لمعالجة المصابين بالامراض النفسية الذين لا تستلزم حالتهم المرضية الحجر عليهم في المستشفيات الخاصة اقتصر التدريس السريري على مشاهدة المرضى في مستشفى ابن سينا في اوقات محدودة جداً او جلب بعض المرضى من المستشفى المذكور لقاعة الدرس احياناً على ما في ذلك من المشقة والصعوبة بالنظر للمسافة البعيدة التي تفصل مستشفى ابن سينا عن دمشق .

يدرس علم النفس اليوم في الصف الأول من كلية الطب ويشتمل مقرره على مدخل الى تاريخ علم النفس وطرائقه وعلاقته بالطب والعلاقة بين النفس والجسد ورد الفعل والفعل المنعكس الشرطي والدوافع والحوافز والصراع النفسي والشخصية غير السوية وفكرة عن التحليل النفسي والطب النفسي ومذاهبها .

عهد بتدريس علم أمراض النفس منذ سنة ١٩٥٥ الى الاستاذ الدكتور فيصل صباغ وقد كتب في صدد هذه الشعبة ما يلي :

ان الاتجاه الحديث يعتبر العضوية والنفس وحدة وان هنالك تظاهرات عضوية سببها نفسي وان النفس مظهر من مظاهر هذه الوحدة المتكاملة وان علم أمراض النفس لا يبحث كما كان يفعل عن بعض الأمراض المدرسية التي تدخل في الجنون بل أصبح يدرس ارتكاس الشخصية تجاه التأثيرات العضوية والنفسية المتمثل في السلوك .

---

(١) الكلام للاستاذ الدكتور اسعد الحكيم وقد اشرف على تدريس هذه المادة ما بين سنة ١٩٤٢ وسنة ١٩٥٥ .

وقد خصصت يوماً في الاسبوع للعيادة النفسية ولمشاهدة مختلف الحالات العصابية والنفسانية واضطرابات السلوك المختلفة كما خصصت ساعة للدروس النظرية . وقد وضعتُ في هذا العلم كتاباً باللغة العربية سنة ١٩٥٦ .

هذا وان بحث الأمراض النفسية لم يعد اختصاصاً ضيقاً يمارسه الاختصاصيون فقط بل هو ضرورة يجب أن يعرفها كل طبيب وكل طالب طب كما يعرف التشريح والفيزيولوجيا ومختلف الأمراض العضوية لأن كل مرض عضوي يترافق بعنصر نفسي هام يسببه الخوف والقلق على الصحة كما أن هناك حالات نفسية كثيرة تسبب أعراضاً عضوية هامة .

د ـ الامراض الجلدية والزهرية[1]: يشرف عليها اليوم الاستاذ الدكتور حنين سياج[2] وقد كتب عنها : لقد سارت الشعبة الجلدية والزهرية مع التطور العام الذي شمل الاعمال التدريسية والتمريضية في كلية الطب ومشافيها فتوسعت برامج اعمالها وتعددت نواحي نشاطها بزيادة ساعات العمل فيها .

ومن الناحية العملية فقد افتتح قسم المعالجات الخارجية حيث تطبق للمرضى في مستوصف الشعبة جميع طرق المعالجات الحكمية ، فلزرقات الدوائية والمعالجات المضادة للتحسس كلها تتم على أيدي الطلاب وتحت اشراف رئيس الشعبة او مساعده كما ان المعالجة الكهربائية تطبق على نطاق واسع حيث ان الشعبة الجلدية الزهرية اصبحت مجهزة بآلات التخثير الكهربائي والأشعة فوق البنفسجية والحرارة الداخلية بالموجات القصيرة والكي بالثلج الفحمي . وقد اصبح للشعبة مخبر خاص للتحريات الجرثومية والحيوية واللطاخات على أنواعها وسوف تجهز الشعبة بأشعة سينية وبالمعادن المشعة وسيصبح لها في هذا العام غرفة جراحة للقيام بأعمال الجراحة الصغرى الجلدية .

---

(١) درس هذه المادة حين تأسيس مدرسة الطب العربية الدكتور الاستاذ جميل الخاني وكان يدرسها في العهد العثماني الاستاذ علي رضا .

(٢) وقد اشرف عليها قبله الدكتور الاستاذ محمد محرم .

هـ - الجراحة وانواع الاختصاص التابعة لها في كلية الطب : يوشر بها في مستشفى سمي أخيراً مستشفى كلية الطب[1] ولقد عمل فيها كل من الأطباء الأساتذة احمد راتب الصبان وطاهر الجزائري ومرشد خاطر ونظمي القباني ولوسركل وسوليه ومنير شورى ، وقد قسمت اليوم الى قسمين : قسم الجراحة العامة ، وقسم الجراحة الخاصة ، يرأس القسم الأول الأستاذ الدكتور مظهر المهايني ويعمل معه الدكتور لطفي اللبابيدي والدكتور مروان محاسن ويلحق بهذا القسم شعبة التخدير ويرأس القسم الثاني وهو قسم الجراحة الخاصة الدكتور الأستاذ انسطاس شاهين ويعمل معه الدكتور الاستاذ منير شورى والدكتور الاستاذ صلاح عثمان والدكتور عدنان سعيد والمعيدون الأطباء موفق مريدن وعدنان عجه واكرم العنبري . وقد كتب الأستاذ مرشد خاطر عن شعبة الجراحة ما يلي :

رافقت هذه الشعبة منذ ولادتها في السنة ١٩١٩ ، رقمت مع من قام على رأسها نسدد خطاها كلما تعثرت ونقوّم اودها كلما اعوجت ونتفخ فيها روح النشاط كلما وهنت ، واذا ما القيت نظرة على ماضيها البعيد ورسمت شبحها الذي لايزال ماثلا امام عيني ثم عادت بي الذكرى الى هذا اليوم بعد ان شبت وعلت وجهها نضارة القوة والنشاط رأيت بوناً شاسعاً بين ماضيها وحاضرها.

ولدت هذ الشعبة في مستشفى كلية الطب فلم تكد تبصر النور حتى غاصت في تلك البيئة التي شاء القدر ان تولد فيها ، بيئة تكالب على خلقها في ذلك العهد الاهمال والجهل ونقص المعدات فاذا بها توصم بوصمتها مع انها براء منها واذا بها تنتفض انتفاض الحر الابي لتلقي عنها تلك الادران التي علقت بها وتتقي تلك السهام التي سددت اليها ، غير ان قوتها لم تهن ونشاطها لم يضعف بل سارت في

---

(١) سنذكر تاريخ هذا المستشفى وأسماؤه المختلفة في بحث المشافي في دمشق على ان مما يجب الاشارة اليه انه عمل في شعبته الجراحية في العهد العثماني كل من الاستاذ مصطفى الاوبراتور كما كانوا يسمونه والاستاذ محمود غياث الدين وعمل فيها في العهد العربي الدكتور فائق العطار .

طريقها وأخذت تعد العدة لكسب المعركة، بدأت تنظم امورها وتجهز معداتها وادواتها وتوفد القائمين على رأسها الى بلاد العلم لاتقان اختصاصهم فلم تمض بضع سنوات حتى نفضت عنها غبار ذلك الاسم الذي التصق بها، أخذ المرضى يقبلون عليها بعد ان كانوا مدبرين ، بدأوا يسمعون كلمة عملية جراحية فلا تتجهم وجوههم ولا يعلو جبينهم شحوب الخوف ، غصت الشعبة بالمستشفين فيها بعد ان كان معظم اسرتها شاغرا واخذت روح النشاط والحياة تدب في عروقها ، وكانت كلما ازداد الاقبال عليها تزداد اتقاناً في العمل وفي ادخال كل مستحدث جراحي اليها ، حتى تبوأت في دمشق بعد جهاد لم يقل عن خمس عشرة سنة المقام الرفيع ، فأخذ الناس يفزعون اليها في ملماتهم الكبرى ويهرعون الى اساتذتها في مشاكلهم الجراحية المعقدة فكان يفعها يفعا كله حياة ونشاط وقوة .

وانني اكبر عمل الذين سددوا خطاها في طفولتها، انني ادون بمداد الشكر والاعجاب عمل ذلك العميد العبقري والرئيس الكبير الراحل الدكتور الاستاذ رضابك سعيد الذي جهز هذة الشعبة والشعب الاخرى والمخابر باحدث المعدات وننخ في القائمين عليها روح النشاط كما انني اسجل فضل الرؤساء والعمداء الآخرين الذين آزروا في تنشيطها وتوفير ما كانت تحتاج اليه في سياق عملها فان لكل منهم اثرا يذكره كل عارف للفضل ومقر بالجميل واذا جهرت بفضل من غيبه الثرى ولا تزال اثاره ماثلة امام اعيننا فانني احجم عن ذكر اعمال الذين لا يزالون قائمين بيننا ممن تعهدوا ولا يزالون يتعهدون هذه المؤسسة برعايتهم .

تجري العمليات الجراحية يومياً في المستشفي من قبل الاساتذة ومساعديهم اما العيادات الجراحية فتفتح ابوابها يومياً لاستقبال المرضى والجرحى ويعالج ويضمد فيها ما يقرب من ثمانية عشر الى عشرين الف مريض في السنة اي بمعدل ٥٠ مريضاً يومياً .

و ـ شعبة التخدير والانعاش : يعمل فيها المدرس الدكتور برهان العابد والمعيدان الدكتور وجيه المعلم والطبيبة الدكتور نفيسه طيفور . وقد كتب

الدكتور برهان العابد رئيس هذه الشعبة عنها ما يلي : تأسست هذه الشعبة عام ١٩٥٠ إذ استحضر طبيب اجنبي من خريجي جامعة لندن أشرف على تأسيسها اسمه الدكتور ل.ت سكوت . باشر عمله في شعبة الجراحة بجهاز قديم من طراز بويل (أ) استحضره معه . وقد رؤى توسيع اعمال التخدير تمشياً مع التطور الذي طرأ على شعبة الجراحة بنوع خاص لاسيما بعد عودة بعض الجراحين من ديار الغرب ومباشرتهم القيام بعمليات لم تكن معروفة من قبل. ولذا فقد زودت الشعبة بثلاثة اجهزة اميركية من احدث طراز .

وفي نهاية عام ١٩٥١ أجريت مسابقة لانتقاء معيد للشعبة فنجح الدكتور برهان العابد وعين مساعداً للدكتور سكوت وبعد تدريبه بأشهر اصبح بالامكان تأمين التخدير لعمليات دار التوليد بالاضافة للجراحة .

لم تقتصر اعمال الشعبة على الناحية السريرية بل اخذ المشرف عليها يدرس مادة التخدير حسب الاسلوب الحديث لطلاب السنة الثالثة .

وفي اواخر عام ١٩٥٢ رؤي تأسيس مصرف للدم يربط بشعبة التخدير ، فاشتريت الادوات اللازمة وبوشر بتأمين نقل الدم لمرضى الاسعاف وبعض العمليات الكبرى التي تستوجب ذلك ونظراً لتعدد مسئوليات الشعبة فقد اضيف الى أعضائها السيدة الدكتورة نظيرة عز الدين وذلك في نهاية عام ١٩٥٣ . ولما انتهى تعاقد الكلية مع الدكتور سكوت في العام المذكور اسند امر ادارة الشعبة الى المعيد الدكتور برهان العابد واخذ يتقدم في مدارج السلك التعليمي .

ولقد اصبح بواسع القائمين على الشعبة تأمين العمل في ثلاث غرف عمليات في آن واحد ودلت النتائج على فرق واضح بين الطرق القديمة والحديثة. اذ اصبح المريض يُدرس دراسة وافية من حيث استعداده للعمل الجراحي ويهيأ نفسياً للمداخلة بحيث يستبعد او تؤجل عملية اي مريض يشك في تحمله

(أ) Boyle

أعباء العمل الجراحي وكان لهـذا الاسلوب الفضل الاكبر في انعدام حوادث الوفاة في غرف العمليات وندرة الاختلاطات التالية للعملية التي كانت تفتك بقسم كبير من المرضى المسنين والضعفاء .

هذا وقد نبهت هـذه النتائج الحسنة المسؤولين في كلية الطب الى ضرورة ارسال المشرف على الشعبة الى بلاد الغرب للتوسع في اختصاصه والاطلاع على ما استجد في هذا الفن خلال السنوات الاخيرة فأوفد الدكتور العابد الى الولايات المتحدة الاميركية وقضي ما يقرب من ثلاث سنوات نال خلالهـا دبلوم الاختصاص في التخدير وبعد ان عاد في اوائل عام ١٩٥٨ اعاد تنظيم الشعبة على ضوء ما شاهده في البلاد الاميركية وأضاف بعض الاجهزة والادوات الحديثة التي جعلت شعبة التخدير لا تقل استعداداً وتجهيزاً عن زميلاتها في ارقى البلدان الاوروبية والاميركية .

والآن اصبحت الشعبة تضم اربعة اطباء هم : برهان العابد، نظيرة عز الدين وجيه المعلم ونفيسه طيفور يساعدهم اثنان من الاطباء المعاودين مع مجموعة من الممرضات والتلميذات تساعد على صيانة الاجهزة وتهيئة المرضى وانتظام العمل في اقسام الجراحة والتوليد والاذنية والعينية والسنية .

وتدل آخر الاحصاءات على ان شعبة التخدير لم تسجل خلال ما يقرب من ثلاث سنوات اي وفاة تخديرية . ويعود الفضل للشعبة في تهيئة الاسباب لبعض الشعب في الاقدام على عمليات كبيرة لم يكن من السهل الاقدام عليهـا من قبل كاستئصال الاورام البلعومية واستئصال الحنجرة والعمليـات الصدرية الكبرى واورام الدماغ والنخاع .

ز – مصرف الدم لقد تطور تطوراً كبيراً واصبحت اعماله مستوفية الشروط من الناحية الفنية وصار باستطاعته تأمين اكثر طلبات الاقسام المختلفة وبعد ان كان عدد عمليات نقل الدم في مشافي الكلية لا يتجاوز الثمانين طيلة عام ١٩٥٣ اصبح الآن ينوف على الـ ١٦٠٠ دون حدوث أي حادث او اختلاط جدي .

ح – قسم الجراحة الخاصة : يرأس هذا القسم الدكتور الاستاذ انسطاس شاهين ويعمل معه فيه السادة الاساتذة صلاح عثمان ، عدنان سعيد ، اديب العطار ، والمعيدون موفق مريدن ، عدنان العجة ، اكرم العنبري ويشتمل هذا القسم على جراحة العظام والتجبير ، جراحة المسالك البولية ، أمراض الاذن والأنف والحنجرة وجراحتها وامراض العيون وجراحتها .

ط – جراحة العظام والتجبير : لقد اعدت الوسائل لتنمية هذه الشعبة حتى تساير في التقدم اخواتها وقد اوفد الدكتور موفق مريدن الى معاهد الغرب لتوسيع اختصاصه بها . وسوف لا ينقضي الا عدد محدود من السنين حتى يكون لها من الأزدهار ما لغيرها من الشعب .

ي – شعبة الجراحة البولية : قال عنها المشرف عليها الاستاذ الدكتور منير شورى : لقد أسست شعبة الجراحة البولية في الأشهر الاولى من عام ١٩٤٨ ، بعد ان كانت الحالات المرضية التابعة لها تتوزع فيما مضى على بقية الشعب الجراحية ، وقد لوحظ منذ تأسيس شعبة الجراحة البولية حتى هذا التاريخ أن عدد المرضى المراجعين آخذ بالازدياد المستمر ، ويلحق بهذه الشعبة العيادات البولية ويراجعها عدد كبير جداً من المرضى فيفحص بعضهم وتكتب لهم الوصفات ويقبل في المستشفى من كان بحاجة الى الاستشفاء وكثيراً ما تجرى عمليات الجراحة البولية البسيطة كخزع الاحليل وإجراء التوسيع ، والاستشرار الكهربي والتنظير الخ في العيادة الخارجية . قصد المشرف عليها ديار العرب مرات عديدة للتعمق في اختصاصه وجهز شعبته بمعظم الادوات والآلات الجراحية اللازمة لها مما ييسر له اجراء عمليات الجراحة البولية الكبيرة على اختلاف سعتها .

ك – شعبة امراض الاذن والانف والحنجرة : رجونا رئيس قسم الجراحة الاستاذ الدكتور انسطاس شاهين تزويدنا بمعلومات عن الشعبة المذكورة فأتحفنا بما نثبته فيما يلي :

إن هذه الشعبة تعتبر من الشعب الحديثة في الطب ، إذ فصلت عن شعبتي

الطب الباطني والطب الجراحي منذ بضع سنوات . وقد أديرت هذه الشعبة منذ تأسيس كلية الطب من قبل الأساتذة السادة محمود حمدي حمودة ، احمد راتب ، عبد القادر مري [1] وقد قام الاستاذان الأخيران بأعمال هذه الشعبة إلى جانب أعمالهما في الجراحة والتشريح . ولذلك لم يخصص لهذه الشعبة في مشافي الكلية سوى عدد بسيط من الأسرة لم يزد عن عدد أصابع اليد لكل من الرجال والنساء وكانت قاعة العمليات الجراحية او قاعة العمليات في شعبة أمراض العين المكان الذي تجرى فيه عمليات هذه الشعبة .

وفي سنة ١٩٣٤ عهد إليّ [1] برئاسة هذه الشعبة وفي سنة ١٩٤٣ سميت استاذاً فيها وفي سنة ١٩٤٤ ضم إليّ كمساعد الدكتور صلاح عثمان ومنذ ذلك الحين سعيت جهدي بمعونة مساعدي لرفع مستوى هذه الشعبة ، وبفضل مساعدة أولي الامر في كلية الطب تمكنا من جعل هذه الشعبة مستقلة إستقلالاً تاماً بقاعاتها وغرف عملياتها وضمادها والعاملين فيها وأصبح لهذه الشعبة بناء مستقل يضم ما يقرب من الاربعين سريراً .

وفي سنة ١٩٥٥ أعطينا معيداً أصيلا هو الدكتور عدنان عجة ، عمل معنا بعض الزمن ثم اوفد إلى انكلترا للحصول على الدرجات العلمية المطلوبة .

والآن لقد بلغت أمنيتي اذ انتقلت هذه الشعبة إلى مستشفى المواساة ، وزاد عدد الاسرة فيها الى الخمسين واصبحت مجهزة تجهيزاً كاملا بعد أن كان ليس فيها إبان تأسيسها الا عدد محدود من آلات بسيطة جداً لا تكفي لتجهيز غرفة العيادة الخارجية وكنا نضطر لاستعمال آلاتنا الخاصة لاجراء بعض العمليات ويمكن القول بان الشعبة اصبحت الآن تحوي جميع الآلات والأدوات والأجهزة التي تحويها اكبر مشافي الجامعات وأصبحت بحالة تسمح لنا بالقيام بجميع الفحوص والمعالجات

---

(١) درس سنة ١٩١٩ امراض الاذن والانف والحنجرة الدكتور صادق الطرابيشي وكان من الاطباء العسكريين المختصين بهذا الفرع .

(٢) الكلام الاستاذ الدكتور انسطاس شاهين .

التي تتعلق بهذه الشعبه . واننا لا نزال ساعين لاتمام مايستجد بهذا الصدد .

ل – شعبة أمراض العيون : ولدت شعبة امراض العيون بولادة كلية الطب ولا يخفى ان الدكتور رضا سعيد كان ذا فضل كبير في تأسيس كلية الطب وكان من أوائل المختصين بامراض العيون لا في سوريا فحسب بل في الدولة العثمانية ، وقد هيأه عمله الاداري من جهة واختصاصه بأمراض العيون من جهة ثانية الى تأسيس شعبة للأمراض العينية جهزها بجميع الوسائل التي أمكن الحصول عليها ، وسار التدريس فيها سيراً منتظماً منذ سنة ١٩١٩ ، ثم أحيل الدكتور رضا سعيد على المعاش سنة ١٩٣٦ فعين الدكتور الاستاذ ممدوح الصباغ سنة ١٩٣٧ محاضراً في شعبة أمراض العين لسابق اختصاصه بهذه المادة وتوسعه بها في معاهد اخرى وقد اخذ يتدرج في مراتب الهيئة التدريسية فقصد مرات عديدة اوروبا للتوسع والاطلاع وانتخب سنة ١٩٥٠ استاذاً لأمراض العيون ويطيب لنا ان ننقل عنه الكلمة الآتية [١] :

رافقت هـذه الشعبة منـذ سنة ١٩٣٧ حتى الآن وساعدني فيها الدكتور عدنان رضا سعيد منذ سنة ١٩٤٦ وقد تيسر لنا السير قدماً بهذه الشعبة فجهزت بالآلات الحديثة والوسائط الجديدة وزيد حديثاً في عـدد اسرتها بحيث أصبح عدد الاسرة اليوم يزيد عن الخمسين سريراً والأمل معقود على استمرار تقدم الشعبة وتوسعها بما تلقاه من مساعدات مادية ومعنوية من قبل المسئولين سواء في كلية الطب او في الجامعة .

م – قسم الأشعة والكهرباء : يرأسه الاستاذ الدكتور وحيد الصواف ويعمل معـه الدكتور موفق سقـا اميني والدكتور راتب كحالة المدرسان . لم يكن هناك ما يطلق عليه هذا الاسم حين تأسيس كلية الطب ،

---

(١) عمل في هذه الشعبة في العهد العثماني الدكتور الاستاذ عبد الله الكحال والدكتور عزة شموط وهو من خريجي مدرسة الطب العثمانية بدمشق .

انما ورثت الكلية عن المعهد العثماني جهازاً شعاعياً ابتدائياً جداً ظل يفيد في كشف الكسور حتى حوالي عام ١٩٢٤ – ١٩٢٥ حينما اشتريت آلة فرنسية لا تزال تعمل حتى الآن لأمور التنظير ، سواء منها تنظير الكسور او تنظير الصدور ، أماالتصوير فقد كانعدد الصورالتي تصورها الشعبة لايتجاوز العشرات في العام وكانت الصور لسوء الآلة من نوع ردىء قليلة الفائدة في التشخيص .

وفي عـام ١٩٥٠ ابتدىء بالتفكير جدياً بانشاء شعبة شعاعية حديثة مجهزة بأجهزة جديدة للتشخيص والمعـالجة وقـد تم ذلك ، ولا تزال الشعبة تفتقر الى بعض آلات المعالجة منها جهاز بقوة مليون فولت . وليس في الشعبة شيء من الراديوم ولا نزال مضطرين لارسال مرضانا الى بيروت حين الحاجة ليستشفوا بالراديوم في مستشفى اوتيل ديو والنية منصرفة الى مشترى الراديوم في اقرب وقت [١] .

ن – قسم التوليد وأمراض النساء [٢] : يرأس هذا القسم اليوم الدكتور الاستاذ محمود مصطفى برمدا ويعمل فيه الاستاذ المساعد الدكتور ابراهيم حقي والمحاضر الدكتور السيد محمد القلعي .

اشرف سابقاً على دار التوليد ورافق تأسيسها الاستاذ الدكتور شوكت القنواتي وقد كتب يقول عنها :

دار التوليد مؤسسة تابعة لكلية الطب تتم فيها الولادات وتلحق بها شعبة أمراض النساء وهي معدة لاستقبال، كل من تراجعها من حامل او ماخض او مصابة بمرض نسائي ، ولتمرين طلاب كلية الطب وطالبات مدرسة التمريض والقبالة . كانت شعبة التوليـد وأمراض النساء حتى مطلع عام ١٩٤٥ تشغل بعض

---

(١) عمل في هذه الشعبة اثر تأسيس المعهد الطبي العربي الاستاذ الدكتوو طاهر عبد المؤمن الجزائري .

(٢) عمل في التوليد وأمراض النساء في كلية الطب الاستاذ ابراهيم الساطي والدكتور شوكت الشطي .

الغرف في مستشفى كلية الطب ، لا يزيد عدد الأسرة فيها عن العشرين . وفي عام ١٩٣١ فكر رئيس الجامعة السورية الاول المرحوم الدكتور رضا سعيد بتأسيس دار للتوليد من الوفر الحاصل في موازنة الجامعة السورية ، لما كانت تتمتع به الجامعة آنئذ من استقلال مالي مطلق ، فبوشر بحفر الاساس في غرة حزيران سنة ١٩٣١ ، وقد توقفت أعمال البناء بعد ذلك عدة مرات ، وهكذا حتى سنة ١٩٤٤ حيث تم البناء ، ثم بوشر بالتأثيث في ظروف الحرب الماضيه فكان الاثاث ـ كالاسرة وغيرها ـ من صنع محلي ، كما أن الادوات الطبية التي جهزت بها غرف العمليات هي الادوات نفسها التي كانت في شعبة التوليد وأمراض النساء في مستشفى كلية الطب ، وقد تم التأثيث في نهاية سنة ١٩٤٤ وافتتحت دار التوليد في ١٦ صفر سنة ١٣٦٤ الموافق لـ ٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٥ ويبلغ مجموع مايمكن قبوله في دار التوليد من مريضات في الوضع الحاضر : ٤٣ مريضة في القسم المجاني و ١١ مريضة في الغرف الخاصة ، ويبلغ مجموع اسرة الولدان ٢٩ سريرا .

الادارة الفنية : يترأس الاعمال الطبية والتدريس في دار التوليد اعضاء الهيئة التدريسية ، ويقوم بالحفارة طبيبان معاودان يقيمان في دار التوليد ليلا ونهارا . وتراقب الولادات الطبيعية في دار التوليد قابلة رئيسية تعاونها مساعدة . وتقوم باعمال التمريض ممرضات مجازات وزعن بشكل يضمن العناية الفنية للمريضات ليلا ونهاراً . وتساعد الممرضات في اعمالهن تلميذات الصف المنتهي من مدرسة التمريض والقبالة ، وهن ايضاً مقسمات الى فئات تتناوب العمل ليلا ونهارا . ويقوم بخدمة المريضات مستخدمات ويعمل على مراقبة مدخل دار التوليد ، ونقل المريضات من سيارات الاسعاف الى داخل المؤسسة ، وجلب الطعام من المطبخ والخ ... مستخدمون .

اما الاعمال الادارية فمربوطة بمديرية مشافي كلية الطب .

اعمال دار التوليد : كانت اعمال شعبة التوليد وامراض النساء ، قبل

انتقالها الى دار التوليد ضيقة النطاق تقتصر على اسعاف المواخض في حالات عسرات الولادة وعلى مداواة عدد قليل من المصابات بآفات نسائية مستعصية .

اما اليوم فقد اتسعت اعمال دار التوليد بشكل واضح : فهي تقوم يومياً باجراء العيادات الخارجية حيث تراجع الحوامل بصورة دورية ومنتظمة لفحصهن والعناية بهن وارشادهن الى جميع مايجب اتباعه كي يصلن الى تمام حملهن دون اختلاط . وتفحص في هذه العيادات ايضاً المصابات بامراض نسائية مختلفة، التهابية كانت ام ورمية ، والنساء العقيمات ، فتقبل منهن من تستلزم حالتها معالجة خاصة او مداخلة جراحية ، وتوصف للباقيات المعالجة اللازمة ليطبقنها في دورهن ، وترسل المصابات بسرطانات مترقية في الرحم الى مؤسسة الراديوم في بيروت لمعالجتهن فيها .

وتقبل دار التوليد في اية ساعة من النهار او الليل كل امرأة بحالة مخاض وتجري الولادات ، الطبيعية منها والعسيرة في شروط صحية كاملة بشكل يضمن سلامة الام ووليدها ، وكانت تقيم النفساء عادة في دار التوليد من سبعة ايام الى من عشرة ايام [1] حتى لا تعود الى دارها الا وقد اجتازت الدور الدقيق من النفاس وهو دور ظهور الاختلاطات النفاسية المختلفة ، وتزود لدى تركها دار التوليد بما يلزم من النصائح والارشادات التي يجب عليها اتباعها حفظاً لصحتها كما تزود ايضاً بالقواعد اللازمة للاعتناء بصحة وليدها وتغذيته .

وتقبل دار التوليد ايضاً في أي وقت من الليل أو النهار كلّ مراجعة لها مصابة بآفة نسائية او ولادية طارئة كالاسقاط او النزوف او الآلام وغير ذلك . ويقوم باجراء عمليات الاسعاف من ولادية ونسائية الاستاذ المساعد والمدرس بالتناوب .

وقد اتسع نطاق العمل شيئا فشيئا واشتد الاقبال على دار التوليد من

---

(١) غير ان شدة الضغط على دار التوليد وكثرة الولادات حملت الادارة مكرهة على تخفيض مدة اقامة النفساء .

عموم طبقات الشعب ، حتى للولادات الطبيعية جداً ، لما يتوفر في هذه المؤسسة للماخض والنفساء من عناية وراحة ، وكثيراً مايبلغ الآن عدد الولادات في اليوم الواحد الستة او الثمانية حتى اصبح عدد المراجعات لدار التوليد في سنة ١٩٦٠ عشرة اضعاف ما كان عليه في سنة ١٩٤٥ .

ان الذي يدقق في الجداول الاحصائية لدار الولادة لابد وانه يلاحظ ان نتائج المداخلات الولادية في المواخض والاجنة قد تحسنت كثيراً ويعود السبب في ذلك على اعتقادنا الى ان الماخض كانت لاتراجع دار التوليد الا بعد مخاض طويل وفي حالة صحية سيئة وبعد ان يكون جنينها قد قضى نحبه فيلجأ اضطراراً الى عمليات تفتيت الجنين او استئصال الرحم لتمزقها ، اما اليوم فان الماخض اصبحت تراجع في اثناء الحمل أو في مبدأ المخاض مما جعل من المتيسر كشف الآفات الولادية المختلفة منذ الحمل ومعالجتها في صالح المرأة ومحصول حملها ، ومراقبة سير المخاض مراقبة فنية والمبادرة الى تلافي الشذوذ الذي يمكن ان يطرأ منذ حصوله بمداخلات ولادية محافظة ، كملقط الجنين أو التحويل او العملية القيصرية التي تضمن الحصول على جنين حي دون ان تتعرض الماخض الى ضرر كبير .

ويظهر ذلك جلياً من التدقيق في النسبة المئوية لعمليات تفتيت الجنين واستئصال الرحم لتمزقها من جهة وعمليات ملقط الجنين والتحويل من جهة اخرى في سنة ١٩٤٥ ومقارنتها مع النسب المئوية لتلك العمليات في سنة ١٩٦٠ على ان نسبة المواخض اللواتي راجعن في زمن متأخر من المخاض وبجنين ميت في سنة ١٩٦٠ كانت اقل من هذه النسبة في سنة ١٩٤٥

اما العمليات المحافظة فنلاحظ زيادة بينة في نسبها .

وهكذا فان دار التوليد تكون في بضع السنوات التي تلت افتتاحها قد توصلت الى نتائج حسنة جداً في صالح الامهات وثمرة حملهن بصورة خاصة والاسرة

والمجتمع بصورة أعم ، فساهمت بذلك بقسط وافر في النهضة الصحية الاجتماعية في دمشق وضواحيها .

غير ان استمرار الزيادة في عدد المراجعات لدار التوليد شهراً بعد شهر قد جعل عدد الاسرة غير كاف لقبول مايجب قبوله من المريضات ، مما دعا الى الاقتصار على قبول الحالات المستعجلة ، من ولادات وحوادث اسعاف ، ولقد عادت اسرة دار التوليد تضيق اليوم عن استيعاب الحوادث المستعجلة مما يحمل القائمون على العمل فيها الى اتخاذ تدابير استثنائية .

س - قسم الأطفال : يرأسه اليوم الاستاذ الدكتور السيد جميل سالم ويعمل معه فيه الاستاذ المساعد الدكتور السيد سهيل بدورة .

لم تعرف شعبة امراض الاطفال كياناً خاصاً بها إلا في المدة الأخيرة ، ففي اواخر عام ١٩٤٧ ابتدىء بتأسيسها على الطراز الحديث ومنذ ابتداء سنة ١٩٤٨ اصبحت قادرة على قبول مرضاها الصغار الذين تتراوح اعمارهم مابين يوم واحد واثنتا عشرة سنة وعدد الاسرة في هذه الشعبة خمسة وثلاثون سريرا منها ستة عشر سريرا خصصت للرضع وتسعة عشر سريرا للامراض المختلفة ، ومع العلم بان هذا العدد ضئيل جداً بالنسبة الى احتياج البلاد . ويوجد في هذه الشعبة مطبخ خاص لطهي الحليب والخضار والفاكهة مما ييسر ان يقدم لكل طفل الغذاء الذي يناسب مرضه وعمره ويعتنى بتمريض الاطفال عناية خاصة اذ تختلف وسائل تمريضهم عما هي عليه في غيرهم فهم محتاجون الى النظافة التامة والعناية الفائقة كما ينبغي علاوة على ذلك مراقبة مزاج الطفل والتطورات السريعة التي تتناوبه في كل لحظة وساعة .

كانت نسبة عدد الوفيات بين اطفال الشعبة تعادل لـ ١٥,١ من المائة ، والحق يقال ان هذا العدد كبير جداً ، الا انه وجد بعد درس الوفيات ان الاطفال الذين قبلوا في حالة سيئة جداً وتوفوا خلال الاربعة والعشرين ساعة منذ قبولهم يعادل مائة وسبعة وسبعين وفاة فاذا اسقط من

الحساب الوفيات التي تمت في اليوم الاول من الاستشفاء عادت نسبة الوفيات معادلة لـ ٥,١ بالمئة . وهذه نسبة وفيات الاطفال في اعظم مستشفيات العالم .

واذا تصفحنا اسباب الوفيات نجدها ترتد في الغالب الى سوء التغذية والانسمام المعوي اما معدل الوفيات من الامراض الاخرى مثل ذات الرئة والقصبات ، التدرن الرئوي ، الرئية الحادة ، ذات السحايا الدرنية والوافدة فأقل نسبياً مما يدل على ان سبب اكثر الوفيات في الاطفال عندنا ناجم من جهل الامهات في تغذية اطفالهن والعناية بهم والامل وطيد أن تقل نسب الوفيات بين الاطفال بعد أن كثرت مراكز رعاية الأم والطفل .

البحث الثاني

تعليم العلوم المخبرية في كلية الطب

كانت مدرسة الطب العربية حين تأسيسها خالية خاوية من الادوات المخبرية ووسائل التدريس ، وكان الاختصاصيون بالعلوم الطبية المخبرية القادرون على التدريس قليلي العدد ، كما ان كثيراً من انواع الاختصاص المخبري كانت مفقودة .

أ ـ مخبر التشريح : لما كانت مادة التشريح أساسية في التدريس المخبري ودراسة الطب فقد بذلت العناية نحو تأسيس مخبر للتشريح وتأمين الدراسة فيه ، وقد عهد الدكتور رضا سعيد بتدريس هذه المادة الى رفيق له في مدرسة الطب العسكرية في الاستانة المرحوم الاستاذ الدكتور عبد القادر سري[1] عرفه منذ عهد الدراسة بولعه بهذه المادة وبعمله معاوناً لاستاذها في الاستانة ، وقد هيء له المكان اللازم لإشادة المخبر ، وزوده بما يلزم من الآلات والادوات ، فباشر عمله بتدريس هذه المادة

(١) وقد ساعده في تدريس هذه المادة لفترة قصيرة من الزمن الدكتور سعيد شيخ الأرض .

وسار تدريسها بفضل الجهود المبذولة سيراً حسناً، ولم يجد حينئذ القائمون على مخبر التشريح صعوبة في الحصول على الجثث التي لابد منها في تدريس هذه المادة، ثم أشرف على مخبر التشريح الاستاذ الدكتور مصطفى شوقي فحسّنه تحسيناً جوهرياً ووضع في علم التشريح الوصفي كتاباً مفصلا. يرأس قسم التشريح اليوم الاستاذ فائز المط، ويعاونه في تدريس مقرره المدرس أبو الخير الخطيب والمعيد الدكتور كامل شاشيط.

ب ـ مخبر الجراثيم: كان انشاء هذا المخبر أسهل من انشاء غيره، لوجود نواة سابقة له، وهي مؤسسة المصل والجراثيم التي كانت الحكومة العربية قد عملت على انشائها على انقاض مؤسسة حفظ الصحة التي كانت أنشأتها الدولة العثمانية في دمشق أثناء الحرب الاولى، وعند انسحاب الاتراك من هذه البلاد أخذوا منها ما قدروا على حمله، ونهب بعض الرعاع مع الاهلين المجاورين لها ما ظنوا فيه الفائدة لهم، وما بقي من ذلك كله وضعت الحكومة العربية يدها عليه، وأوعزت بإعادة انشاء هذه المؤسسة تحت اسم: مؤسسة المصل والجراثيم. وعهدت بذلك الى أحد من سبق لهم العمل في المؤسسة العثمانية سابقاً وهو الطبيب الاستاذ احمد حمدي الخياط ووكلت اليه ادارتها. وعندما أعيد فتح مدرسة الطب العربية في أوائل عام ١٩١٩، كانت مؤسسة المصل والجراثيم التابعة للجيش العربي آنذاك، قد تم نقلها الى احد الابنية في حديقة المستشفى ـ الذي كان يسمى مستشفى الغرباء ـ الواسعة، حيث كان ذلك البناء في زمن الدولة العثمانية مركزاً لتهيئة اللقاح ضد الجدري، وكان من البديهي ان يسمح لطلاب مدرسة الطب بتلقي الدروس العملية في فن الجراثيم في هذه المؤسسة على مديرها نفسه الذي هو الاستاذ الخياط.

وبعدما تم تعيين الطبيب المشار اليه أستاذاً لفن الجراثيم وفن الصحة في بدء كانون الاول من عام ١٩١٩، بعد ان استقال من العمل في الجيش للانقطاع للعمل الحر في مخبره ـ الذي أسسه مع احد زملائه ابان عام ١٩١٩ ـ وكان أول مخبر اهلي أسس في دمشق للفحوص الطبية المختلفة؛ وكان أول جهد ابداه هو

العمل على نقل ادارة تلك المؤسسة من الجهة العسكرية الى الجهة المدنية مع التعهد بالقيام بما تتطلبه الجهة العسكرية من خدمات في هذا السبيل . ومنذئذ عرفت هذه المؤسسة باسم : مخبر الجراثيم للكلية الطبية العربية ، كما كانت تسمى في أول امرها . ثم لما ترك الطبيب الاستاذ عبد الرحمن شهبندر التعليم في المدرسة الطبية العربية بعد السنة المدرسية الاولى وكان يدرس فن الحيوانات الطبية ، أضيف ذلك الى عهدة الاستاذ الخياط ، فقبل على أن يحور اسم الدرس لاسم فن الطفيليات ، وصار منذ ذلك الوقت أستاذاً لفنون الجراثيم والطفيليات والصحة . وكان لا يألو جهداً منذ ذلك الحين حتى أحيل على التقاعد بحسب السن والخدمة ، في توسيع مخبره هذا والعمل على إتمام نواقصه بحسب ماتسمح به موازنات الدولة حتى صار الى ماوصل اليه ، بحيث يكفي لإجراء جميع الاعمال والتمارين للطلاب في فني الجراثيم والطفيليات وفي فن الصحة في بعض الاحيان . وكان يقوم هذا المخبر مع عمله التعليمي ، بالفحوص الطبية من جرثومية او طفيلية وبعض الفحوص الكيماوية ايضاً لمرضى المستشفى والعيادات التابعة له مدة طويلة من الزمن ، حتى تم انشاء مخبر خاص بتلك الاعمال المخبرية سمي بمخبر المشافي .

وقد كان جهد الاستاذ الخياط العلمي منسجماً كل الانسجام مع شعب اختصاصه ، إذ كان يظهر عليه الميل لها منذ كان طالباً وقد عينه أستاذ فن الجراثيم والصحة في كلية الطب العثمانية مساعداً له منذ كان تلميذاً في الصنف الرابع ... وعندما أتم دراسته والتحق بالجندية ، أسند اليه تأسيس مخبر للجراثيم في بعلبك وآخر في زحلة ، وطلب منه كذلك إتمام العمل في مخبر رياق ، كل ذلك إبان السنة الاخيرة للحرب الاولى . وعندما عاد الى دمشق طلب منه ايجاد مؤسسة المصل والجراثيم كما اسلفنا ، وبقي يدأب على ذلك حتى تركه الخدمة في الجامعة.

وقد كان من الذين عملوا جهدهم على إرساخ قواعد الجامعة وحفظ كيانها تجاه جميع العقبات والدعايات الاستعمارية التي كانت تعترضها ولا سيما لغة هذه الكلية وجعلها عربية قحة ، وأثبتوا بالبرهان العملي الناصع أن اللغة التي وسعت

كتاب الله لفظاً وحكمة لا تقصر عن استيعاب كل مايطلب من اي لغة غيرها من بيان وإفصاح مع سهولة وسلامة ايضاً .

وقد قام بتعريب فني الجراثيم والطفيليات ، إذ كان أول من كتب وألف فيهما في اللغة العربية مع وضع أو انتقاء جميع مصطلحاتها وما فيهما من اسماء لآلاتها وادواتها واسماء لمفرداتها ، وصارت كتبه التي ألفها في الفنون الثلاثة التي عهد اليه بتدريسها المرجع الاول في هذا السبيل .

ج — مخبر الكيمياء : كان من اليسير ايضاً تجهيز مخبر للكيمياء عهد الى الاستاذ عبد الوهاب القنواتي بالاشراف عليه والتدريس فيه [1] ، ولقد نجح الاستاذ عبد الوهاب القنواتي في عمله حتى انه لقب بين رجال الثقافة الأوَل في سوريا بأبي الكيمياء .

لا تدرس اليوم الكيمياء العضوية وغير العضوية في كلية الطب بل اصبحت هاتان المادتان في عداد مواد الصف التأهيبي التابع لكلية العلوم والمعروف بصف ف ك ح : فيزياء ، كيمياء ، حياة .

تدرس كلية الطب اليوم علم الكيمياء الحيوية وقد جعلته اللوائح التنفيذية الحديثة احد مادتي قسم الفيسيولوجيا ، وعهد برئاسة القسم المذكور الى الاستاذ الدكتور اسماعيل عزت الذي يرأس مخبر الكيمياء المجهز بالوسائل الضامنة للتدريس والبحث وتتألف مادة القسم الثانية من الفيسيولوجيا ، ولقد كتب رئيس القسم وأستاذ الكيمياء والحيوية اليوم الدكتور اسماعيل عزت في صدد الكيمياء مايأتي :

تأسس قسم الكيمياء الذي كان يشمل الكيمياء الطبية الحيوية والكيمياء التحليلية والكيمياء العضوية والمعدنية العامة والغذائية عام ١٩١٩ حين تأسيس كلية الطب بدمشق وعين الاستاذ عبد الوهاب القنواتي لرئاسته والتدريس فيه ،

---

(١) كان مساعداً لكل من أستاذ الكيمياء غير العضوية في مدرسة الطب العثمانية الكيمياوي ليغور بك ، وأستاذ الكيمياء العضوية في ذلك العهد أيضاً مصطفى بك .

ثم ندب الاستاذ علي رضا الجندي عام ١٩٣٠ لتدريس الكيمياء الحيوية والتحليلية وبقي حتى عام ١٩٣٧ حيث احيل للتقاعد في حين اختص الاستاذ القنواتي بتدريس الكيمياء العضوية والمعدنية العامة والكيمياء الغذائية ثم عاد الاستاذ القنواتي منذ عام ١٩٣٧ لتدريس الكيمياء الحيوية والتحليلية ايضاً وقد عينت[١] للعمل في الكيمياء عام ١٩٣٩ واصبحت استاذا بلا كرسي عام ١٩٤٧ واستلمت تدريس الكيمياء الطبية الحيوية والغذائية ومبحث المياه منذ ذلك الحين ثم اصبحت استاذا ذا كرسي عام ١٩٥٤ ومازلت اقوم برئاسة القسم حتى الآن ويعمل معي الاستاذ المساعد الدكتور نصوح القطب الذي عين بعد عام ١٩٥٠ والمعيد الدكتور محمد هيثم الخياط الذي عين في عام ١٩٥٩ .

يقوم مخبر الكيمياء بتدريس الكيمياء الحيوية الطبية لطلاب السنتين الاولى والثانية من فرع الطب نظريا وعمليا وكذلك تدريس الكيمياء الغذائية وعلم المياه لطلاب السنة الثالثة من فرع الصيدلة كما يقوم باجراء التحاليل الكيميائية الحيوية لمشافي كلية الطب ثم اعتذر عن ذلك لاتساع الاعمال التدريسية وخاصة حينما انشيء مخبر المشافي .

د ـ مخبر الفيسيولوجيا : لقد كان من اليسير انشاء هذا المخبر بعد ان عهد بهذا الامر لاحد اعضاء هيئة التدريس الاستاذ الدكتور أحمد منيف العائدي[٢] الذي كان في عهد المدرسة العثمانية مساعداً لأستاذ الغريزة سعيد بك جميل ، وقد هيأت الادارة المكان اللازم لتدريس الغريزيات نظرياً وعمليا وفسحت المجال امام المكلف بالتدريس بطلب ما يحتاج اليه من الالات والادوات وما لبث ان سار تدريس الفيسيولوجيا سيرا حسنا .

---

(١) الكلام للاستاذ الدكتور اسماعيل عزت .

(٢) لقد عهد بتدريس الفيسيولوجيا سنة ١٩١٩ الى الدكتور حمدي أمين فالأستاذ الدكتور عبد القادر سري وعهد بتدريسها اعتباراً من ايلول ١٩١٩ الى الاستاذ الدكتور أحمد منيف العائدي .

يشرف على مخبر الفيسيولوجيا في الوقت الحاضر الاستاذ الدكتور محمد شفيق البابا ، وهو من خريجي المعهد الطبي العربي بدمشق وقد انتخب مساعدا بعد نجاحه في اختبار خصص لهذه الغاية سنة ١٩٤٠ ثم ارسل في بعثة دراسية الى جامعة القاهرة للتخصص سنة ١٩٤٥ – ١٩٤٦ وتوسع في دراسة هذه المادة في فرنسا عام ١٩٥١ – ١٩٥٢ ، يساعده في عمله الآن الاستاذ المساعد الدكتور منير البيطار والمعيد الدكتور صلاح الدين الشريف وهما من خريجي كلية الطب بدمشق .

هـ – مخبر النسج والتشريح المرضي والجنين : لقد كان تأمين التدريس المخبري في فنون النسج والتشريح المرضي والجنين عقبة كبرى ، فعهد أولاً بتدريس هذه المواد الى اساتذة كان لهم من الاعمال المدرسية ما يكفي لصرف نشاطهم فيها فلم يستطيعوا ان يتفرغوا للتعمق في هذه المواد ، وقد رأت ادارة مدرسة الطب العربية حينها انه لا بد من الاستعانة بأساتذة اجانب يضمنون تدريس هذه المواد ، كما انه لا بد من ايفاد موفدين ليتخصصوا بهذه العلوم لتدريسها فيما بعد ، وكان من نتائج هذا التفكير ان طلب الى عدد من الاساتذة المرشحين في كليات الطب الفرنسية بقبول أستاذية النسج والتشريح المرضي والجنين في كلية الطب ، وقد اعتذر المكلفون جميعاً لأن كلاً منهم كان استاذاً مرشحاً له مركزه ينتظر الوقت اللازم ليحصل عليه ، وقد تقدم الدكتور جود أحد اساتذة مدرسة الطب العسكرية في باريز – فال دوغراس – لأستاذية الامراض العصبية والتشريح المرضي فقبل طلبه في ١٦ ايلول ١٩٢٥ .

وكان قد عاد من ديار الغرب الدكتور شوكت الشطي [١] بعد ان توسع فيها في دراسة النسج والجنين والتشريح المرضي ، فعهد اليه بتدريس هذه المواد ، وأعطي رتبة محاضر ، وقد خصت كلية الطب المخبر المحدث بقسم كبير من موازنتها ساعد صرفه على جعل هذا المخبر

(١) سبق أن عهد بتدريس مواد النسج والتشريح المرضي الى الأساتذة : جميل الخاني ، سعيد السيوطي ، مصطفى شوقي ، ثم توقف تدريس هذه المواد من سنة ١٩٢٢ الى سنة ١٩٢٥ .

الحديث حينها كامل الوسائل سنة ولادته ، وسار بعدئذ تدريس هـذه المواد – النسج والجنين والتشريح المرضي – سيراً منتظماً ، ثم عين الدكتور طاهر المرادي محاضراً في المخبر المذكور بعد نجاحه في اختبار خصص لهذا الغرض ، كما عاد من ديار الغرب الدكتور كنعان الجابي بعد أن أتم فيها دراسة النسج والباتولوجيا ، ثم أوفد الدكتور طاهر المرادي للدراسة في امريكا فعاد بذلك المخبر غنياً برجاله وموادّه .

و – مخبر فن المداواة – الاقرباذين – : يعتبر هذا المخبر حديث العهد اسسه الدكتور عزة مريدن وجهزه بمفردات طبية نباتيـة ومعدنية وحيوانية وآلات وادوات وغير ذلك فجاء محققاً للغرض الذي انشىء من اجله ، وقد اعتبر فن المداواة قسماً خاصاً عهد برئاسته الى الاستاذ الدكتور مريدن ، ويسهم معه بالعمل فيه الاستاذ المساعد الدكتور اكرم المهايني .

وقد سبق ان درس المداواة السريرية الاستاذ الدكتور ميشيل شامندي .

ز – مخبر الطب الشرعي والسموم – تتابع على درس الطب الشرعي الدكتور حمدي امين سنة ١٩١٩ ، ثم عهد في شهر ايلول ١٩١٩ بتدريس هذه المادة الى الاستاذ الدكتور ميشيل شامندي فعاد استاذاً لهذه المادة واستمر على تدريسها في كليتي الطب والحقوق الى أن أحيل على المعاش ، فعهد بتدريسها الى الاستاذ الدكتور عارف صدقي الطرقجي وقد زوّده الاستاذ أحمد حمدي الخياط يوم عُهد اليه بوكالة المعهد الطبي بموازنة سمحت بانشاء مخبر للطب الشرعي ، ثم عهد منذ مطلع عام ١٩٥٩ الى الاستاذ الدكتور احمد شوكت الشطي بتدريس هذه المادة ويعمل اليوم في قسم الطب الشرعي الدكتور شوكت الشطي ، والدكتور زياد درويش ، والدكتور اديب القدسي .

تلك هي ملخص سيرة المخابر في المدرسة الطبية العربيـة ، ففي المعهد الطبي العربي ، واخيراً في كلية الطب .

البحث الثالث

فرع الصيدلة

ومما يجدر ذكره ان كلية الطب كانت ، ولا تزال ،تخرج الصيادلة [1] ايضاً . ولقد طلبنا من الاستاذ صلاح الدين الكواكبي ان يزودنا بما لديه من معلومات فكتب لنا يقول :

لم يكن لفرع الصيدلة في كلية الطب كرسي للكيمياء التحليلية والحيوية ولا مخبر لتطبيقاتهما العملية منذ تأسيس المعهد الطبي العربي ، وكانت هاتان المادتان تدرسان بالاشتراك مع فرع الطب ، وقد استطعت إقناع المشرف على كلية الطب بلزوم تخصيص كرسي للكيمياء التحليلية والحيوية في فرع الصيدلة مستقلاً عن كرسي الكيمياء الطبية لفرع الطب ، وصدر القرار بالتنظيم وباضافة هذا الكرسي ، وأسند للكواكبي تدريسهما ، وكان أستاذا مرشحاً يومئذ ، فقام بتدريسهما ، وهو حتى الآن أستاذ هاتين المادتين ، وأسس مخبر الكيمياء في مكانه الحالي من كلية الطب ، وما زال يدخل عليه التحسينات من أجهزة وآلات ومواد كيمياوية حتى عاد اليوم وافيا بغرض التدريس مع التطبيقات العملية لطلاب فرع الصيدلة وفي عام ١٩٥٣ كلف مجلس اساتذة كلية الطب بقراره الإجماعي الاستاذ الكواكبي بتدريس مادة علم السموم ، فقام بتدريسها – بالاضافة الى مادتي الكيمياء المذكورتين – ، وأسس مخبر السموم وما زال يدخل عليه من التحسينات وما يلزم من آلات واجهزة حديثة ومواد كيمياوية بمعونة العمداء السابقين ومدير

---

(١) ان النية تتجه الى جعل فرع الصيدلة كلية مستقلة .

الجامعة الحالي السيد الدكتور حكمة هاشم حتى اصبح عام ١٩٥٩ مخبرا صالحاً للتحليلات العدلية والبحوث العلمية التي يقوم بها الآن الاستاذ المدرس الدكتور مصطفى الدقاق الأخصائي بالسموميات من كلية الصيدلة بباريس ، واخذت الدوائر العدلية ترسل الى هذا المخبر القضايا الجنائية المحتاجة للتحليل السمومي تنويراً للجهة العدلية .

ولقد طلبنا ايضاً من الاستاذ زهير البابا أن يكتب لنا عما يشرف على تدريسه في فرع الصيدلة فقال :

تاريخ قسم العقاقير : لم يكن لعلم العقاقير النباتية وجود في فرع الصيدلة من كلية الطب حتى عام ١٩٤٥ . وكان الأساتذة الأطباء يدرسون الصيادلة هذه المادة مع بقية العقاقير الكيميائية والحيوانية تحت اسم علم المفردات الطبية.

ولما تحرر الاقليم الشمالي ونال استقلاله التام عام ١٩٤٥ قامت الحكومة الوطنية بايفاد بعثات علمية الى كافة انحاء العالم الغربي . وكان من جملة من ارسل الصيدلي محمد زهير البابا للاختصاص بعلم تشخيص العقاقير .

وفي مطلع عام ١٩٤٩ عين المذكور مدرساً لهذه المادة في فرع الصيدلة من كلية الطب بعد نيله شهادة الدكتوراه ، ولما يزل حتى الآن يقوم بهذه المهمة بصفة استاذ مساعد . وقد استطاع بجهده الشخصي أن يكوّن نواة جيدة لمتحف يضم عدداً لا بأس به من العقاقير النباتية المحلية والمستوردة .

ولقد استطعنا من دراسة ما تم في فرع الصيدلة استخلاص المعلومات الآتية التي أيدها الاستاذ السيد عز الدين الزين :

كان فرع الصيدلة حتى عام ١٩٤٧ يُدرّس فيه الاستاذ شوكه الجراح والاستاذ عبد الوهاب القنواتي وكان يساعد الأخير الاستاذ اسماعيل عزة . وكان طلاب الصيدلة آنذاك يدرسون الكيمياء التحليلية والحيوية والسموم مع طلاب الطب.

وفي عام ١٩٤٧ انشيء مخبر للكيمياء التحليلية والحيوية خاص بطلاب الصيدلة وكلف الاستاذ الكواكبي بتدريسهم هاتين المادتين . وفي عام ١٩٥٩ أسس

مخبر للسموم تابع لفرع الصيدلة وجهز بالأدوات والاجهزة اللازمة للقيام بمختلف التحاليل السمية .

البحث الرابع

التمريض ومدرسته

اذا ألقينا نظرة عجلى على ماضي التمريض في سورية وحاضره رأينا بوناً شاسعاً بينهما ، فقد ماشى التمريض حالة المشافي وارتقائها كما ساير تطور الشعب السريري وتدرجها في مضمار التقدم ، لقد كانت المشافي منذ بضع عشرات من السنوات سيئة السمعة لا يدخلها المريض الا مرغماً ولا ينظر اليها الشعب الا نظرة الرعب والخوف لاعتقاده انها الوسيلة الوحيدة للقضاء على الحياة والاقتراب من الأبدية ، وكان يردد في صددها قول مأثور الداخل مفقود والخارج مولود. وكان التمريض في ذلك العهد مقتصراً على اطعام المرضى والاعتناء بنظافة اجسامهم وعمل الحقن لهم ، وكان ينحصر عمل هؤلاء الممرضات في المشافي ولا يتعداها الى الفروع الاخرى المتصلة بالطب .

ولقد دعا تقدم الطب في سورية الى وجود عدد من المخابر المختلفة من كيميائية ونسجية وشعاعية وجرثومية وسواها ، يستند اليها في التشخيص وتوجيه المعالجة مما دعا الممرضة الى القيام بالعمل ليس في المشافي فحسب بل في المخابر الطبية وغيرها حيث يحسن اسهامها بالعمل ، تطور بذلك التمريض فاصبح علماً واسعاً لا يدرك الا بعد الجهد والجد والدرس المتمادي الطويل .

لقد شعرت كلية الطب منذ سنواتها الاولى بضرورة العناية بهذا الفن فبدأت أولاً باعطاء دروس للقابلات المتمرنات ، ثم عمدت عام ١٩٢٢ الدراسي الى تنظيم هذا التدريس وجعلت مدته ثلاث سنوات وفي عام ١٩٢٦ - ١٩٢٧ أسس

رسمياً فرع التمريض وفرع القبالة والحقا بالمعهد الطبي العربي كما كان يدعى حين ذاك فاقبلت عليها الطالبات ، وأخذت الجامعة تمنح الخريجات المنتسبات ابتداء من ذلك العام شهادة في التوليد الطبيعي ووثيقة تدل على مثابرتهن على اعمال التمريض في المشافي ، وفي عام ١٩٤٦ - ١٩٤٧ استبدل الفرعان بمدرسة للتمريض والقبالة واصبحت الدراسة فيها ثلاث سنوات للحصول على شهادة رسمية في التمريض ويضاف اليها سنة رابعة اضافية للحصول على شهادة في التوليد الطبيعي وفي عام ١٩٤٩ عدل نظام المدرسة وادخلت فيه اصلاحات اقتضتها خبرة التعليم والتدريب في هذا الفن والحاجات التي اظهرتها نهضة البلاد في ميادين التعليم والصحة العامة. وكانت شروط القبول في بداية تأسيس المدرسة حمل طالبة الانتساب شهادة ابتدائية او تقديمها فحصاً معادلاً لفحوص الشهادة الابتدائية . ولما كثر عدد طالبات الانتساب زيد شرط جديد يقضي باجراء المسابقة بين حاملات الشهادة لتقبل من بينهن من كان معدلها أعلى من غيرها ثم عدل عن الشهادة الابتدائية المشفوعة بالفحص الى اشتراط شهادة الكفاءة واشترط اخيراً الفحص مع حمل الشهادة المذكورة، وقد لا يمر زمن طويل حتى تصبح شهادة البكالوريا مشروطة في طلب الانتساب وتصبح حينئذ شهادة التمريض شهادة جامعية عليا .

وهكذا ، ما فتئت الكلية والجامعة خلال السنوات الماضية ، تجهدان باستمرار وعلى مراحل متتابعة لرفع مستوى التدريس والاختبار المسلكي في هذا الفن، وحاولت الجامعة ان تنشىء لطالبات هذه المدرسة بناء صالحاً لدراستهن ومسكناً يوفر لهن اسباب الراحه بعد ما يبذلنه من عناء في خدمة المرضى ، ويهيىء لهن الجو الاجتماعي والثقافي الذي يتطلبه استعدادهن لمهنة من ارقى المهن وأرفعها مكانة . غير ان الصعوبات المادية كانت تقف دوماً دون تحقيق هذه الأمنية ، الى ان زار الجامعة وفد من المغتربين الذي أمّ الوطن من البرازيل وكان من أعضاء هذا الوفد السيدة الكريمة والمحسنة الفاضلة كرجية عبد الله الحداد فاطلعت على هذه الحاجة التي تشعر بها الجامعة

وبادرت الى توفيتها متبرعة بمبلغ مائـة وخمسين الف ليرة سورية لاقامة البناء المنشود تخليداً لذكرى زوجها العصامي النابه والوطني العامل المرحوم اسعد عبد الله الحداد ، ولقد كان من الخير ان خصت المتبرعة الكريمة هبتها بمدرسة التمريض والقبالة ، فللممرضة اليوم مكانها المرموق في ميدان العلم وخدمة المجتمع ذلك ان معالجـة المريض لم تعد مقتصرة على تشخيص الداء ووصف الدواء او اجراء العملية وانما اخذت تشمل بشكل متزايد العناية المستمرة به ، هذه العناية التي تساهم بها الممرضة مساهمة خاصة فعالة .

ومهنة التمريض تقتضي جهداً دائماً وسهراً مستمراً ، وتتطلب احساساً بألم الغير ، وحدباً على الجسم المعذب والنفس المضطربة القلقة .

وقد وضع في الساعة الخامسة من مساء يوم الاربعاء الخامس عشر من شهر رجب عام ١٣٧١ هـ الموافق للتاسع من شهر نيسان عام ١٩٥٢ رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء الزعيم فوزي سلو حجر الاساس لهذا البناء . وكان مدير المدرسة الاستاذ الدكتور عزة مريدن وعميد كلية الطب الاستاذ الدكتور انسطاس شاهين ورئيس الجامعة السورية الاستاذ الدكتور قسطنطين زريق ، ولقد ألفت عندما تبرعت السيدة كرجية حداد لجنة عهد اليها بالاشراف على البناء قوامها سيادة المطران اغناطيوس حريكة والاساتذة الدكتور قسطنطين زريق رئيس الجامعة والدكتور انسطاس شاهين عميد كلية الطب والدكتور نظمي القباني احد اساتذة كلية الطب والدكتور شوكت القنواتي الاستاذ في كلية الطب ومدير مدرسة التمريض ووضع تصميم البناء المهندس السيد خليل الفرا .

وقد تم هـــذا البناء سنة ١٩٥٤ واحتفل بتدشينه في ٢١ ايلول ١٩٥٤ بحضور رئيس مجلس الوزراء والقى في هذه الحفلة وزير المعارف ورئيس الجامعة حينئذ الاستاذ نهاد القاسم كلمة ممتازة جـاء فيها مخاطباً المحسنة الكبيرة بقوله : دأبوا يذكرون في الصحف حين يذكرونك بالسيدة المغتربة فاسمحي لي ان اتجاوز هذه التسمية فمـا كنت مغتربة لان الذين يعيش وطنهم في انفسهم

لايعرفون الاغتراب ولان الذين يقاسمهم وطنهم مالهم وثروتهم واهتمامهم وراحتهم انما هم من صميم الوطن ، ولان مثلك من الذين يفكرون ان يربطوا بالصلة بين عملهم ووطنهم ، انما هم المواطنون حقا فما كنت مغتربة ولن تكوني في حين كذلك ، اذ سيذكرك كل طيف وستتعرف اليك كل اسرة وسيصيبك من كل دعوة تشع بالرجاء في اشد حالات المرض والالم نصيب وفي .

كما القى الدكتور انسطاس شاهين كلمة باسم اللجنة التي اشرفت على البناء ثم القيت كلمة كلية الطب فكلمة سيادة المطران حريكة باسم عائلة المحسنة الكريمة .

لقد اقتبسنا ما جاء عن مدرسة التمريض في كتابنا هذا من كلمات وردت في خطاب رئيس الجامعة السورية آنذاك الاستاذ قسطنطين زريق وعميد كلية الطب حينها الاستاذ انسطاس شاهين ، هذا ومما يجدر اثباته في هذا الصدد هو انه كان للعميد الاستاذ انسطاس شاهين الاثر الكبير في توجيه المحسنة الكبيرة كرجية حداد شطر الاسهام باشادة مدرسة التمريض كجزء من نشاطها في ميدان الاعمال الخيرية ومدّ مؤسساتها بالمال وذلك بأن نفراً من كرام المغتربين[1] تبرع كل منهم في زيارتهم الى سورية بمبلغ قدره ثلاثون الف ليرة سورية على ان يصرف في اشادة بناء للعيادات الخارجية التي وضع حجره الاساسي في ٢٤ ذي الحجة ١٣٧٦ هـ وصادف ان توفي احدهم اسعد عبد الله الحداد فقدمت دمشق في زيارة عابرة لوطنها الاصلي زوجته كرجية الحداد ، زارها مع ذويها عميد كلية الطب الاستاذ انسطاس شاهين معزياً بوفاة زوجها وتطرق في الحديث مع ابنتها الى البحث عما كان لوالدها من تبرع سابق واقترح عليها ان تبحث مع والدتها بتبرع سخي يخصص لبناء مدرسة للتمريض فنقلت الاقتراح البنت لامها السيدة كرجية الحداد فتقبلته قبولا حسنا وتبرعت بمبلغ قدره ١٥٠,٠٠٠ ليرة سورية اردفتها بمبالغ اخرى . وعندما زارت السيدة كرجية واولادها

---

(١) هم السادة : جورج طحان ، بشارة المحرداوي ، ادوار سالم ، يوسف اليازجي ، رزق الله وجورج سابا واسعد عبد الله الحداد .

دمشق لحضور حفلة التدشين لبناية مدرسة التمريض وعرض عليها زيادة بناء طابق آخر تستوعب العدد المتزايد من طالبات هذا الفن تبرعت بمبلغ خمسين الف ليرة سورية إضافة الى تبرعها السابق .

وتعد مدرسة التمريض اليوم مدرسة نموذجية باساليب التدريس ووسائل الايضاح والتمرينات العملية وما الى ذلك من نواح علميـة وعملية ذات شأن تتوفر فيها حتى يصح ان يقال فيها إنهـا احسن مدرسة للتمريض في الشرق الاوسط .

البحث الخامس

مدرسة طب الاسنان [1]

يرجع الفضل في تنظيم دراسة طب الاسنـان الى الدكتور رضا سعيد فقد هاله ما كان عليه طب الاسنان من تأخر في سوريا حيث كان يتعاطى هذه المهنة محترفون جاهم من الدجـالين . وكان اول عمل باشر به ان مهـد السبيل امام هؤلاء لاتباع دورة تعليمية مدتهـا محدودة سمحت الحكومة لمن اثبت كفاءة خلالها ونجح في فحص اختباري اجري بعدها بتعاطي طب الاسنان باسم متمرن، وكان ذلـك تدبيراً موقتاً ريثما ينظم تدريس طب الاسنان . ولقـد انشىء عـام ١٩٢١ فرع لتدريس طب الاسنان الحق بمدرسة الطب العربية حيث عين الدكتور جورج عربيلي مدرساً فيه سنة ١٩٢٢ وقـد خلفه الدكتور عفيف ايليا عـام ١٩٢٤ كما الحق للمساهمة بالتدريس في فرع طب

---

(١) اصبحت مدرسة طب الاسنان كلية مستقلة اعتبارا من مطلع سنة ١٩٥٩ .

الاسنان كلٌ من الدكتورين ميشيل الخوري في تشرين اول والدكتور نيقولا سلمون في تشرين الثاني من السنة نفسها ثم استقال كل من الدكتور عفيف ايليا في شهر كانون اول من سنة ١٩٢٥ ونقولا سلمون في الشهر الاول من سنة ١٩٢٦ فقبلت استقالتها والحق في مطلع سنة ١٩٢٦ الدكتور ابراهيم قندلفت للمساهمة بالتدريس في هذا الفرع . وقد تقرر الاستعانة باستاذ اجنبي في ايار سنة ١٩٢٦ ثم رفع الدكتور ميشيل الخوري في شهر آذار الى رتبة مكلف بالتدريس والدكتور ابراهيم قندلفت الى رتبة رئيس مخبر في شعبة طب الاسنان وما زالا يتدرجان في التقدم حتى عـــادا استاذين اصيلين واختير الدكتور جينسته من اطباء الاسنان العسكريين ليكون في عداد العاملين في فرع طب الاسنان .

وقد تألفت الجامعة السورية بتاريخ ٢٢ آب سنة ١٩٢٨ من كلية الحقوق والمعهـد الطبي بشعبه الثلاث وهي الطب والصيدلة وطب الاسنان ومدرسة التمريض والقبالة .

شيد بناء مدرسة طب الاسنان بتاريخ ١ كانون الاول ١٩٤٤ وقد ضم فرع طب الاسنان اربع شعب .

١ً– شعبة الجراحة وامراض الفم : رأسها الدكتور الاستاذ جمال نصار ويساعده فيهـا اليوم الاستاذ المساعد الدكتور شفيق الايوبي . ان شعبة امراض الفم وجراحته هي احدى الشعب العاملة في المشافي وهي في الوقت نفسه مرتبطة من الوجهة التعليمية بمدرســـة طب الاسنان لان امراض الفم وجراحته هي من العلوم التي تدرس نظريا وعمليا في هذه المدرسة . تجرى في هذه الشعبة الاعمال الجراحية على الفكين وتعالج فيها امراض اللثة والاسنان .

وتقوم شعبة امراض الفم في عيادتها التابعة لمدرسة طب الاسنان يوميا بفحص المرضى المراجعين ومداواتهم وتوزيعهم على سائر شعب المدرسة تبعاً لنوع المداواة الطبية او العملية التي يحتاجون اليها من مختلف الشعب في المشافي وفضلا

عن ذلك فعليها يقع واجب مداواة المرضى الذين يدخلون المستشفى لاصابتهم بأمراض الفم او ان يكون هؤلاء بحاجة الى الاسعاف السريع لاصابتهم باحدى الآفات الجراحية في الوجه او الفكين .

وشعبة امراض الفم هي احدث شعبة في المشافي لانها لم تنشأ كشعبة مستقلة الا في سنة ١٩٤٨ غير ان المصابين بامراض الفم او بآفات الفكين الجراحية كانوا يعالجون قبل هذا التاريخ في مدرسة طب الاسنان وكانوا يقبلون في المستشفى في شعبة الجراحة العامة او في شعبة جراحة الرأس ، ولكن دعت الحاجة في حرب فلسطين الى مداواة عدد كبير من الجرحى المصابين في الوجه وفي الفكين فأنشئت اذ ذاك شعبة امراض الفم وخصص لها قاعتان وعدد كاف من الاسرة فاصبح لها كيانها المستقل الخاص بين الشعب الاخرى في المشافي .

ويلازم الآن طلاب مدرسة طب الاسنان في شعبة امراض الفم لمداواة مرضاها ولمتابعة سير آفاتهم الجراحية او الطبية في اوقات خاصة تعين لهذا الغرض .

وقد تبين ان لهذه الملازمة فائدة كبرى لاتقل عما يجنيه الطلاب من الفوائد المتوفرة في الشعب الأخرى من مدرسة طب الاسنان . وقد كان عدد المرضى الذين عولجوا في شعبة امراض الفم وعياداتها منذ سنة ١٩٤٧ كما يلي : سنة ١٩٤٧ (٧٤١٥) مريضاً ، سنة ١٩٤٨ (٨٣٢٣) مريضاً ، سنة ١٩٤٩ (٩٠٦٦) مريضاً سنة ١٩٥٠ (٧٥٧٣) مريضاً وامكن في السنوات الثلاث الاخيرة ان يداوى عدد كبير من اللاجئين الفلسطينيين وذلك ما سبب هذه الزيادة الظاهرة في عدد المرضى في السنتين ١٩٤٨ – ١٩٤٩ .

ويرجى ان تنال شعبة امراض الفم في السنوات القادمة ما تستحقه من العناية والاهتمام وتخصص لها الممرضات اللواتي يتناوبن العمل فيها اسوة ببقية الشعب في المشافي ، والامل وطيد ان تزاد آلاتها وتجهيزاتها زيادة محسوسة تمكنها من

النمو والتقدم لتستطيع المساهمة بصورة فعالة في الخدمة الانسانية التي تقوم بها مشافي الجامعة .

٢ً – شعبة المداواة : يرأسها الدكتور ميشيل خوري ويساعده الاستاذ المساعد الدكتور عدنان صبري وتقوم هذه الشعبة بمعالجة امراض الاسنان .

٣ً – شعبة تقويم الاسنان : يرأسها الدكتور الاستاذ نجاة الصفدي وتعالج فيها انواع الشذوذ التي تصيب الفكين والاسنان ، خلقية كانت ام ولادية ام كسبية .

٤ً – شعبة الصناعة: وتقسم الى ثابتة ومتحركة يشرف على الثابتة الدكتور الاستاذ نجاة الصفدي ويجري فيها تركيب التيجان والجسور ويشرف على المتحركة الاستاذ ابراهيم قندلفت وتركب فيها الصفائح الكاملة والجزئية .

هذا ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان الدكتور في الطب وطب الاسنان الاستاذ جمال الدين نصار كان منذ توليه ادارة فرع طب الاسنان يسعى الى فصله عن كلية الطب وجعله كلية مستقلة جرياً على ما هو عليه الحال في اكثر المعاهد التي تدرس طب الاسنان . وقد وفق الى ذلك في السنوات الاخيرة وعادت بذلك اليوم كلية طب الاسنان احدى كليات الجامعة وقد عهد بعمادتها الى الدكتور الاستاذ جمال الدين نصار وبوكالة العمادة الى الاستاذ الدكتور نجاة الصفدي والامل معقود بما اعد للنهوض بهذه الكلية من برامج عملية ان تصبح في عهد قريب جداً كاملة الوسائل والاجهزة والآلات والادوات .

البحث السادس

التأليف والبحث العلمي والجمعية الطبية الجراحية

أ ـ **التأليف** : قامت في كلية الطب حركة تأليف واسعة منذ تأسيسها حتى انه يمكن القول بأنه ما من علم يدرس في كلية الطب بدمشق إلا وفيه مؤلف باللغة العربية ، وإليك اسماء المؤلفين مع الكتب التي الفوها ملخصة عما جاء في فهرس مطبوعات جامعة دمشق :

البابا « شفيق » : ١ ـ علم الغرائز والفيسيولوجيا ٢ ـ الغريزة ٣ ـ الموجز في مبادىء التشريح والغرائز البشرية .

برمدا « محمود » : فن التوليد :

ترابو : استشارات الطبيب الممارس بالاشتراك مع الاستاذين محرم ومريدن والاطباء دقاق حورية ، فرعون .

جابي « كنعان » : فن النسج بالاشتراك مع الاستاذين شوكت الشطي وطاهر المرادي .

الجندي « علي رضا » : الكيمياء الحيوية .

خاطر « مرشد » : الامراض الجراحية في خمسة اجزاء .

الخياط « احمد حمدي » : ١ ـ الجراثيم الطفيلية ٢ ـ فن الجراثيم ٣ ـ فن الصحة والطب الوقائي .

الحيمي « مدني » : امراض القلب مع موجز في امراض الاوعية وامراض الكلية وفصل في التخطيط القلبي الكهربائي .

الزين « عز الدين » : موجز الكيمياء الصيدلانية بالاشتراك مع الدكتور راتب المحملجي .

سبح « حسني » : ١ً – علم الأمراض الباطنة في سبعة أجزاء ٢ً – فلسفة الطب أو علم الأمراض العام ٣ً – معجم الالفاظ والمصطلحات ٤ً – معجم الالفاظ والمصطلحات الفنية الواردة في أمراض جهاز التنفس ٥ً – موجز أمراض الجملة العصبية ٦ً – موجز مبادىء علم الأمراض لطب الاسنان ٧ً – موجز مبادىء علم الأمراض ٨ً – موجز مبحث الأعراض والتشخيص .

سياج « حنين » : امراض الجلد .

الشطي « شوكت » : ١ً – تاريخ الطب ٢ً – الرياضات المسنونة ٣ً – علم آداب الطب أو علم ما على الأطباء من واجبات وما لهم من حقوق ٤ً – علم تكون الجنين ٥ً – علم الوراثة ٦ً – فن النسج ٧ً – اللباب في الإشباب ٨ً – موجز في التشريح المرضي ٩ً – النسج وغرائزها ١٠ً – نظرات في ابن القيم ١١ً – نظرات في التتن والدخان ١٢ً – نظرات في القهوة والشاي ١٣ً – نظرات في المسكرات

شورى « منير » : موجز الأمراض الجراحية بالاشتراك مع الاستاذ مرشد خاطر .

شوقي « مصطفى » ١ً – التشريح الوصفي ٢ً – التشريح الطبي الجراحي

الصباغ « فيصل » ، ١ – علم الأمراض العقلية ٢ – موجز أمراض الاليرجيا والغراء ، وامراض الجهاز الحركي .

الصباغ « ممدوح » : الوجيز في أمراض العين .

الصفدي « نجاة ابراهيم » : صناعة التيجان والجسور .

الطرقجي « عارف صدقي » : ١ – الطب الشرعي والطب الاجتماعي ٢ – المباحث الجنائية والتحقيق العدلي الفني .

العائدي « احمد منيف » ١ – فن الغرائز والفيسيولوجيا بالاشتراك مع الدكتور احمد الطباع ٢ – مباحث في الغرائز المرضية والأمراض التجريبية ٣ – موجز في أمراض الأطفال بالاشتراك مع الدكتور شفيق البابا .

عزة « اسماعيل » : ١ – مختصر في الكيمياء الحيوية الطبية ٢ – مختصر في الكيمياء الغذائية .

العظمة « بشير » : ١ ـ الامراض الانتانية والطفيلية ٢ ـ امراض جهاز التنفس ٣ ـ موجز علم الأمراض الباطنة بالاشتراك مع الاستاذ حسني سبح .

القباني « نظمي » : موجز الطب الجراحي .

القنواتي « شوكت » : فن التوليد : الحمل والولادة بالاشتراك مع الاستاذ محمود برمدا .

القنواتي « عبد الوهاب » : ١ـ علم الكيمياء ٢ ـ مختصر في الكيمياء الطبية

الكواكبي « محمد صلاح الدين » : ١ ـ التطبيقات العملية للكيمياء التحليلية والتحليل الكمي ٢ ـ التطبيقات العملية للكيمياء الحيوية ٣ ـ الحاثات في الكيمياء الحيوية ٤ ـ الحموض القلوية ٥ ـ الدوتيريوم والهيدروجين الثقيل ٦ ـ علم السموم ٧ ـ الكيمياء الحيوية ٨ ـ الكيمياء العضوية ٩ ـ مصطلحات علمية ١٠ ـ موجز في الكيمياء الحيوية لشعبة طب الأسنان ١١ ـ موجز في الكيمياء العضوية لفرع طب الأسنان ١٢ ـ النظائر .

اللبابيدي « محمد لطفي » : امراض البطن الجراحية

المالكي « موفق » : امراض جهاز الهضم

مجلة المعهد الطبي العربي من سنة ١٩٢٤ ـ ١٩٤٧ : تبحث في الطب والصيدلة وجميع فروعها كان يصدرها مصورة المعهد الطبي العربي بدمشق ، مرة في الشهر ما عدا شهري آب وايلول رئيس انشائها : الدكتور مرشد خاطر (بدأ طبع هذه المجلة في الجامعة السورية منذ عام ١٩٣١ توقفت عند المجلد الثامن) .

مرادي « طاهر » : كتاب التشريح المرضي بالاشتراك مع الاستاذين شوكت الشطي وكنعان الجابي .

مريدن « عزة » : ١ ـ علم الأدوية ٢ ـ مبادىء علم الأدوية بالاشتراك مع الدكتور أكرم المهايني .

المسكي « عبد اللطيف » : ١ ـ مبادىء فن الجراثيم والطفيليات ٢ ـ مختصر فن الجراثيم ٢ ـ ملخص مدخل فن الجراثيم .

المط « محمد فائز » : كتاب التشريح الجراحي الوصفي .

مهايني « اكرم » : مبادىء علم الأدوية بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور مريدن.

النصار « جمال الدين » : علم المادة الطبية ، مفردات الطب .

واكيم « خليل » : الغدة الدرقية في حالتي الصحة والمرض .

وعلينا أن نبين ان لأساتذة كلية الطب بدمشق مؤلفات طبعت في غير مطبعة الجامعة من ذلك كتاب السريريات والمداواة الطبية لمؤلفيه الأساتذة : ترابو ومرشد خاطر وشوكت الشطي وكتاب التشريح الوصفي وكتاب التشريح التاجي للاستاذ عبد القادر سري ، وكتاب القطوف اليانعة في علم الطبيعة للاستاذ جميل الخاني ، وكتاب في السموم للاستاذين ميشيل شمندي وصلاح الدين الكواكبي ، وعدة كتب سريرية وضعها الأستاذ لوسركل ونقلها الى العربية الأستاذين مرشد خاطر وشوكت الشطي مشتركين او منفردين وكتاب تاريخ الطب عند العرب وكتاب الاسلام والصحة تأليف الدكتور شوكت الشطي . ومبادىء امراض الاذن والانف والحنجرة تأليف الاستاذ الدكتور صلاح عثمان.

ب ـ **البحث العلمي** : قام اساتذة كلية الطب ببحوث علمية نشرت خاصة في مجلة المعهد الطبي العربي كما نشر بعضها في المجلة الطبية العلمية في بيروت او في المجلة الطبية المصرية ، وقد نشر جزء منها في المجلات الفرنسية مثل مجلة امراض البلاد الحارة ومجلة الطباعة الطبية[1] ومجلة العالم الطبي[2] وغيرها من المجلات الغربية وقد نقلت بعض أمهات كتب الطب الفرنسية[3] عن اساتذة كلية الطب بدمشق ابحاثهم المتعلقة بداء الجلبان[4] كما اشتهرب ابحاثهم عن التشمع الضموري البردائي[5] .

ج ـ **الجمعية الطبية الجراحية** : اسست في ٢١ حزيران سنة ١٩٣٤ من قبل الاطباء السادة ابراهيم الساطي ، احمد حمدي الخياط ، احمد راتب الصبان ،

---

(١) La presse médicale (٢) Le monde médical
(٣) encyclopédie medicale française (٤) Lathyrisme
(٥) cirrhose atrophique palustre

احمد منيف العائدي ، اسعد الحكيم ، انسطاس شاهين ، بربكستون ، ترابو ، جمال الدين نصار ، حسني سبح ، دوسوتو ، رضا سعيد ، سيهرا ، سعيد السيرطي ، سوليه ، شوكت الشطي ، طاهر الجزائري ، عبد الغني المحملجي ، عبد القادر الزهراء ، علي رضا الجندي ، كالمات ، لوسركل ، ماتروبر ، محمد محرم ، مرشد خاطر ، مصطفى شوقي ، مصطفى شوكت زكريا ، ميشيل شامندي ، نظمي القباني ، سونريل ، وقد اشترط ان يكون طالب الانتساب دكتوراً في الطب وان يقدم عملاً غميساً . ولقد شجعت الجمعية الطبية الجراحية روح البحث والمناقشة بين الاطباء فساهمت بتقدم الطب في سورية .

البحث السابع

اسماء عمداء كلية الطب واعضاء هيئتها التدريسية السابقين

١ً ـ العمداء : الاساتذة السادة	من عام	الى عام
الدكتور رضا سعيد	١٩١٨	١٩٢٣
الدكتور سامي الساطي	١٩٢٣/٣/١٥	١٩٣٢/١٠/١
الدكتور منيف العائدي	٩٣٤/١٠/٢١	٩٣٦/١٠/٢١
الدكتور مصطفى شوقي	١٩٣٦/٣/٢٢	١٩٣٨/٤/١٢
الدكتور حسني سبح	١٩٣٨/١٠/١٩	١٩٤٦/٩/٣
الدكتور حمدي الخياط	١٩٤٦/٩/٤	١٩٤٧/٥/٢٤
الدكتور مرشد خاطر	١٩٤٧/٧/٢٨	١٩٤٧/٩/١٥
الدكتور منيف العائدي	١٩٤٧/١٠/١٨	١٩٤٩/٤/٢٥
الدكتور انسطاس شاهين	١٩٤٩/٦/٢٢	١٩٥٢/٧/٢١
الدكتور شوكة القنواتي	١٩٥٢/٧/٢٢	١٩٥٦/٧/١٣
الدكتور عزة مريدن	١٩٥٦/٨/٢٢	العميد الحالي

٢ً – الاساتذة السادة:

رضا سعيد	استاذ امراض العيون
احمد راتب	« الامراض والسريريات الخارجية
احمد سامى الساطي	« الامراض الداخلية
سعيد السيوطي	« الجراحة وفن الانسجة
عبد القادر سري	« علم التشريح والامراض الاذنية
سعيد شيخ الارض	« علم التشريح
عبد الله مظهر	« علم حفظ الصحة
حسام الدين ابو السعود	« فن الجراثيم والحيوانات الطبية
صادق الطرابيشي	« الامراض الاذنية وسريرياتها
جميل الخاني	« فن الانساج والتشريح المرضي والامراض الجلدية والزهرية
حمدي امين	« الطب الحقاني والفسيولوجيا
عبد القادر راضي	« علم الامراض العامة
عبد الوهاب القنواتي	« الكيمياء المعدنية والحياتية
الياس المر	« الحكمة الطبيعية
خيري القباني	« فن القبالة
صوتراكي شان	« السريريات النسائية
منيف العائدي	« الحكمة الطبية والحيوانات والنباتات
فهمي ابو السعود	« فن الصيدلة وتطبيقات الكيمياء
عبد الرحمن الشهبدر	« الحيوانات الطبية
ميشيل شمندي	« مفردات الطب والطب الشرعي
طاهر الجزائري	« السريريات الخارجية والجراحة الكبرى والصغري
ابراهيم الساطي	« فن القبالة وامراض النساء

كاظم الجزائري ـ اللغة الفرنسية
منير المحايري ـ الكيمياء الآلية والصيدلية
اديب الجعفري ـ الامراض السارية
شوكة الجراح ـ الكيمياء
لوسركل ـ السريريات الجراحية
جود ـ الامراض العقلية
ترابو ـ السريريات الداخلية
سوليه ـ الامراض الجراحية
علي رضا الجندي ـ الكيمياء الطبيعية
محمد محرم ـ الامراض الجلدية والزهرية
اديب سردست ـ امراض العيون
احمد شاهر الطباع ـ الغرائز
توفيق المنجد ـ الطبيعة الطبية
شارل ـ التوليد
احمد حمدي الخياط ـ الجراثيم وعلم الصحة
شوكة القنـواتي ـ التوليد وامراض النساء

البحث الثامن

اعضاء هيئة التدريس الراحلون

توفي من اعضاء الهيئة التدريسية السابقة الاساتذة ابراهيم الساطي ، احمد راتب ، امين معلوف ، جميل الخاني ، رضا سعيد ، شوكة الجراح ، صادق الطرابيشي ، صوتراكي شان ، طاهر الجزائري ، عبد الرحمن الشهبندر ، عبد القادر سري عبد الله مظهر ، لوسركل ، مرشد خاطر ، ميشيل شامندي .

ابراهيم الساطي – من مواليد ١٨٩٢ : اتم دراسته الابتدائية والثانوية في مدارس دمشق الحكومية ثم انتمى الى المدرسة الطبية العثمانية في دمشق فكان من الطلاب المبرزين واتخذه عدد من اساتذتها في زمرة مساعديهم وقد تخصص بالولادة وامراض النساء بارشاد استاذه المولد اسماعيل احمد وكان ملماً بالجراحة وتم تدريبه عليها بارشاد استاذه الجراح مصطفى بك الاوبراتور وما ان انطلق في الحياة العملية حتى عرفه الناس جراحاً ومولداً كسب ثقة مراجعيه وقدروا خبرته ، وحينما احدثت مدرسة الطب العربية عين فيها استاذاً للتوليد وامراض النساء ورئيساً لسريرياتها فقام بعمله خير قيام ، نال وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الاولى سنة ٩٤٣ ويعتبر الاستاذ ابراهيم الساطي الساطي من اوائل الاختصاصيين العرب بالقبالة والتوليد في سوريا .

احمد راتب ١٨٧٧–١٩٦٠ : اتم دراسته الابتدائية والثانوية في مدارس دمشق الحكومية ثم انتمى الى المدرسة الطبية العسكرية في استانبول فكان فيها من الطلاب المبرزين . اولع بالجراحة فاختص بها ثم استخدمه الجيش العثماني جراحاً في مشافيه فكان من اوائل الجراحين في الدولة العثمانية وقد اختير استاذاً للجراحة في مدرسة الطب فقام بعمله خير قيام وتولى الجراحة في مستشفى كلية الطب مدة طويلة من الزمن ، كان خيّراً في تدريب طلابه مشجعاً لاعمالهم ؛ محبوباً بينهم عرف بحدبه على المرضى وشفقته عليهم ومساعدتهم ، رؤوفاً بفقرائهم وقد ساهم في الاعمال الاجتماعية فعرف المواطنون اخلاصه . قلد اوسمة رفيعة من دول عديدة .

الدكتور امين باشا المعلوف: منذ سنة ١٩٠٨ بدأ الفقيد ينشر في المقتطف ابحاثه في اسماء الحيوانات . وقد قرأتها [١] بعد بضع سنين من نشرها فأكبرت

---

(١) ننقل هذه الكلمات عما كتبه الامير مصطفى الشهابي عن سيرة الدكتور معلوف في مجلة المجمع العلمي جزء ١٥ و ١٦ ص ٢٥٩ .

ما فيها من تحقيق علمي دقيق ورحت انسخ ما يهمني منها في كراريس خاصة ، على عادتي في كل ما أعثر عليه من جليل المصطلحات العلمية .

وهذه الابحاث الثمينة هي التي جمعها المقتطف وطبعها بإشراف الفقيد سنة ١٩٣٢ فكان منها معجم الحيوان الشهير .

ومنذ سنة ١٩٢٤ اي منذ شرعت انشر في مجلة مجمعنا العلمي العربي نتائج ابحاثي في مصطلحات العلوم الزراعية المختلفة ، بدأ الفقيد الكريم يراسلني من بغداد . ثم توشجت عرى الصداقة بيننا ، واجتمع لدي من رسائله جملة حوت أبحاثا لغوية علمية ، وملاحظات صائبة على كثير من غلطات الكتاب والمؤلفين وأصحاب المعجمات الأعجمية العربية .

ولم يقتصر الصديق الراحل في تنقيباته وتحقيقاته ، على الألفاظ العربية المتعلقة بالحيوانات ، بل تناول بالبحث والتنقيب ، اصطلاحات علم النبات ، نشرنا منها في المجلدين السابع والثامن من مجلة المجمع العلمي العربي ، عدداً يعده العارفون من أجل الاصطلاحات النباتية وأدقها ، ولو لم يقعده الداء عن العمل لطلع على العالم العربي بمعجم في هذه الألفاظ لا يقل عن معجم الحيوان جودة وتحقيقاً .

ومما سمت اليه همته ايضاً الفاظ كثير من النجوم الثوابت ، فنشر فيها بحثاً طلياً في المجلد الثامن من مجلة المجمع العلمي العربي ، وانتهى به درس هذه الالفاظ الى وضع معجم فلكي انكليزي عربي طبعه في سنة ١٩٣٥ .

جميل الخاني ١٨٨٩ - ١٩٥١ : هو ابن المرحوم الشيخ محي الدين بن محمد الخاني الكبير .

ولد في دمشق عام ١٣٠٦ﻫ الموافق ١٨٨٩ م تخرج من المعهد الطبي العثماني في دمشق عام ١٩١١ وعند نشوب الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ اخذ مكلفاً برتبة طبيب نقيب - يوزباشي - في الجيش العثماني وبقي في الطبابة العسكرية

الى مابعد دخول الجيش العربي دمشق . وكان في عداد الاطباءالاساتذة الذين قاموا بتأسيس المعهد الطبي العربي في دمشق عام ١٩٢٠ وعين استاذا فيه، اوفد من قبل الجامعة السورية الى باريس للاختصاص بعلم الطبيعة ثم عاد الى دمشق ووضع كتاباً في هذا العلم سماه القطوف اليانعة في علم الطبيعة مازال يعتبر مرجعاً ممتازا حتي يومنا هـــذا ، وآخر وظائفه في المعهد الطبي العربي استاذ علمي الأمراض الجلدية والزهريـة وعلم الطبيعة العـام وكان من برزة اللغويين وكبارهم ، خدم اللغة العربية ولاسيما لغة الطب خدمة كبرى احيل الى التقاعد في عام ١٩٣٤ بناء على طلبه ليتفرغ الى التأليف . انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي في دمشق .

الف معجماً في اللغة العربيـة سماه (الدر المتراصف في اللغة والمترادف) يبلغ عشرة اجزاء وصل فيه الى حرف (العين) ولايزال مخطوطاً وهو مجموع من المعاجم الكثيرة باسلوب لم يُسبق اليه ، انتقل الى الرفيق الأعلى وفي قلبه حسرة على عدم تمكنه من انجاز المعجم المذكور وطبعه ونشره وتعميم النفع منه اذ كلفه كثيراً من الجهد الذي اضناه ومن المال الذي انفقه .

توفي الى رحمة الله تعالى في اليوم الاول من ربيـع الثاني سنة ٣٧١ الموافق ٢٧ كانون الأول سنة ١٩٥١ في دمشق .

رضاسعيد ١٨٧٦-١٩٤٥: ننقل سيرته عن ملخص ماجاء من الكلمات في حفلة تأبينه فقد القى فيهـا وزير المعارف صبري بك العسلي كلمة بليغة مبيناً بهـا الصفات السامية التي امتاز بها الفقيد الكبير من إباء وشمم وحكمة وصبر وايمان قوي وعقيدة ثابتة ومعدداً مواقفه الجريئة في اثناء المحن التي اجتازتها الجامعة في عهده . وتلاه الاستاذ عبد القادر بك العظم رئيس الجامعة السورية الاسبق فجاء على ترجمة حياته وقال :

ولد الفقيد في دمشق في السنة ١٨٧٦ ودرس علومه الابتدائية في المدرسة الرشدية العسكرية ثم انتقل الى الاستانة فدخل القسم الاعدادي التابع للمدرسة

الطبية العسكرية وبعد ان أنهى دروسه الثانوية والعالية في تلك المدرسة تخرج في السنة ١٩٠٢ برتبة ـ يوزباشي ـ فعين في مدرسة التطبيقات في مستشفى السريريات في الكلخانة في استانبول ثم تنقل في بعض الوظائف خارج الاستانة وفيها الى ان استقر اخيراً في وظيفة مساعد للسريريات العينية في المدرسة الطبية العسكرية وسمي معاوناً لاستاذ امراض العين الشهير الفريق اسعد باشا ، وبعد اعلان الدستور العثماني في السنة ١٩٠٨ رفع الى رتبة (قول آغاسي) واوفد الى باريس للإختصاص بالأمراض العينية حيث واظب على مستشفى (اوتيل ديو) سنتين نال في خلالهما لقب (مونيتور) وثابر في الوقت ذاته على مؤسسة باستور ستة اشهر درس في غضونها فن الجراثيم . وبعد عودته من باريز عين كحالاً في المستشفى العسكري المركزي بدمشق ولما نشبت حرب البلقان اشترك فيها فعلاً ثم عاد بعدها الى دمشق حيث عين لرئاسة اطباء الخط الحجازي والخطوط الحديدية السورية في السنة ١٩١٤ وفي اثناء الحرب العالمية الاولى انتخب رئيساً لبلدية دمشق فبذل فيها جهوداً جبارة في تأمين اعاشة المدينة في زمن كان منجل الموت يحصد الوف الجائعين من اهل البلاد المجاورة وقام ايضاً بأعمال جليلة تعود الى تجميل المدينة وعمرانها وحفظ آثارها .

وبعد ان وضعت الحرب اوزارها تزعم النهضة الرامية الى اعادة افتتاح المعاهد العالية التي اغلقت في اثناء الحرب وآزره جملة من الاساتذة وفريق من أهل الفضل وتم افتتاح المعهد الطبي العربي في اواخر السنة ١٩١٩ فسمي عميداً له ثم رئيساً للجامعة السورية الى ان احيل على التقاعد في ٢٩ شباط ١٩٣٦ وقد اسندت اليه وزارة المعارف من ١ كانون الثاني ١٩٢٥ الى ١١ شباط ١٩٢٦ فأدخل تحسينات جمّة على برامج الدروس .

وبعد مجيئه بهذه الترجمة المقتضبة ذكر صفات الفقيد فقال عنه انه كان عصامياً فذاً بين أقرانه مقداماً بعيد النظر واسع الدهاء دؤوباً على العمل يقظاً .

وعقبه الدكتور مرشد خاطر استاذ الامراض والسريريات الجراحية في

معهد الطب مبيناً ما ترك الفقيد من آثار في الجامعة والجمهورية السورية والبلاد العربية وقد قسم هذه الآثار ثلاثة اقسام : الآثار العمرانية وهي ما أنشأه الفقيد من الابنية في زمن رئاسته وقد عدد منها دار الجامعة السورية مع مدرجها الرحب ودار الجراثيم وما رمم في تكية السلطان سليم واعده لمدرسة طب الاسنان ودار الكتب ومخابر الكيمياء والطبيعة وعلمي الحيوان والنبات .

والآثار العلمية وهي كتاب موجز في امراض العيون وقد طبع وكتاب مفصل في الموضوع نفسه لم يطبع ومن الآثار العلمية انشاؤه لمطبعة الجامعة ومجلة المعهد الطبي العربي ودار الكتب التي تضم الوف المجلدات وتسهيل سفر الاساتذة لبلاد الغرب .

والآثار الاجتماعية وهي تنحصر في رفع المستوى الاجتماعي في البلاد العربية جمعاء بما خرجته الجامعة من اطباء ومحامين وصيادلة واطباء اسنان وقابلات وممرضات .

وتلاه الدكتور اسعد الحكيم فأشار بما للجامعة من فضل على الامة بصهرها عقول أبنائها في بوتقة واحدة وتوحيد ثقافتهم وميولهم ، وعلى اللغة العربية بإحياء مواتها وجعلها لغة علمية مماشية للغات الحية الاخرى ولولا الصفات التي تفرد بها رئيسها لما ثبتت في ذلك المعترك التي خارت فيه قوى الجامعات التي سبقتها كيف لا وهي الجامعة العربية الوحيدة في العالم التي تدرس باللغة العربية .

وجاء في أثره الدكتور رياض حمادة اللبناني وهو من خريجي الجامعة يحمل الى رئيسه الراحل عواطف رفقائه اللبنانيين وعرفانهم للجميل ووفاءهم وامانتهم بعبارات رقيقة واسلوب طلي شيق .

واختتم الحفلة رئيس الجامعة السورية الاستاذ حسني بك سبح مبتدئاً كلامه بالآية الكريمة « يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » ، ومبيناً فضل الرئيس الراحل على الجامعة منذ أن ولدت حتى شبت وذاكراً الصفات الفريدة التي كان يتحلى بها ذلك الربان

الحاذق الذي اوصل سفينته الى ميناء السلام على الرغم من العواصف التي ثارت في وجهها .

شوكة الجراح : أتم دراسته الابتدائية والثانوية في مدارس دمشق الحكومية ثم انتمى الى المدرسة الطبية العثمانية في دمشق فتخرج منها صيدلياً وقد اولع بالكيمياء فاختص بها وكان عنصراً فعالا في مؤسسة تطهير القطن التي اوجدتها الدولة العثمانية ابان الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ – ١٩١٩ وقد عين استاذاً للكيمياء في مدرسة الطب العربية عقب تأسيسها توفي سنة ١٣٤٠ هـ ١٩٢١ م.

صوتراكي شان ١٨٧٦ – ١٩٢٥ م : من متخرجي المدرسة الطبية العثمانية في استانبول ومن اوائل المختصين بالتوليد وامراض النساء درّسها في كلية الطب مدة من الزمن عرف في دمشق بدعته ودماثة اخلاقه وحسن معاملته للمرضى اغنياء كانوا ام فقراء .

صادق الطرابيشي : تخرج من مدرسة الطب العثمانية وكان من اوائل الاختصاصيين بأمراض الأذن والانف والحنجرة في البلاد العثمانية وقد اشتهر باختصاصه هذا في دمشق فعهد اليه بالمساهمة في تدريس سريريات الأمراض الاذنية في مدرسة الطب العربية مدة من الزمن توفي سنة ١٣٤٠ هـ ١٩٢١ م .

طاهر الجزائري : هو طاهر عبد المنعم بن الحاج قاسم من مواليد ١٨٨٨ تخرج من كلية الطب العسكرية في الاستانة كان رئيسا لاطباء مستشفى الغرباء يوم اسست كلية الطب وكان ملما بالجراحة والاشعة فعمل جراحا في المستشفى واشعاعيا في كلية الطب وسمي في ١٩٢٩/٤/١ مساعدا لمديرية المعهد الطبي ، كان خيّرا مع طلابه غير ضنين بعلمه ، مشجعا لهم في الاعمال الجراحية .

عبد الرحمن الشهبندر : من اطباء اوائل القرن العشرين الاعلام اغتيل بأخس طريقة على مافي الاغتيال على اختلاف اشكاله من خسة ، فقد قدم الى عيادته ثلاثة اشخاص مستشفين وشكا احدهم من اضطرب في قلبه لم يشاهد

---

(١) ننقل بعض ماجاء في سيرة الدكتور شهبندر عن مجلة المقتطف مجلد ٩٧ ص ٢٧٣ .

له الدكتور شهبندر على مايبدوا اثراً يذكر حين الاستماع الى قلبه بالمسمع . فوضع اذنه على صدر المريض المزعوم مباشرة ليحسن الاستماع الى قلبه وبينما هو كذلك افرغ احدهم رصاص مسدسه في دماغه فارداه قتيلا

قال عنه مؤبنوه : كانت شهرته في السياسة والخطابة والجهاد الوطني قد طبقت بلدان العرب واستفاضت الى ديار الغرب ، وغلبت على شهرته في الطب مع أن السياسة لم تحل دون تتبعه كل جديد في فنه الاصيل [1] . وقد احتفل بدمشق احتفالا قوميا عربيا رائعا بذكراه الاربعينية تليت فيها رسائل وفصول وقصائد من زعماء مصر والشام ولبنان والجزيرة العربية والعراق وأدبائها وشعرائها وقادة الرأي فيها .

قال فيه عباس محمود العقاد : كان الدكتور شهبندر رحمه الله ممن يتمردون على الواقع علما به لا غفلة عنه وهو مع ذلك مطبوع على التبصر والاناة وسبر الاغوار وقد اجتمعت له أسباب ذلك من فطرته ومن تربيته ومن تجارب حياته فهو بفطرته رجل أعمال لايأخذ من الاشياء والحوادث الا بمقدار مايترجمه عملا قابلا للانفاذ والانجاز ولايمنع هذا ان يكون انجازه مقروناً بالمشقة والاقدام

وهو بتربيته قد نشأ على المعرفة الادبية والمعرفة العلمية فلا هو محصور في معمل التحليل ولا هو مشغول بالألفاظ ولكنه رجل يعيش في حومة الدنيا بدقة العالم وأريحية الاديب ، ويهتدي بمستشارين أحدهما صارم صرامة العلم وثانيهما جزل جزالة الادب ويندر ان يغلب عنده أحد المستشارين على أخيه .

أما تجاربه فمن ذا الذي يصاحب القضية العربية ربع قرن ولا يخرج منها حافل الوطاب بتجارب الجماعات والافراد ، ومن ذا الذي يلقى الموت مرات ولا يعلم ماهي الحياة ، ومن ذا الذي يلابس الناس في ايام القلاقل والنواهض

---

(٢) قال فيه الدكتور علي ابراهيم باشا « كان صديقي الطبيب على درجة عالية من الكفاية في فنه » .

القومية ولا يعرف مدى الامل والقنوط ، وغاية الهة والطموح وغاية الاسفاف والركود ، ومن ذا الذي يكون عربياً حقاً في الجيل الاخير ولا يكون انساناً حقاً بصيراً بما في العالم الانساني من أخلاق ونزعات وحركات اطوار ؟

وكان على الجد الذي اتصف به رحمه الله يمزح في مجالسه بين الاصحاب والادباء وله من ذلك طرائف يتحدث بها عارفوه . باللعجائب في هذه الدنيا أما إنجاب الرجال الافذاذ فشيء تعي به جهود الامم وأما القضاء عليهم فشيء تستطيعه شرذمة من الطغام سبحانك اللهم لك فيما تريد حكمة .. ولعل من حكمة هذا المصاب ان يعرف الشرق أقدار الرجال .

وقال عنه العلامة منصور جرداق استاذ الرياضة العالية في الكلية الاميركية

في اواخر القرن الماضي دخل الكلية السورية الانجيلية ببيروت « الجامعة الاميركية الآن » شاب طويل القامة متين البنية اسمه عبد الرحمن صالح شهبندر تلوح على محياه علامات الذكاء والنباهة واللطف والوداعة ودماثة الاخلاق . وشاءت الاقدار ان ينضم الى صفنا فسرنا معاً في الدائرة العلمية وانتهينا في تموز سنة ١٩٠١ نائلين معاً رتبة بكالوريوس علوم ثم غاب سنة استجماماً للقوى ورجع عبد الرحمن الى الكلية ودخل الدائرة الطبية حيث صرف أربع سنوات ونال صيف ١٩٠٦ رتبة دكتور في الطب

وبما أنه كان الاول في صفه وممتازاً في دروسه فقد عين بموجب القانون خطيباً عن صفه وطبيباً للمدرسة عام ١٩٠٦ — ١٩٠٧ وهكذا تسنى لي أن أصحبه مدة تسع سنوات كنا في خلالها صديقين حميمين يجمعنا حب المعرفة والدروس والفلسفة والرغبة في خدمة الوطن خدمة صادقة شريفة .

لقد كان عبدالرحمن مثال التلميذ النجيب بجده واجتهاده وذكائه ونباهته وحدة ذهنه ، ناهيك بتضلعه من اللغة العربية والاطلاع الواسع على تاريخ آدابها وأعلامها ولهذه الاسباب ولاجل شخصيته الممتازة انتخبته الجمعية العلمية العربية بأكثرية ساحقة ليكون خطيبها الاول في احتفالها السنوي سنة ١٩٠١ دون ان يسعى

الى ذلك او يكلم تلميذاً ليؤيده في الانتخاب. وكذلك اختارته عمدة الكلية وهو تلميذ في الدائرة الطبية ليمثل المدرسة تمثيلا رسمياً بالترحيب بخليل باشا والي بيروت والصدر الاعظم سابقاً في اثناء زيارته الرسمية للكلية بالمنتدى الكبير وقد كان لخطبته وقع جميل عند نفس الوالي مما حمله على بذل الجهد لتخليص عبد الرحمن من النفي الى فزان بافريقية بسبب وشاية من أحد جواسيس السلطان عبد الحميد في ذلك الحين. أما صفات الفقيد الادبية وأخلاقه فقد كانت سامية جداً في نظر التلامذة والمعلمين والاساتذة لانه كان صادقاً نزيها عفيفاً متزناً طائعاً للقانون، تزينه الوداعة والتواضع والانس ولين العريكة والشمم والإباء وعزة النفس وسمو المباديء ورحابة الصدر وكرم الاخلاق، يتقد غيرة وحماسة ويفيض وطنية ومحبة للجميع لاعتقاده الراسخ ان الامة كالجسم الحي ولكي تكون نظيره صحيحة سليمة يجب أن تستفيد من قوى جميع أفرادها والا نكبت بالخسارة ومنيت بالافلاس وكان مصيرها الضعف والانحطاط والتأخر والموت والزوال

كانت للفقيد آراء في الامة العربية وتقدمها وسعادتها والخطط والوسائل اللازمة للنهوض بالوطن من كبوته والوصول بالشعب الى المكانة التي يجب ان يتبوأها ليقوم مرة أخرى برسالته السامية الثقافية والروحية بين أمم الارض وشعوبها كما حدث قديماً وقت الفتح العربي الاسلامي.

عبد القادر سري: ١٨٨٠ – ١٩٤٥ اتم دراسته الابتدائية والثانوية في دمشق ثم انتمى الى كلية الطب العسكرية في استانبول وكان له ولع بمادة التشريح عين استاذاً لتدريسها في مدرسة الطب العربية منذ تأسيسها فقام بعمله خير قيام مع ما فيه من صعوبة لرغبة الطلاب عن هذه المادة الاساسية في دراسة الطب واشمئزازهم منها فكان يرغبهم في دراستها بالتشويق تارة والتشجيع طوراً وقد وضع، كتابين في التشريح احيل سنة ١٩٣٣ على التقاعد فاستدعته الحكومة العراقية لتدريس التشريح في كلية بغداد الطبية، قام بعمله الذي استدعي اليه

بجد ونشاط فكوفيء على ذلك بمنحه وسام الرافدين ثم استقال بسبب اعتلال صحته . كان يحمل اوسمة عديدة من حكومات متعددة بينها الحكومات العثمانية، الالمانية الرومانية والحكومة السورية

الدكتور لوسركل: ننقل سيرته عما ذكره عنه الدكتور الاستاذ الدكتور نظمي القباني قال: اختطفت يد المنون في العشرين من أيار عام ١٩٥٣ علماً خفاقاً من أعلام الطب ، ونجماً متألقاً في سماء الجراحة الحديثة في سوريا ، ألا وهو المرحوم الاستاذ لوسركل ، لقد عين استاذاً للسريريات الجراحية في معهد الطب بدمشق عام ١٩٤٢ وكان المعهد يومئذ في حداثة عهده، فتعهد الشعبة الجراحية فيه طوال ربع قرن تقريباً ، ولم يترك وسيلة من الوسائل التي يرجى منها خير لهذه المؤسسة العلمية إلا تذرع بها . فكان له بذلك فضل البادىء في رقي هذه الشعبة وبلوغها الدرجة التي بلغتها ، فهو الذي ادخل الى سورية طرائق الجراحة الحديثة، وجعل من قاعة عمليات المستشفى بما ادخل عليها من التحسينات والادوات والمعدات صورة ناطقة لقاعات الجراحة في المراكز الجراحية الكبرى ، كما انه احدث فرعين كبيرين في الشعبة هما فرع طرق البول وفن التجبير وجهزهما بأحدث المعدات ووضع نواة المتحف الجراحي وتعهده في السنوات التي قضاها في دمشق . وكان قدوة حسنة يغذي بعلمه ومعرفته عقول طلابه ومعاونيه بأحدث ماوصل اليه فن الجراحة الحديث ، فكان المرشد الحكيم الذي يحث على الاصغاء الى صوت الضمير واتباع اوامر الوجدان الحي لنفع المرضى .

وكان يقضي عطلاته الصيفية في البحث والتنقيب عن احدث المعلومات التي وصلت اليها الجراحة الحديثة ليأتي بكل جديد لتلامذته ومعاونيه وكليته . اما عطفه على خريجي كلية الطب الذين أموا البلاد الفرنسية للاغتراف من مناهلها العلمية فكان عظيماً للغاية. اذ كثيراً ما كان يزودهم بكتب التوصية الى الاساتذة الذين تربطه بهم اواصر الصداقة وبذلك شملت عواطفه الرقيقة جميع من اشتغل معه مدة اقامته في دمشق .

الدكتور مرشد خاطر ١٨٨٨-١٩٦١ : ابصر النور في الاول من كانون الثاني سنة ١٨٨٨ في بتاتر احدى قرى قضاء الشوف من اعمال لبنان (متصرفية لبنان سابقا والجمهورية اللبنانية اليوم) .

وتلقى دروسه الابتدائية والثانوية في مدرسة الحكمة المارونية في بيروت ونال شهادتها في السنة ١٩٠٦ ودخل كلية الطب الفرنسية في بيروت في السنة نفسها ونال شهادة الدكتوراه في الطب ـ بعد ان اجتاز امتحانا امام لجنة فرنسية تركية ـ من الجمهورية الفرنسية تحت الرقم ٨٠٩ وتاريخ ٧ كانون الثاني ١٩١١ ، ومن الحكومة العثمانية تحت الرقم ١٢٥٨ وتاريخ ٢٦ مارت ١٣٢٧ هجرية . وفي السنة ١٩١٥ استدعي للخدمة العسكرية في الجيش التركي في ٢٣ كانون الاول فانخرط فيه ثم التحق بالجيش العربي الفيصلي فعهد اليه فيه برئاسة القسم الجراحي في مستشفى ابي الاسل — المستشفى العسكري المركزي للجيش الفيصلي ـ ورقي الى رتبة مقدم ورأس القسم الجراحي في المستشفى العسكري بدمشق بعد دخول الجيش العربي هذه المدينة حتى ٨ تشرين الثاني ١٩١٩ اذ انتخب استاذاً للامراض الجراحية وسريريانها في كلية الطب ، وظل يشغل هذه الوظيفة حتى سنة ١٩٤٧ اذ أحيل على التقاعد بطلب منه غير ان كلية الطب سألته الاستمرار في الوظيفة ذاتها التي ظل يشغلها بتعاقد سنوي يجدد في كل عام حتى كانون الاول من سنة ١٩٥٨ .

وعين رئيساً للقسم الجراحي في مستشفى يوسف العظمة العسكري بالاضافة الى وظيفته في السنة ١٩٤٨ حتى حزيران ١٩٥٢ .

وتولى وزارة الصحة في سورية في التاسع من حزيران ١٩٥٢ حتى ١١ تموز ١٩٥٣ . وفي ٢ ايار ١٩٥٣ رأس وفد سورية لدى منظمة الصحة العالمية في جنيف حيث انتخبته وفود الدول المشتركة في هذه المنظمة وعددها ثمانون دولة رئيساً لدورتها السادسة في السادس من ايار ١٩٥٣ .

وزار عواصم اوروبا في السنة ١٩٣٠ و ١٩٥٢ و ١٩٥٣ للاطلاع على مستحدثات الجراحة في كلياتها ومشافيها .

وقد قام بمشاريع كبيرة حين توليه وزارة الصحة ، باشر بعضها وأسهم معه في كثير منها امينها العام الدكتور شوكت الشطي [١] فعقدا مع منظمة الصحة العالمية عدة اتفاقات ترمي الى مكافحة الامراض المستوطنة والقضاء عليها ، احداها لمكافحة السل فانشئا في مستشفى دمشق الجديد مركزاً مثالياً للمكافحة كان ذا أثر في الحد من هذا المرض الفتاك ، ومركزاً آخر في حمص لمكافحة البرداء ـ الملاريا ـ في تلك البقعة الموبوءة بالبعوض الخبيث الناقل لهذه الحمى وقد قضى بفضل هذا المركز على هذا الداء في كثير من القرى ولايزال هذا المركز متابعا عمله حتى الآن ، ومركزاً ثالثاً لرعاية الطفل والام في دمشق فكان هذا المركز اداة فعالة في انقاص الوفيات بين الولدان والاطفال ونفخا في الوزارة روحاً تقدمية بانشاء مشافي جديدة ومضاعفة عدد اسرتها وتجهيزها تجهيزا حسناً وايفاد الاطباء الى البلاد الاجنبية للتخصص ، وعقدا اجتماعات علمية دورية تلقى فيها المحاضرات . واعدا مشاريع اخرى كانت ترمي جميعها الى اعلاء شأن الوزارة ورفع المستوى الصحي في سورية .

ولقد كان للدكتور مرشد خاطر في كلية الطب اليد الطولى في رفع مستوى الجراحة الحديثة وتخريج الجراحين المنتشرين الآن في انحاء سورية وقد عني عناية خاصة بوضع المصطلحات الطبية التي كانت تفتقر اليها اللغة العربية في نهضتها الحديثة وقد كلل اعماله بترجمة معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات بالاشتراك مع الاستاذين حمدي الخياط وصلاح الدين الكواكبي .

الالقاب العلمية :

نال الالقاب العلمية التالية :

---

(١) وهو من تلاميذ المترجم عمل معه في حقل الترجمة والتأليف فوضعا كتباً ورسائل ومقالات يقرب عدد صفحاتها من عشرة آلاف صفحة .

١ – عضو المجمع العلمي العربي في دمشق في السنة ١٩١٩ .
٢ – عضو الجمعية الجراحية الفرنسية في باريس في ٣ تشرين الاول ١٩٣٢
٣ – ضابط في المجمع العلمي الفرنسي في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٧ .
٤ – رئيس الجمعية الجراحية في دمشق في السنة ١٩٣٩ .
٥ – عضو المجمع الطبي العسكري البرازيلي في ٢٤ تشرين الاول ١٩٥٢ مع اهداء وسامه .
٦ – عضو مراسل لمجمع اللغة العربية في القاهرة في ٢٣ نيسان ١٩٥٦ .

الاوسمة :

١ – وسام الشرف من الحكومة الايرانية في السنة ١٩٢٢ .
٢ – مدالية الصليب الاحمر الفرنسي في ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٢ .
٣ – الاستحقاق اللبناني المذهب في ٣١ آب ١٩٣٨ .
٤ الاستحقاق السوري من الدرجة الاولى في ١٨ آب ١٩٤٨ .
٥ – وسام المجمع الطبي العسكري البرازيلي في ٢٤ تشرين الاول ١٩٥٢.
٦ – وسام المجمع العلمي الدولي للطب الشرعي والاجتماعي في بروكسل في ٤ حزيران ١٩٥٢ .
٧ – الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة في ٢٨ حزيران ١٩٥٣ .
٨ – وسام الصحة العامة من رتبة قومندور من الجمهورية الفرنسية في ٥ تشرين الثاني ١٩٥٣ .
٩ – وسام القديس غوريعوريوس الكبير من رتبة قومندور من قداسة الحبر الاعظم في ٣ نيسان ١٩٥٥ .

المؤلفات المطبوعة والمخطوطة والنشريات :

له مؤلفات عديدة جاء ذكرها في البحث السادس من هذا الكتاب .

ونقل الى العربية ايضاً عددا من المؤلفات منها للاستاذ لوسركل :

جراحة انبوب الهضم .

الدروس العملية في الامراض الولادية بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور احمد شوكت الشطي .

امراض جهاز البول .

ورأس انشاء مجلة المعهد الطبي العربي منذ صدورها في السنة ١٩٢٤ حتى احتجابها في السنة ١٩٤٧ وقد اصدر منها واحدا وعشرين مجلدا عدد صفحات كل منها ٦٤٠ وهي ملأى بالابحاث الطبية والوف المصطلحات باللغة العربية ونشر مقالات طبية اجتماعية تحت اسم مستعار ـ ابن رشد ـ في جريدة الف باء الدمشقية ومقالات اخرى صحية تحت اسمه الصريح .

وقام بتهذيب عدد المولفات الطبية في كلية الطب .

ونشر مقالات عديدة طبية وصحية ولغوية في مجلات بيروت ودمشق ـ المجلة الطبية العلمية ، جريدة البشير ، ومجلة المجمع العلمي العربي ـ ومقالات باللغة الفرنسية في عدد من المجلات الفرنسية الطبية . والقى عددا عديداً من المحاضرات بموضوعات مختلفة .

ودرس بالاشتراك مع بعض من اساتذة كلية الطب بدمشق ـ الدكتور شوكت الشطي ، محمد محرم ، ترابو ـ داء الجلبان الذي تفشى في بعض القرى السورية في عقب الحرب الكونية الاولى ولم تذكر عنه المؤلفات الطبية قبل ذلك التاريخ الا القليل فجاء درسا ضافيا نشر في الكتب والمجلات الطبية الفرنسية وكان حجة في الموضوع تناقلته المجلات الاخرى ودونه المؤلفون الاجانب في مؤلفاتهم .

وكان له مع اطباء بيروت نقاش علمي جليل الفائدة حول داء الضنك الذي تفشت وافدته في السنة ١٩٢٧ تفشيا هائلا في الشرق وبلغت اصاباته في

المدن عشرات الالوف . وقد بلغ عدد المقالات التي نشرت في هذا النقاش العشرات .

وقد انجز معجماً للمصطلحات الطبية باللغتين الفرنسية والعربية فيه شرح لكل مصطلح وذكر لعلماء الطب في العالم اجمع وأعمالهم وسيكون هذا المعجم بمثابة موسوعة طبية مصغرة وذلك بالاشتراك مع الاستاذ احمد حمدي الخياط ويقع هذا المعجم في زهاء ثلاثة آلاف صفحة .

الدكتور ميشيل شامندي : من أطباء النصف الاول من القرن العشرين ، أتم دراساته الابتدائية والثانوية في مدارس دمشق ، ثم انتمى الى مدرسة الطب في استانبول فكان من الطلاب المبرزين فيها ومن خيرة متخرجيها لذلك عين فيها استاذاً مساعداً لتدريس فن المداواة . وما ان اسست مدرسة الطب العربية حتى عهد اليه بتدريس علوم المفردات الطبية والمداواة السريرية والطب الشرعي فيها كما انه درس المادة الاخيرة في كلية الحقوق ، حاز على وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الاولى عام ١٩٤٣ وعلى وسام الاكاديمية الفرنسية في ٣١ أيار سنة ١٩٢٥ كان محبوباً من الطلاب وعارفيه من الناس ، طبيباً خبيراً رحيما بالفقراء . عرف من الكتب الذي وضعها كتاب موجز في مبحث السموم ساهم بتأليفه الدكتور في الصيدلية والكيمياوي محمد صلاح الدين الكواكبي وطبع في المطبعة البطريركية بدمشق عام ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م .

الفصل الثالث

المشافي في بلاد الشام

ان اقامة دور البائسين ومأوى الضعفاء وأصحاب العاهات والزمانات من أمارات الحضارة ودلائل ارتقاء الانسان في رقة الشعور على من خانتهم الطبيعة . وقد روى النعيمي المؤرخ الدمشقي المعروف والمتوفي سنة ٩٢٧ هـ ان عدد ما انشىء في دمشق وحدها من معاهد العلم ودور العجزة والمشافي زاد على مائتين حبس لها من الاوقاف الكبيرة مايكفل لها العمل الذي انشئت من أجله دون ان يحتاج الى درهم من بيت مال المسلمين ، أقام تلك المباني افراد منهم الامير والعالم والطبيب والتاجر حتى العبدان والطواشية وساهمت بعض النساء في ذلك مساهمة خلدها التاريخ كما ذكر ابن جبير انه كان في القرن السادس بدمشق مارستانان قديم وحديث ، قال الظاهري في وصف بيمارستان دمشق انه لم ير مثله لم تطفأفيه النار منذ عمر ، وكان فيها ايضاً مستشفى ثالث وهو المستشفى القيمري في صالحية دمشق نسبة لمنشئه سيف الدين ابي الحسن القيمري أحد الامراء والابطال المتوفي سنة ٦٥٣ هـ .

البحث الأوّل

المستشفى النوري ، مستشفى الغرباء ، مستشفى كلية الطب

لقد كان من بين مشافي دمشق القديمة مستشفى النوري انشأه نور الدين محمود بن زنكي كما أنشأ غيره في البلاد وكان بيمارستان دمشق أعظمها أثراً واكثرها خرجاً ودخلا ، ظل المستشفى النوري عامراً الى سنة ١٣١٧ هـ ـ وكان أطباؤه وصيادلته لا يقلون عن عشرين رجلاً ـ حتى قامت بلدية

دمشق بانشاء مستشفى للغرباء في الجانب الغربي من تكية السلطان سليمان واخذ مبلغ من واردات البلدية واوقاف المستشفى النوري واحتفل في ١٥ ذي القعدة ١٣١٧ هـ بافتتاحه وسمي بادىء بدء بالمستشفى الحميدي نسبة الى السلطان الذي بني في عهده وهكذا خلف المستشفى المذكور المستشفى النوري ، اما بناية المستشفى النوري فقد جعلت مدرسة حكومية للبنات ولا تزال كذلك وواجهتها لاتزال بحالها ، وقد سمي المستشفى على عهد الحكومة العربية بالمستشفى الوطني واقيمت مدرسة الطب بجانبه والحكومة متكفلة بالانفاق عليه .

وكان في وسط دمشق مستشفى عسكري من بناء ابراهيم باشا المصري في القرن الماضي بيعت ارضه لغلاء ثمنها واستبدل به مستشفى جديد في رابية من روابي المزة يطل على وادي الربوة .

وكان في حلب مشافي[1] عديدة بقي من قديمها بيمارستان نورالدين وقدجاء في بعض التواريخ ان هذا البيمارستان كان في الاصل من وضع ابن بطلان الطبيب المتوفي سنة ٤٥٨هـ ثم جدده نورالدين ووقف عليه اوقافا كثيرة جاء في بعض حججها ان كل مجنون يخص بخادمين يخدمانه فينزعان عنه ثيابه كل صباح ويحمانه بالماء ثم يلبسانه ثيابا نظيفة ويحملانه على اداء الصلاة ويسمعانه قراءة القرآن يقرأه قارىء حسن الصوت ثم يفسحانه في الهواء الطلق ويسمع في الاخير الاصوات الجميلة والنغمات الموسيقية الطبية .

وكانت توضع في بيمارستان ارغون الكاملي الرياحين ويؤتى اليه بآلات الطرب والمغنين لتكون هذه المشاهدة والانغام من تمام العناية بالمداواة ، وفي مدخله افاريز ونقوش من اجمل مانقش النقاشون تزينه فتجعله بهجة للناظرين .

لقد لحق هذين المستشفيين من الإهمال ما أدى الى خرابهما . وقد تنبهت الى قيمتهما الفنية مديرية الآثار فقررت ترميمهما .

---

(١) يرجع للتوسع الى اطروحة الدكتور نبيل المارتيني عن بيمارستانات حلب المقدمة سنة ١٩٥٧ و ١٩٥٨ والى أطروحة الدكتور موريس بشنجي المقدمة عام ١٩٦٠ .

البحث الثاني

المشافي الحكومية

أ ـ المشافي في العهد العثماني وفي مدة الانتداب : لقد كانت المشافي في بلاد الشام في عهد الدولة العثمانية شبه مفقودة فلم يكن فيها غير مستشفيين خصصا للغرباء احدهما في حلب والثاني في دمشق كما كان فيها مستشفيان عسكريان اشيدا في عهد ابراهيم باشا ولم يحسن الانتداب وضع المشافي السيء في سورية بل بقيت المشافي على ما هي عليه اذا استثنينا من ذلك المشافي التي استحدثتها كلية الطب وبعض المشافي الاهلية .

ب ـ المشافي في العهد الوطني : لقد كان من نعمة الاستقلال واستلام الايدي الوطنية لمقاليد الامور ان عني بالامور الطبية من علاجية ووقائية عناية كبرى وكان من ذلك تقرير اشادة مستوصف حكومي في كل قضاء وبناء مشافي في كل محافظة وفي الاقضية الكبرى وهكذا اشيد في العهد الوطني عدد كبير من المستوصفات كما استحدثت بعض المشافي وجدد القديم منها ومن هذه المشافي مستشفى المجتهد في دمشق . وهو اكبر مستشفى يقوم بأعمال الاسعاف الجراحي والطبي وبالخدمات الطبية والعلاجية وهو أغنى مشافي وزارة الصحة بشعب الاختصاص وأكمل هذه المشافي تجهيزاً يقوم بالعمل فيه ٣٥ طبيباً ويمكن ايواء عدد من المرضى فيه يبلغ ٨٠٠ في حالات الطوارىء العامة .

البحث الثالث

مستشفى الكلمة ومستشفى المواساة ، المشافي الاهلية

لقد انشىء حديثاً في بلاد الشام عدد من المشافي الخيرية من ذلك **مستشفى الكلمة**[1] بحلب وقد اسسته جمعية مشاريع الكلمة الخيرية وجهزته بكل ماهو مستحدث وبوشر العمل فيه منذ تدشينه في عام ١٩٥١ وكذلك ايضاً **مستشفى جمعية المواساة**. دعا الى تأسيس جمعية المواساة الدكتور حسني سبح يوم شحت موازنة الجامعة السورية ولا سيما موازنة معهدها الطبي فلم تعد وافية بحاجات مستشفاه وقد عقد لهذا الغرض اجتماع حضره عدد كبير من المحسنين فرأوا ان تتألف جمعية للمواساة وان تجمع لها التبرعات ، احتفل بتأسيس جمعية المواساة في السادس والعشرين من شهر حزيران سنة ١٩٤٣ احتفالا شملته الحكومة برعايتها واعلنت فيه الجمعية اهدافها وهي مواساة المرضى والعجزة اليتامى والفقراء بانشاء مستشفيات ودور عجزة وغيرها من المؤسسات ذات النفع العام والانفاق عليها وقد تبرع بعض المحسنين بمبالغ تزيد عن مليون ليرة سورية كما اسهم المغتربون ابان زيارتهم لسورية بتبرعات سخية . هذا ومما يجدر ذكره بأن الحكومات التي تعاقبت على ادارة دفة الحكم في سوريا ساعدت الجمعية بالمال وبما تحتاج اليه الى ان أقر القانون ٢٥١ الصادر بتاريخ ٩ / ٥ / ١٩٥٩ القاضي باحداث مؤسسة مستشفى المواساة خصص بموجبه المستشفى لاغراض كلية الطب في الجامعة السورية بالاضافة الى استثماره كمستشفى عام يحقق اغراض الجمعية وان يحمل اسم **مستشفى المواساة** وقد قضى هذا القانون بأن تدار هذه المؤسسة من مجلس مؤلف من رئيس هو مدير الجامعة السورية ـ جامعة دمشق ـ او عميد كلية الطب واربعة ممثلين عن كلية الطب ينتخبهم مجلس الكلية بموافقة مجلس الجامعة واربعة ممثلين عن اعضاء جمعية المواساة ينتخبهم مجلس ادارة هذه الجمعية .

---

(١) يلقى هذا المستشفى وغيره من المشافي الخيرية ألواناً من تعضيد الدولة وأشكالاً من مساعداتها المادية والمعنوية تشجيعاً لها .

ولقد انشئت في سورية مشافي خاصة عديدة ، وكان اول مستشفى خاص انشىء في بلاد الشام **مستشفى الطونيان** بحلب . اسسه سنة ١٩٠٣ الطبيب السيد الطونيان وظل عاملا على تحسينه سنة بعد سنة وكان الدكتور منير السادات اول من اقدم على اشادة مستشفى خاص بدمشق **عرف بمستشفى السادات** جهزه بالوسائل اللازمة للمعالجة والمداواة وذلك سنة ١٩٣٠ وقد عمل ومازال يعمل على استمرار تحسين مستشفاه وتزويده بالمستحدثات حيناً بعد حين .

وحذا حذوهما في دمشق وحلب عدد من الاطباء فعملوا مشتركين او منفردين مشافي منها في حلب **المستشفى الاهلي** لصاحبه فؤاد الزعيم **ومستشفي الصيرفي ومستشفى السباعي ومستشفى مفيد حسني باشا وعمد الوزان** ومنها في دمشق مستشفى نخمن[1] واصبح اسمه اليوم **المستشفى الطبي الجراحي والمستشفى العربي** ويرأسه الاستاذ الدكتور فائز المط ويسهم بالعمل معه الدكتور سعيد الحلواني **ومستشفى دار الشفاء** في دمشق **ومستشفى تقي الدين** وغير ذلك من مشافي خاصة في محافظات اخرى .

البحث الرابع

المشافي التبشيرية

لقد كان من ضعف الدولة العثمانية ومن نقص وسائلها وعنايتها بالمواطنين ان استغلت الدول الطامعة في الاستيلاء على البلاد العربية ضعف لا بل انعدام وسائل التطبيب فيها فأوجدت مستوصفات ومشافي تبشيرية في امكنة عديدة وكان بعضها ظاهر التبشير كما كان بعضها مستتره ومن هذه المشافي بدمشق :

---

(١) اسسه وليم نخمن وكان من اوائل الاطباء المقدمين على ايجاد مشافي خاصة يشترك في ادارتها وأعمالها عدد كبير من الاخصائيين، عمل الدكتور نخمن في الجراحة والتوليد وأمراض النساء فكان نقي الوجدان حسن المعاملة والسيرة. توفي ١٩٦٠.

المستشفى الاسكتلندي : في عام ١٨٨٤ م جاء الى دمشق الدكتور ماكينون موفداً من قبل الارسالية الاسكتلندية في ادنبره عاصمة اسكتلندا وقد باشر بممارسة مهنة الطب في بيت السيد متري القدسي في حي القيمرية ، ثم اشترى قطعة أرض خارج المدينة وسعى للحصول على رخصة لبناء مستشفى عليها فكان له ذلك في عام ١٨٩٦ وبذلك تم بناء اول مستشفى حديث بدمشق ، وقد استمر العمل في المستشفى المذكور حتى نشوب الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ اذ الحق الاتراك المستشفى المذكور بمشافي الحكومة واستعملوه طيلة مدة الحرب العالمية الاولى ، وحين انتهت الحرب عاد الدكتور ماكينون الى دمشق وباشر عمله من جديد وتوفي في آخر كانون اول عام ١٩١٨ ودفن في مقبرة الطائفة البروتستانية في باب شرقي بدمشق .

ومنذ ذلك الوقت استعمل المستشفى من قبل الصليب الاحمر الى ان جاء الدكتور بروكستوك في عام ١٩٢١ فأعاد المستشفى للارسالية وأخذ العمل يسير فيه كسابق عهده وفي عام ١٩٢٧ انضمت الدكتورة مارغريت الى المستشفى وبقيت تعمل فيه حتى عام ١٩٣١ حيث تزوجت بالدكتور ايمرس توماس الذي عمل معها في المستشفى المذكور اختصاصياً بالجراحة بينما عملت زوجته اختصاصية بامراض النساء .

ولقد قررت الارسالية في ادنبره وقف العمل في المستشفى في عام ١٩٥٦ وتقديمه هبة الى وزارة الصحة فخصصته لمعالجة أمراض العيون وقد تم افتتاح المستشفى المذكور سنة ١٩٦١ .

ومن الجدير بالذكر ان المستشفى كان يعمل على اعطاء دروس في التمريض للفتيات العاملات فيه كما باشر منذ عام ١٩٤٣ باعطاء دروس في القبالة وقد كان عدد الممرضات التي نلن شهادة التمريض بمعدل ثلاث الى اربع ممرضات سنوياً .

لقد قام طبيب هذا المستشفى الدكتور طوماس وزوجته بمساعي مثمرة في

هذا الشأن ومن واجبنا ان نبين ان فكرة تقديم المستشفى هبة الى وزارة الصحة ترجع اليه والى زوجته فقد عملا في دمشق ما يقرب من ثلاثين سنة وكانا مثلين بارزين لما يجب ان يكون عليه فقد عملا في دمشق ما يقرب من ثلاثين سنة وكانا مثلين بارزين لما يجب ان يكون عليه الطبيب الانساني في مستشفى خيري، وقد قدرت الجمعية الطبية الجراحية عملها الانساني فقرر أعضاؤها بالاجماع تكريمها فاقيمت حفلة على شرفهما بلغافيها انتخابهما عضوي شرف في الجمعية المذكورة[1].

المستشفى العزري ويعرف بالمستشفى الفرنسي: بنته اخوية العازاريين قبالة المستشفى الاسكتلندي وهو حسن البناء والنظام.

المستشفى الايطالي وهو مستشفى حسن البناء والنظام:

ومن المشافي التبشيرية في حلب:

مستشفى القديس لويس. يعود تاريخ انشائه الى عام ١٩٠٤ ويعد من المستشفيات الكبيرة في حلب.

ومنها في النبك: **المستشفى الدانمركي**[2].

* * *

(١) وقد القى في هذه المناسبة كلمة وزارة الصحة الدكتور علي الفنواتي كما ألقى الدكتور الاستاذ شوكت الشطي كلمة الجمعية الطبية الجراحية.

(٢) اننا نأمل من الارساليات التبشيرية القائمة على هذه المشافي أن تحذو حذو الارسالية التي كانت تشرف على المستشفى الاسكتلندي فتهدى مشافيها الى الدولة وحينئذ نبيح لانفسنا ذكر تاريخ كل منها ببعض التفصيل كما ذكرنا سيرة المستشفى الاسكتلندي.

البحث الخامس

المشافي الحكومية القائمة في الجمهورية العربية السورية

ان عدد المشافي الحكومية التابعة لوزارة الصحة يبلغ ٢٦ مشفى . وهذه المشافي قائمة في مراكز المحافظات ، عدا عدد قليل جداً منها قائم في مراكز بعض المناطق . ويبلغ عدد اسرة المشافي التابعة لوزارة الصحة ٢٩٣١ سريراً وإذا اضفنا اليها عدد اسرة بقية المستشفيات من حكومية وخاصة ، البالغ ١٧٥٢ سريراً عاد عدد مجموع الأسرة ٤٦٨٣ وهو عدد متخلف عن الوفاء بحاجة الجمهورية العربية السورية ، اذ يصيب كل الف من المواطنين سرير واحد ، في حين ان هذه النسبة يجب ترتفع الى ما لا يقل عن أربعة اسرة لكل الف من المواطنين ، بالنسبة للاستشفاء وللمشافي على مختلف أنواعها واختصاصاتها .

وتعمل الوزارة جادة بتحسين اوضاع المشافي القائمة وببناء مشاف جديدة لاستكمال حاجة الجمهورية العربية السورية .

★ ★ ★

احصاء عدد المشافي في المحافظات ومجموع أسرتها في كل محافظة

المحافظة	عدد مشافي وزارة الصحة	عدد الأسرة	عدد المشافي الاخرى	عدد الأسرة
دمشق	٧	١١٩٥	١٦	٨١٩
حلب	٩	٨٣٥	١٧	٥٠٤
حمص	١	١٣٠	٨	١٥٢
حماه	١	١١٣	٢	٤٠
اللاذقية	٣	٣٦١	٢	٤٥
دير الزور	١	٩٠	٣	١٤٢
الحسكة	٢	٧٣	٣	٥٠
درعا	١	٨٥	–	–
السويداء	١	٤٩	–	–
المجموع	٢٦	٢٩٣١	٥١	١٧٥٢

وتوجد عداذلك مشافي عسكرية غنية بتجهيزاتها واختصاصيها

توزيع مشافي وزارة الصحة في الجمهورية العربية السورية

المحافظة	اسم المستشفى	عدد أسرته
دمشق	مستشفى دمشق	٢٧٣
	مستشفى ابن سينا	٣٥٠
	مصح ابن النفيس	٢٧٠
	مصح ابن الوليد للجذام	١٤٠
	مستشفى دوما الجراحي	٨٢
	مستشفى الامراض السارية ـ الحميات ـ	٥٣
	مستشفى الامراض الزهرية	٢٧
	مستشفى أمراض العيون	
حلب	المستشفى الوطني	١٢٥
	مستشفى رازي للجراحة	١٠٠
	مستشفى الامراض العقلة	١٥٠
	مصح ابن رشد	١٠٠
	دار التوليد	٦٠
	مستشفى الامراض السارية ـ الحميات ـ	٥٠
	مستشفى الامراض الزهرية	٢٥
	مستشفى ادلب	٢٠٠
	مستشفى الباب	٢٥
حمص	مستشفى حمص	١٣٠
حماه	مستشفى حماه	١١٣
اللاذقية	مستشفى اللاذقية	١١٩
	مستشفى طرطوس	٤٢
	مصح القدموس	٢٠٠
دير الزور	مستشفى دير الزور	٩٠
الحسكة	مستشفى الحسكة	٢٣
	مستشفى القامشلي	٥٠
درعا	مستشفى درعا	٨٥
السويداء	مستشفى السويداء	٤٩
		٢٩٣١

وتقوم وزارة الصحة عام ١٩٦١ باشادة اربعة مشافي جديدة يكلف بناؤها مالا يقل عن اربعة وثلاثين مليون ليرة سورية والعمل في البناء قائم باستمرار ويؤمل انجاز المشافي المذكورة في ثلاث سنوات وقد رصدت لها في موازنة عام ١٩٥٩ - ١٩٦٠ مبلغ مليون وخمسمائة الف ليرة سورية وهناك مشافي خاصة تتحول الى مشافي للخدمات الصحية العامة او للمعالجة والتعليم منها مستشفى بدير الزور وكان متوقفاً عن العمل ومعروضاً للبيع من قبل الارسالية الاميركية فاستملكته الحكومة وباشرت ادارته واحدثت فيه مدرسة للتمريض سوف تباشر العمل فيها خلال هذا العام ومنها مستشفى الامراض العينية كان مستشفى تبشيريا [١] قدم هدية لوزارة الصحة ومنها مستشفى يبرود اقيم بأموال مغتربي يبرود في البرازيل ثم مدت الوزارة يد المساعدة اليه فخصته في موازنتها بمبلغ قدره خمسون الف ليرة سورية لا كماله وتجهيزه بما يلزم وهناك مشافي أخرى خيرية يشيدها المواطنون، منها مستشفى في التل يشاد بأموال المحسنين وبمعاضدة أهل الخير عامة وتعضيد أهالي التل خاصة نضيف الى ذلك مشافي كلية الطب ومنها مستشفى المواساة الحديث الذي وضع له نظام خاص يجعله تحت تصرف كلية الطب . ويعد هذا المستشفى بوسائله وتجهيزاته واختصاصيه مستشفى كامل الوسائل [٢] .

* * *

(١) ارجع الى سيرته في صفحة ١٤٠ - ١٤١ .
(٢) ارجع الى سيرته في صفحة ١٣٩ من هذا الكتاب .

الباب الثامن

تطور الطب في بلاد الشام

وسيرة النهضة الصحية في العهد الوطني

١ً – تطور الطب خلال اربعين سنة [١] : يطيب لي وانا من المخضرمين في العهود التي اتت على الطب خلال مايداني نصف قرن موزعة اعوامه بين العهد العثماني واستقلال سورية قبل الانتداب الفرنسي وبعده ، متدرجاً من طالب طب الى ممارس مهنة فعضو في هيئة التدريس من الدرجة الدنيا حتى العليا ، يطيب لي بهذه الصفات كلها ان القي هذه الكلمة الموجزة في مقدمة القسم الطبي في هذه الأيام العلمية مستعرضاً خلال هذه الحقبة من الزمن واقع الطب والأطباء والمرضى والأمراض وتدريس الطب وما طرأ على ذلك من تطور في هذا الحين من الدهر لما في هذا من عبرة وذكرى .

ويعود بدء الانطلاق في حديثي هذا الى غداة إلقاء الحرب العالمية الأولى أوزارها ، وجلاء الترك عن البلاد فدخول الجيش العربي مع جيوش الحلفاء واعتبار البلاد بلاد العدو المحتلة ، وتكوّن اول حكومة عربية ثم المناداة

---

(١) بحث ألقاه الاستاذ الدكتور حسني سبح عميد كلية الطب ورئيس الجامعة السورية – جامعة دمشق – الأسبق . اثبتناه لصلته الكبرى بموضوع كتابنا

باستقلال سورية بحدودها الطبيعية ، وكنت آنذاك طالباً في السنة الخامسة والأخيرة من مدرسة الطب في دمشق بعد ان اعيد افتتاحها ، وتخرجت بين متخرجي الفوج الأول سنة ١٩١٩ ، وليس لي ان اصف حالة البلد آنذاك وما عم الناس من بشر وفرح بانقضاء كابوس الحرب وتنسم ريح الاستقلال الذي لم يطل امده ، في جانب ما كانت البلاد فيه من غليان وتنازع بين الأحزاب ، الى دسائس يحيكها الأجنبي الطامع ، بل اجتزىء بذكر ما زال باقياً من ويلات الحرب بعد ما ساد سنيها الخمس من مجاعة هلك بها خلق كثير ، وصالت الأوبئة وانتشرت الأمراض التي تجد لها مرتعاً في مثل تلك الحالات كالحمى النمشية ـ التيفوس ـ والحمى الراجعة والهيضة الآسيوية والزحار[1] بنوعيه العصوي والآميبي والبرداء ـ الملاريا ـ ناهيك بالنزلة الوافدة ـ انفلونزا ـ التي اجتاحت العالم كله في أواخر الحرب والتهاب الدماغ النومي[2] والجرب الذي كثرت اصاباته حتى بين الأسر التي كانت تعيش بنعماء نسبية ، والأمراض الزهرية بأنواعها الثلاثة : الداء الأفرنجي وداء السيلان والقرحة اللينة ، فضلاً عن السل على اختلاف استقراراته .

ومع هذه الأنواع العديدة من الأمراض التي كانت تلازم الحروب فيما مضى ، وفي جانب الأدواء والعلل الأخرى التي لا يخلو منها زمن ، فقد كان عدد الأطباء حملة الشهادات قليلاً جداً ، فمعظم هؤلاء جند في الجيش العثماني وأقصي عن بلده ، وغادر البلاد من كان منهم من أصل تركي ، وقضت الحمى النمشية على عدد غير قليل منهم ، لأن ضحايا هذا الوباء كانت فئة الأطباء في الطليعة منها ، وعدد المشافي في جميع المدن يعد على الأصابع ، فلم يكن في دمشق آنذاك من مشافي الحكومة الا المستشفى الوطني في جانب المستشفى العسكري وكان يعرف الأول بمستشفى الغرباء اذ لم يكن يستشفي فيه سوى الأغراب الذين ليس لهم

---

(١) Dysentérie (٢) Encéphalite léthargique

من يعنى بشأنهم في حالة المرض وكذلك الفقراء المدقعين ، مما جعل الناس ينظرون إليه نظرة ازدراء حتى ان المضطر الى اجراء التوسط الجراحي كان يسعى جهده الى اجرائه في داره مهما كلفه الأمر ، اما المستشفيان الانكليزي والفرنسي فقد عرفت عنهما النزعة التبشيرية وكان لا يؤمهما إلا فئة خاصة ، ووضعت السلطة الحاكمة يدها عليهما فأصبحا عسكريين إبان الحرب وبعدها مدة من الزمن ، ولكثرة المصابين بالأمراض الإنتانية والمعدية وضرورة عزلهم فقد اضيف الى المستشفى الوطني بعض الدور المجاورة .

وإن ما تقدم من نقص في عدد الأطباء والمشافي والمستوصفات وكثرة الأمراض ، كان باعثاً قوياً على انتشار التدجيل وتزايد المتطببين الذين يغلب فيهم توارث المهنة وممارستها أباً عن جد دون أي ثقافة ، في جانب العطارين الذين لم يكن ما يردعهم عن التطبيب وبيع الحشائش والعقاقير المختلفة وكانت دكاكينهم تعج بالمراجعين في الصبح الباكر ، والحلاقين الذين اختص بعضهم بأعمال ما ندعوه اليوم بالجراحة الصغرى من بزغ الخراج في جانب قلع الأضراس وتطبيق العلق والحجامة الدامية ، والمجبرين الذين لا يزال بعضهم في الأرياف النائية حتى يومنا هذا يقوم بجبر الكسور ورد الخلوع . والغريب في ذلك أنه لم يكن يخلو حي من احياء المدينة من أحد الدجالين الذين يفتحون ابوابهم للعمل تحت سمع الحكومة وبصرها ، وإن منهم من كان يسطر وصفات طبية بالعربية لا يتأخر الصيدلي عن صرفها ، ولا شك ان عدد مراجعي الدجالين كان يفوق عدد مراجعي الأطباء النظاميين على قلتهم .

ومع هذه القلة في عدد رجال الطب ، فان ما كان يركن اليه من علاج ندر فيه الناجع ، فهل لي ان أذكركم ببعض ما كان سائداً في تلك الفترة من أدوية ومداواة !

فالحمى النمشية ـ تيفوس ـ التي اجتاحت البلاد من أقصاها الى أقصاها خلال الحرب وقضت على حياة الكثيرين وامتدت الإصابة بها الى ما بعد انتهاء الحرب

بمدة قصيرة ، لم يكن لها من العلاج سوى تطبيق العَلَق على الحشائين ووضع كيس الجليد على الرأس وحقن الزيت المكوفر[1] تحت الجلد عدة مرات في اليوم . وانتشر اخيراً حقن الستروفانتين في العضل بتشويق الاطباء الالمان ، في جانب الزام المحموم بالحمية الصارمة على الحليب . والمحموم بالحمى الراجعة كان أوفر حظاً لإمكان معالجته بمركبات الارسنيق ولا سيما النه ئوسالوارسان الذي كان يستورد من ألمانيا وأصبح علاجاً رئيسياً للداء الافرنجي بل وغيره ايضاً ، وكانت التجارة به مورد رزق لفئات كثيرة من الناس غير الصيادلة والعقّارين . أما الزُحار فان النوع العصوي منه كان يعالج بالمصل المضاد للزحار الذي ندر وجوده والزحار الأميبي كان الامتين قد عرف في البلاد قبل الحرب العالمية الاولى ، وقل من الاطباء من كان يعتمد على استعماله في المعالجة ، وما كان يعول عليه هو استعمال عِرْق الذهب[2] بشكل مغلي يعرف بالطريقة البرازيلية ، مع إشراكه بسولفات الصود ، وقلّ من الاطباء من كان يعتمد آنئذ على التشخيص المخبري لأجل كشف الطفيلي والتفريق بين النوعين المذكورين ، ولما كانت طريقة المعالجة المذكورة غير كافية فقد كثرت الاختلاطات ولا سيما خراج الكبد الذي كنا نرى منه عشرات الإصابات في المستشفى .

والبرداء من الامراض التي انتشرت في المدن والارياف على السواء وظلت داءً مستوطناً الى ماقبل سنوات خلت ، والاشكال الشائعة التي كنا نشاهدها كان العامل فيها المصورات النشيطة[3] ثم المصورات المدارية او المنجلية[4] ومع سوء التغذية الذي كان سائداً آنذاك فان النوب الخبيثة[5] كانت كثيرة التصادف وسبباً للموت في حالات كثيرة . وراجت في المعالجة طريقة حقن

---

(١) Huile camphrée (٢) Ipéca

(٣) Plasmodium vivax (٤) Plasmodium falciparum

(٥) Accès pernicieux

العضل بأحد املاح الكينين، ومن هنا ذيوع الإستحقان في معالجة الأمراض كافة بين سكان الأرياف حتى أصبح من العقيدة الراسخة بطلان تأثير اي علاج ما خلا ما كان منه عن طريق حقن الوريد او حقن العضل ، ومما لاشك فيه ان الذنب هو ذنب الأطباء الذين اوهموا اولئك المساكين بذلك حتى اصبح من العسير جداً انتزاع تلك الفكرة الخاطئة منهم ، وأن كثرة الإصابة بالبرداء بين القرويين وسكان الأرياف جعلت ضخامة الطحال من العلامات الواسمة الدالة على الإصابة ، والضخامة المذكورة كانت تبدو في الشكل الخفيف بتجاوز الطحال حافة الأضلاع ، وفي الشكل الشديد كثيراً ما كانت تملأ معظم البطن ، والمعالجة بالنئوسالوارسان من أجل البرداء انتشرت حيناً من الزمن وتناولتها ايدي الدجالين الذين منهم من أثرى حقاً من وراء حقن الوريد بالنئوسالورسان اعتباطاً ، للبرداء والداء الافرنجي والزحار وغيره .

والحكم على حسن تأثير العلاج والتفاؤل الحسن بابان حقنه كان يقدر بما يرافقه من إزعاج عام — كما في النئوسالوارسان — أو ألم موضعي شديد. واجتاحت البلاد جائحة النزلة الوافدة [1] وكانت تعرف آنئذ بالحمى الإسبانيولية ، بعد ان أصابت سائر أنحاء المعمورة وذهب ضحية لها خلق كثير ولاسيما الطاعنين في السن والأطفال الذين كانوا يقضون نحبهم بأحد اختلاطاتها الصدرية كذات الرئة النزلية أو ذات القصبات الشعرية [2] ولم تكن تعالج الإصابة بها إلا ببعض الأدوية الصدرية وبالأوروتروبين ، وبدت الاشكال المعوية والعصبية في جانب الأشكال الصدرية الغالبة .

وتلت تلك الجائحة جائحة التهاب الدماغ النومي [3] وقد ظن في بادىء الأمر انه نوع من البرداء الدماغية ، قبل ان تأتي مجلات الغرب طافحة بأخباره ، وعلى هذا الأساس أصر بعض الأطباء على اعتباره من أشكال البرداء فكانت

---

(١) Influenza (٢) Bronchite capillaire
(٣) Encéphalite léthargique

معالجته بالكينين ، ولم تلبث ان ظهرت حوادث من تناذر بار كنسون [١] في عقابيل من كتب له الشفاء من اصابته الحادة ، ثم اصبحت تشاهد منه حوادث منفردة من حين لآخر ، وما اعتمد عليه في المعالجة مؤخراً هو إحداث خراج التثبيت [٢] بحقن تحت الجلد من الناحية الفخذية بعطر النفط [٣] ثم يبزغ الخراج إثر تكوّنه ، ولم يكن يستعمل من الأدوية سوى الاوروتروبين حقناً في الوريد .

واجتاحت سورية وفلسطين إبان الحرب العالمية الأولى وافدة الهيضة الآسيوية [٤] ووقعت اصابات في الجيش والمدنيين على السواء ، وفرض الحجر الصحي وشرع بالبحث عن حَمَلة الجراثيم [٥] بالفحص الجرثومي الإجباري للبراز وعدم السماح لأي من الناس بالتنقل خارج المدينة اذا لم يكن يحمل تقريراً يثبت انه غير حامل لجرثوم الهيضة ، وطبيعي ان تنشط السوق السوداء في مثل هذه الملابسات وان يستغل الأمر المستثمرون ، وعلى كل فان تطبيق هذا النظام بشيء من الصرامة قد كان له الأثر البين في ايقاف الوباء ، ولم يكن من وسائل العلاج المستعملة سوى المعالجة العرضية الرامية الى تخفيف الألم ، واستعمال حمض اللبن [٦] والمصل الفيزيولوجي .

والأمراض الزهرية الثلاثة التي انتشرت في اثناء الحرب واستمر انتشارها بعد الحرب بعدة سنوات لم يكن سوى الداء الأفرنجي منها يعالج معالجة نوعية : فاستعمال النئوسالوارسان كان قائماً على قدم وساق إلا انه قلّ من الأطباء من كان يتبع الطريقة النظامية في المعالجة ، والكثيرون كانوا يكتفون بحقن الوريد بـ ٠٫٩٠ سغ من العلاج مرة او مرتين ثم يطلبون الى العليل التردد عليهم في الشهر مرة لأجل الحقن . وشهرة العلاج المذكور آنئذ كادت تشبه في تلك

---

(١) Abcès de fixation
(٢) Parkinson
(٣) Essence de térébenthine
(٤) Choléra asiatique
(٥) Porteurs des germes
(٦) Acide lactique

الأيام مالقيه استعمال البنسلين من رواج في أيامنا هذه ،ناهيك بانتقال استعماله الى ايدي الدجالين وقد اثرى الكثيرون منهم من ورائه على ماترامى الينا في بعض المحافظات السورية ، ولاغرو ان نسمع في ذاك الحين ضحايا تلك الإبر الوريدية بين ذوي التحسس وعـــدم التحمل للعقّار من ظهور الصدمة شبه النتريتية [1] الخطرة ومع ذلك فلم نسمع أن أحداً من الدجالين قد أدين على مااقترفه من إثم تدينه عليه جميع الشرائع ، هذا وان كثرة ممارسة هذه الحقنة الوريدية بالنه ئوسالوارسان ومايرويه مؤيدوها من برء سريع بها في شتى الأمراض معظمه لم يكن إلا وليد الصدفة ، قد اورث في مخيلة بعض الأطباء آنئذ عقيدة راسخة بقدرته العجيبة في الشفاء من معظم الانتانات ، واني لأذكر قصة احد الزملاء الذي ذهب هذا المذهب في معالجة مرضاه ، أصيب الطبيب نفسه ذات يوم بذات الرئة وكناعدة زملاء دعينا الى معالجته ، وزميلنا المرحوم قدعرف من الأعراض التي يشكوها انه مصاب بذات الرئة وأصر علينا ان نعالجه بالنه ئوسالوارسان ، ورفضنا جميعنا الاقدام على ذلك ، فما كان منه الا أن استدعى أحد الدجالين وحقن وريده بـ ٩٠ سانتيغراماً من العقّار المذكور فقضى نحبه في اليوم التالي .

وان انتشار الداء الأفرنجي بين سواد الناس اهاب بالحكومة افتتاح مستوصفات تعنى بمعالجته بالحقن الزئبقية عن الطريق العضلية في معظم الأحيان ثم حقن النوفارسنوبانزول الفرنسي فيما ندر من الحوادث .

أما الداء السيلاني فكان العلاج الوحيد الذي يركن اليه في المداواة هو حقن الإحليل او المهبل بمحلول فوق مانغانات البوتاس ثم الكي الموضعي بمحلول نترات الفضة . والقرحة اللينة لم يكن لها من العلاج سوى الكي الكيميائي، وعلى ذلك فكان من اختلاطات السيلان التي كانت تكثر التهاب الخصية ، والرئيـة

---

(١) Crise nitritoïde

السيلانية، ومن اختلاطات القرحة اللينة البَدْبل[1] وكثيراً ما كنا نشاهد توافق القرحة الأفرنجية والقرحة اللينة مما يعرف بالقرحة المختلطة[2].

وأما السل فقد كثرت الإصابات به على اختلاف استقراراته، ولا غرو فالحرمان وسوء التغذية هما في طليعة الأسباب الموجبة لنشاط عصية كوخ، وما كان منه في الرئة فقد غلبت عليه الأشكال الحادة التي كانت تسير سيراً سريعاً تقضي على حياة المسلول في مدة قصيرة، ولم يكن لدينا مايوقف ذاك السير، وشاعت طريقة المعالجة بإحداث الريح الصدرية الإصطناعية[3] في معالجة الشكل التقرحي وتلتها المعالجة الجراحية من قطع عصب الحجاب الى تصنيع الصدر[4]، والسل الجراحي من عظمي ومفصلي لم يكن له من العلاج سوى التثبيت، والتغذية الحسنة المطلوبة لم تكن متيسرة، أما الإصابة بالتهاب السحايا السلي[5] فلم يكن مايحول دون نهاية صاحبها المشؤومة.

وعلى ذكر قلة التغذية التي سادت سني الحرب، فقد انتشرت علل الجوع والحرمان[6] ولاانسى شبه الوافدة التي بدت في بعض قرى حوران وقرية التل من محافظة دمشق، والتي عرفت اصاباتها بداء الجلبان[7] اذ اضطر سكان تلك القرى الى صنع الخبز باضافة الجلبان بعد ماصادرت الحكومة الحنطة وخصت بها جيشها وجيش حليفتها ألمانيا، وأصبح الخبز الذي يوزع ببطاقات التقنين يحوي الأنواع العديدة من البقول وفي طليعتها الترمس، فان تلك القرى التي كثر الجلبان في غذائها رأينا مئات الإصابات فيها بتصلب النخاع المشترك[8]

---

(١) Bubons

(٢) Chancre mixte

(٣) Pneumothorax artificiel

(٤) Thoracoplastie

(٥) Méningite tuberculeuse

(٦) Carence

(٧) Lathyrisme

(٨) Sclérose combinée de la moelle

البادي بالشلل النصفي السفلي التشنجي[1] والإصابات بالرخيطس[2] والبللاغرا[3] وقصور الكبد وتشمعاتها التي كانت تسند الى البرداء ومردها في العالم الى نقص البروتينات من الغذاء ، من العلل التي كثيراً ما كانت تملأ قاعات المستشفى ولم يكن لها وسائل العلاج مالدينا الآن .

هذا ولابد من الإشارة الى الفترة القصيرة التي مارسنا فيها المهنة قبل استعمال الانسولين في الداء السكري وكيف كنا نقف مكتوفي الأيدي حيال العليل بالسبات وكذلك عندما يضطر الى اجراء التوسط الجراحي فيه .

ويقرب من ذلك مصير من يصاب بذات الرئة من الشيوخ اذا كانت تنتهي بها حياته حتماً .

ورأينا غداة انتهاء الحرب العالمية شبه وافدة للهستيريا التي وإن كانت الإصابة في الاناث فيها هي الغالبة ، فلكم لاحظنا عدداً غير قليل من الذكور الذين كانوا يبدون كالاناث النوبات الكبيرة من الهستيريا . وقد انطفت معالمها الآن او كادت ومردها على مايبدو الى كثرة الانفعالات النفسية والصدمات العاطفية والمشاكل الكثيرة التي رافقت الحياة الاجتماعية السائدة آنذاك .

واذا انتقلت من ذكر الأمراض الى الفحوص المخبرية التي كان يستند اليها في التشخيص في تلك الآونة فهي محدودة جداً منها تحليل البول لعيار العناصر الطبيعية فيه بعد جمعه التقليدي خلال اربع وعشرين ساعة والبحث عن العناصر المرضية ، وفحص الدم لتحري المصورات الدموية ، وشاع في آخر الحرب اجراء ارتكاس فايل فليكس[4] لتشخيص الحمى النمشية . واما ارتكاس ويدال فلم يكن يجري إلا على مقياس ضيق ويكتفى بالأعراض السريرية ، وبعد شيوع

---

(١) Paraplegie spasmodiqne

(٢) Rachitisme

(٣) Pellagra

(٤) Weil - Felix

استعمال الأمبيتين في معالجة الزحار الأميبي شاع فحص البراز ثم زرعه لأجل تحري عاملي الهيضة والزحار، ومن عيارات الدم اكثر ما كان يعاير هي البولة الدموية.

هذا ولا بد من الإشارة الى ما كان يلقاه الطبيب وطالب الطب من صعوبة في فحص النساء، واذا كان لبعضهن ان يسمحن بالكشف الطبي فكثيراً ما كن يأبين ذلك في عيادات المشافي وفي الدروس السريرية أمام الطلاب، والكثيرات منهن يرجحن حمل العلة ومغادرة المستشفى على الرضوخ الى مثل ذاك الفحص، هذا فيما يختص بالشعبة الطبية أما في التوليد وامراض النساء فالرفض كان مصير كل طلب يوجهه المولد، ولا أنسى حادثة شهدتها بحامل بدت فيها اعراض ارتكاز المشيمة المعيب[1] واقترح المولد الذي استشارته في امرها اجراء التوسط الفوري انقاذاً لحياة العليلة، وما ان اطلع الزوج ومن حوله من نسوة على ما أردناه حتى تبودلت الهمسات والغمزات وانتهى القرار بالإجماع الى رفض التوسط وشاركتهم في الرأي العليلة المسكينة التي قضت نحبها بعد أيام قلائل وذهب ادراج الرياح كل ما شرحناه من خطر مداهم. والضحايا من هذا القبيل كانت آنذاك كثيرة جداً.

وبعد اعادة افتتاح مدرسة الطب في دمشق في ٢٤ كانون الثاني ١٩١٩ بادرة خير عم البلاد العربية قاطبة، ففي ذاك اليوم من عهد المغفور له الملك فيصل اعلن افتتاح المدرسة الطبية العربية خلفاً لمدرسة الطب العثمانية التي يعود تأسيسها الى سنة ١٩٠٣ والتي كانت التركية لغة التدريس فيها، وبدىء منذ اليوم الأول بتدريس علوم الطب على اختلاف انواعها بلغة الضاد، وأوسدت مقاعد التدريس الى مساعدي الأساتيذ الاتراك في العهد العثماني ومعظمهم من ابناء سورية، ممن تخرج من احدى مدرستي الطب العثمانيتين في دمشق او استانبول، وكانت دراستهم بالتركية قد مهدت امامهم السبيل الى التدريس

---

(١) Placenta Previa

باللغة العربية لأن المصطلحات الطبية في اللغة التركية قبل الانقلاب الذي قام به مصطفى كمال كان معظمها عربي اللفظ وليس من الصعب رد الالفاظ التي شوهتها او حرفتها الصياغة التركية الى وضعها العربي الصحيح ، ولا نكران ان وجد القائمون بالتدريس في مدرسة الطب العربية الحديثة منهلاً استوردوا منه الكثير من المصطلحات الطبية التي وضعها اولئك العلماء والرواد الاول من اساتيذ القصر العيني في مصر عندما كانت العربية لغة التدريس في الطب وكذلك المؤلفين الأجلاء الذين درّسوا الطب بالعربية في الجامعة الاميركية في بيروت . وعادالى سورية في تلك الآونة الاطباء العرب الذين كانوا في جيش الثورة العربية وكذلك الذين سرحوا من الجيش العثماني بعد انتهاء الحرب وكانت دمشق ملاذاً لجميع اولئك الاطباء من الاقطار المختلفة والبلد ينعم بنعمة الاستقلال الذي أعلن في الثامن من آذار سنة ١٩٢٠ والذي لم يعمر طويلاً وياللاسف ، والفكرة القومية العربية في اوج نشاطها ، ومن هنا بدأ الانطلاق وذر قرن النهضة الطبية وشرع التطور بالظهور ، وكانت اول مجلة طبية ظهرت في اللغة العربية في سورية بعد الحرب العالمية الاولى مجلة الصحة العمومية التي اصدرتها رئاسة ادارة الصحة في دمشق عنيت بنشر المقالات عن الموضوعات الطبية المحلية في جانب المصطلحات العربية التي اقترح الذين اسهموا في التحرير ادخالها في لغة الطب في تلك اليقظة ، وكانت تلك المجلة اسبوعية الا انه لم يصدر منها سوى ٢٦ عدداً وكل عدد منها كان في البدء بثماني صفحات ثم جعل ستعشرة صفحة ، وخلفتها مجلة المعهد الطبي العربي في مطلع عام ١٩٢٤ وكانت مجلة شهرية تتبارى فيها اقلام اللغويين والاطباء من سورية ولبنان والعراق سواء في المصطلحات العلمية او في الموضوعات الطبية المحلية والمستحدثات المستجدة في بلاد الغرب .

وطبيعي ان لا يخلو تدريس الطب بالعربية في السنة الاولى من الشروع به ، من بعض الشوائب ، وذلك لان بعض المدرسين وهم حديثوا العهد باللغة

العربية صعب تحررهم من بعض الرطانة التي ألفوها وسمعت ان احدهم اراد ان يتفاصح يوماً فدعى الارنب بالقرنب .

وما ان توطدت دعائم التدريس في المدرسة الطبية العربية وابدل اسمها بالمعهد الطبي العربي ، ولم يكن بوسع السلطة الفرنسية التي تولت الانتداب على البلاد ان تغلق معهداً علمياً ينهل من معينه العذب طلاب البلاد العربية قاطبة ، فغضت الطرف عنه على مضض واظهرت نفسها بمظهر المناصر والمساعد ، وولى القائمون على شؤون التعليم والتدريس وجوههم شطر الاصلاح والتطوير فبدىء بارسال البعثات التي لم يكن ليسمح بها إلا الى فرنسا وهكذا سافر الى المعاهد الفرنسية جميع اعضاء هيئة التدريس تباعاً ، ثم استقدم بعض الاساتذة الفرنسيين الذين اوسدت اليهم مهام التدريس باللغة الفرنسية دون ان تمس لغة الضاد الرسمية بسوء ، واصبحت دمشق بعد ذلك العهد المظلم الذي وصفته آنفاً مصدر اشعاع طبي لا الى سورية فحسب بل الى جميع البلاد المجاورة وارتفع المستوى الصحي وتطور وعي الناس فكان الاقبال على الطب ونبذ التدجيل والدجالين ، وغدا خريجو كلية دمشق الطبية يعدون بالآلاف يتبوأ بعضهم ارفع المناصب واسمى المراكز في البلاد العربية من قاصيها الى دانيها ، وكانوا ولا يزالون وقد رضعوا البان القومية العربية من أخلص الدعاة الى الوحدة العربية .

وان مجلة المعهد الطبي العربي وقد ظهرت الى الوجود بعيد افتتاح المعهد الذي تحمل اسمه ، نمت وازدهرت واضحت تطفح بالمقالات الضافية التي يدبجها يراع اعضاء هيئة التدريس ، ناشرة بحوثهم القيمة ناهيك بما ينشره الاساتذة في المجلات الفرنسية .

ومع انشغال المدرسين في التدريس مع قلة عددهم وضيق ساعات فراغهم ، وعنايتهم الفائقة في انتقاء المصطلحات الطبية في المواد التي اوسد اليهم أمر تدريسها فلم يتوانوا بقدر ما اوتوا من وسائل قليلة عن الاسهام في البحوث المبتكرة في

الأمراض المستوطنة كالبرداء والزحار وتشمعات الكبد والتهاباتها الاميبية واشكال الافرنجي العصبي والتهابات الاعصاب العديدة التالية للمعالجة المصلية ، وما الى ذلك من البحوث الكثيرة التي نقلتها مجلات الغرب .

هذا وان من شديد العناية الذي تلقاه كلية الطب من لدن اولي الأمر مايجعل الأمل وطيداً باستكمال نواقصها والسير بها الى مصاف كليات العالم الراقية

٢ - النهضة الطبية والصحية في سورية في عهدها الوطني : قطعت سوريا شوطاً كبيرا في مضمار التقدم الصحي منذ تخلصت من ربضة الحكم الاجنبي، ولقد تناولت الاجراآت بصورة عامة تنظيم الاوضاع الادارية والقانونية وتوسيع نطاق الأعمال الطبية والصحية واسترداد الصلاحيات التي كان يمارسها الاجنبي من المسائل الصحية واعادة تنظيمها بما يتفق مع الاوضاع السياسية الوطنية الجديدة .

كانت المصالح الصحية في ظل الانتداب وحتى سنة ١٩٤٦ تدار من قبل مديرية عامة ملحقه بوزارة الداخلية وقد رأت الحكومات الوطنية التي جاءت بعد هذا التاريخ ان تجعلها وزارة مستقلة لما للشؤون الصحية من ارتباط وثيق بنهضة البلاد في كل اتجاه .

اما الاصلاح القانوني فلم يكن بين يدي مصالح الصحة العامة في سورية عند قيام الحكم الوطني من النصوص التشريعية سوى عدد قليل من الانظمة القديمة التي وضعت في العهد العثماني مع بضعة قرارات صدرت في عهد الانتداب الفرنسي - عدت غير كافية - لسد الحاجة فضلا عن عدم انسجامها مع حاجات ومقتضيات الحكم الوطني . ولما كانت الضرورة تستدعي تجديدا شاملا في في التشريع الصحي يعبر عن حاجات الامة واهدافها فقد اعدت وزارة الصحة عدة قوانين وانظمة نفذتها فكان نفعها عظيما .

وقد شعرت وزارة الصحة بالحاجة الى زيادة عدد الاخصائيين في مختلف فروع العمل في بعدان اعدت برنامجها القاضي بتوسيع نطاق الخدمات الصحية وتحسينها

لذلك اوفدت بعض الاطباء والموظفين في دوائرها الى البلاد الاوربية والاميركية ليتخصصوا بدراسة الفروع التي وضعت المشروعات من اجل تنفيذها. باشرت ذلك في عام ١٩٤٥ بايفاد بعض الصيادلة والاطباء الى مصر وفرنسا واميركا للاختصاص بالجراحة وامراض الاطفال والعيون والاشعة والمعالجة بالكهرباء والامراض العصبية والعقلية والعينية وتصنيع الاعضاء وامراض البلاد الحارة وامراض الاذن والانف والحنجرة والمختبرات الجرثومية والكيماوية ولصنع اللقاحات وغيرها من الفروع الطبية وبالاضافة الى ذلك عمدت الى استخدام خبراء فنيين من الاجانب للاستفادة من خبرتهم وتدريب اكبر عدد من اطباء الوزارة وموظفيها في المؤسسات المختلفة . وقد ضوعف عدد هذه البعثات الى الديار الغربية ومنها انكلترا وفرنسا وبلجيكا وسويسرا وايطاليا واميركا وغيرها خلال السنوات الاخيرة وذلك بمساعدة منظمة الصحة العالمية وصندوق اغاثة الاطفال الدولي . وأصبح الآن في وزارة الصحة عدد مناسب من الاختصاصيين بمختلف الفروع ولاتزال الوزارة تواصل ايفاد البعثات في كل سنة لتسد الفراغ في جميع مؤسساتها الموجودة في المدن والارياف ، كما أرسلت عدداً للاختصاص بفروع الصحة العامة من وجهتيها الادارية والفنية .

اعدت وزارة الصحة منذ اول العهد الاستقلالي برنامجاً لانشاء عدد من المستوصفات والمستشفيات والمؤسسات في جميع انحاء البلاد يطبق ضمن عشر سنوات وذلك لتأمين حسن ايفاء الخدمات الصحية وتوسيع نطاقها لأن الموجود منها في ذاك الحين لايفي بالحاجة فانشأت عدداً من المشافي وعدداً كبيراً من المستوصفات في المدن وخاصة في الارياف .

واذا قارنا بين حركة المستشفيات في ايام الانتداب وبعدها وجدنا أنه اصبح عشرة أضعاف ما كان عليه في السابق وان عدد الاسرة في المشافي زادت بهذه النسبة . ولابد من التنويه الى زيادة عدد الأطباء السيارين وايصال الخدمات

الصحية الى القرى النائية وقد احدثت وحدات سيارة مجهزة بكل مايلزم تجوب هذه الوحدات بصورة دائمة المناطق الريفية التي لايوجد فيها مراكز صحية ثابتة وتؤدي خدماتها باستمرار لكل فرد من افراد الشعب رغم الصعوبات التي تلاقيها هذه الوحدات في الطرقات في موسم الشتاء .

وقد عنيت وزارة الصحة بالأمراض المستوطنة فشرعت بمكافحتها واستطاعت القضاء على بعضها كما عنيت بمكافحة البلهارسيا ووضعت قانوناً خاصاً يضمن مكافحة هذا الداء . كما أحدثت عدة مراكز لرعاية الطفولة والامومة ووضعت برنامجاً خاصاً بمعرفة اخصائيين بهذا الموضوع من موظفيها الذين اوفدوا لهذه الغاية وقد باشرت المؤسسة أعمالها في عام ١٩٤٩ وتمكنت من احداث عدد من مراكز الرعاية وسوف توسع شبكة المستوصفات الخاصة برعاية الطفولة والامومة .

وقامت الوزارة بمكافحة السل وأوجدت مركزاً تدريبياً لمكافحته في دمشق ومركزاً آخر في حلب . وعممت وسائل التشخيص القيمة فجهزت كل مستشفى من المستشفيات الحكومية بآلة للتشخيص والتصوير الشعاعي في حين لم يكن في أي مستشفى آلة . ووضعت وزارة الصحة مشروعاً يقضي بمكافحة القرع وطالبت منظمة الصحة العالمية الاسهام بذلك فوفقت الى مسعاها واخذت المنظمة الدولية برأيها واعتبرت القرع من الامراض التي تدخل مكافحته في نطاق عملها فاسهمت بمكافحته .

وأحدثت مختبرات لإنتاج اللقاحات وللتحاليل الكيماوية والحيوية وعمدت الوزارة الى توسيع مختبراتها الكيماوية وزودتها بالآلات الحديثة .

كتاب

الطب في سورية من بلاد الشام

ص

٢ الباب الاول : ملخص سيرة اطباء الشام بين القرن السابع والقرن الثاني عشر للهجره .

٨ الباب الثاني : تأخر العلوم الطبية في البلاد الشامية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة .

٩ الباب الثالث : اليقظة العلمية في الربوع الشامية واطباء النصف الثاني من القرن الثالث عشر واوائل القرن الرابع عشر للهجرة .

٢٩ الباب الرابع : الطب والاطباء في حلب في القرون الثلاثة الاخيرة .

٤٢ الباب الخامس : مقتطفات من رسائل قيمة في تاريخ الطب عند العرب في العصور الأخيرة .

٥٢ الباب السادس : صلاح اللغة العربية لتدريس العلوم وتعليم الطب باللغة العربية

٦٨ الباب السابع : تعليم الطب بدمشق .

٦٨ الفصل الاول : تأسيس المدرسة الطبية في العهد العثماني

٧٠ الفصل الثاني : المعهد الطبي العربي

٧٧ البحث الاول : التعليم السريري في مدرسة الطب العربية ومعهده وكليته

٩٧ البحث الثاني : تعليم العلوم المخبرية في كلية الطب

١٠١ البحث الثالث : فرع الصيدلة
١٠٦ البحث الرابع : التمريض ومدرسته
١١٠ البحث الخامس: مدرسة طب الاسنان
١١٤ البحث السادس : التأليف والبحث العلمي والجمعية الطبية الجراحية
١١٨ البحث السابع : عمداء كلية الطب واعضاء هيئتها التدريسية السابقون
١٢٠ البحث الثامن : اعضاء هيئة التدريس الراحلون
١٣٦ **الفصل الثالث** : المشافي في بلاد الشام
١٣٦ البحث الأول : المستشفى النوري، مستشفى الغرباء، مستشفى كلية الطب
١٣٨ البحث الثاني : المشافي الحكومية
١٣٩ البحث الثالث : مستشفى الكلمة ، مستشفى المواساة ، المشافي الأهلية
١٤٠ البحث الرابع : المشافي العسكرية
١٤٣ البحث الخامس : المشافي الحكومية القائمة في الجمهورية العربية السورية
١٤٧ **الباب الثاني :**

اعلام الوفيات من الاطباء الوارد ذكرهم في هذا الكتاب

ص

٢ ابن ابي اصيبعة

٧ ابن حجيج : اسعد بن ابراهيم الدمشقي الشافعي

٧ ابن الحكيم المصاحب : ابوبكر محمود بن يونس

٤ ابن دقيقة الشيباني

٥ ابن نفيس

٦ ابو الربيع : سليمان بن داوود أمين الدين

١٩ ابو شعر : داوود

١١ اسكندراني : محمد بن احمد الاسكندراني

١٨ امين باشا

٢ اندلسي : عبد المنعم الخلياني الغساني الاندلسي

٢٧ بارودي : مسلم البارودي

٥ بدر الدين بن قاضي بعلبك

٤٢ بيلوني : محمد بن محمد بن حسن ابن البيلوني الحلبي

ص

٧ ترزي : مصطفى بن احمد باشا ابن حسن الترزي

٥ جبلي : رفيع الدين الجبلي

١٢٦ جراح : شوكة الجراح

١٢٦ جزائري : طاهر الجزائري

٤ حابولي : محمود بن عمر الحابولي

٤٢ حنفي : فرس الدين حلبي بن ابراهيم بن احمد الحنفي

١٣١ خاطر : مرشد

١٢٢ خاني : جميل

٧ خطيب : محمد بن يونس الطبيب الخطيب

٨ خلاصي : الشيخ ابراهيم الخلاصي

١٨ خوري : سليمان الخوري

٤ خوبي : شمس الدين الخوبي

٣ داخور : المهذب الداخور عبد الرحمن

١٢١ راتب : راتب احمد

٣ رحبي : ابو الحجاج يوسف بن حيدرة الرحبي

ص

٦ رحبي : جمال الدين بن حيدرة الرحبي

٢٢ زكريا : مصطفى شوكت بن السيد محمد زكريا

٢٣ زهراء : عبد القادر الزهراء

١٢٣ ساطي : ابراهيم الساطي

٢١ « علي الساطي

٢١ « فوآد الساطي

٢ ساعاتي : فخر الدين رضوان ابن محمد الساعاتي

٧ سروجي : هاشم بن السيد ناصر السروجي

١٢٩ سري : عبد القادر

١٢٣ سعيد : رضا سعيد

٥ سلمي : سعد الدين بن ابراهيم السلمي

٢ سلمي : موفق بن عز الدين السلمي

٤ سويدي : عز الدين بن السويدي

٦ سويدي : العلامة السويدي

١٣٥ شامندي : ميشال

١٢٦ شان : صوتراكي

٢١ شاويش : الحافظ حسن الشاويش

١٢٦ شهبندر : عبد الرحمن

٢٠ شورى : الحاج صالح شورى

ص

١٩ شورى : الشيخ علي شورى

٦ شيخ الربوة : شمس الدين محمد ابن ابي طالب الانصاري الدمشقي

١٩ شيخ فضلي : زاهد

٩ شيخ فضلي : عبد الغني

٧ طرابلسي : يوسف بن محمد الطرابلسي

١٢٦،٢٣ طرابيشي : صادق بن رسلان الطرابيشي

١٣ عابدين : علاء الدين

٢٨ عجة : ياسين

٢٣ عطار : رشدي العطار

٢٤ عطار : محمد فائق العطار

١٧ عودة : حسني عودة

٩ عودة : مصطفى آغا عودة

٢٤ قاسمي : صلاح الدين القاسمي

٥ قاضي : ابو حامد عبد العزيز القاضي

٥ قاضي بعلبك : بدر الدين بن قاضي بعلبك

٢١ قشيشو : حبيب

٢٠ قوتلي : عبد النبي

٤٢ قويصي : زين الدين عبد القادر

٢٨ كبارة : جميل

ص

١٤ كحالة : عبد الفتاح
٣ لبودي : شمس الدين اللبودي
٣ لبودي : نجم الدين يحيى بن اللبودي
١٣٠ لوسركل
٢٤ مرادي : حكمت المرادي
١٩ مشاقة : ابراهيم مشاقة
١٩ مشاقة : اسكندر

ص

١٥ مشاقة : ميخائيل
١٢١ معلوف : امين باشا المعلوف
٤٢ منزلاوي : عبد الحليم بن مصلح
٦ منفاخ : نجم الدين بن المنفاخ
٧ ميداني : شمش الدين التنوري الميداني
٦ نووي : يحيى بن شرف النووي

* * *

كتب طبية ترجمها المؤلف او ساهم بترجمها

موجز في تربية الطفل ، تطبيق ملقط الجنين ، رسالة في امراض النساء ، ملخص عما يقال ويعمل في مستشفيات باريز .

كتب ادبية ترجمها المؤلف

قصص الحمراء لأرفنغ واشنطن نشر بعضها في مجلات عربية

مؤلفات طبية اجتماعية لم تطبع او تحت الطبع

الاسلام والصحة	تحت الطبع
الغـــذاء	» »
امراض الاطفال	معد للطبع
عوامل الاقليم المرضية	» »
طب ابن طفيل	» »
تحسين الولد ـ اصلاح النسل ـ بين الوراثة والزواج	» »

معجم الحكماء والاطباء الاعلام في بلاد العرب والاسلام

العلوم في المجتمع العربي

مؤلفات غير طبية لم تطبع

من ذكريات الطريق : بمناسبة ايفاد المؤلف الى اوروبا بعد تخرجه من كلية الطب.

نفحات من الاندلس : كتاب يبحث عن بلاد الاسبان واسبانيا المسلمة مشتمل على قصص تلحق بوصف كل مدينة زارها المؤلف ، وقد نشرت بعض ابحاثها في مجلة صوت سورية .

الصيـــد : بحث عن الصيد ووسائله مع نظرة الى تاريخ البيزرة

نظرات في الرياضة

العرب اول من كشف امريكا

آثار المؤلف باللغة الفرنسية

I Contribution à l'étude des néphrites hématuriques

II Lathyrisme in encyclopédie médicale française 16036-4

La bibliothéqu d'Alexandrie

كتب طبية وضعها المؤلف

علم تكوين الجنين — طبع في مطبعة الجامعة السورية
علم الوراثة — » » » »
موجز تاريخ الطب عند العرب : يبحث عن المدارس والمشافي العربيـــة وأساطين الطب العربي

مختصر في تاريخ الطب والاطباء عند العرب :

علم النسج وغرائزها — طبع في مطبعة الجامعة السورية
علم التشريح المرضي — طبع في مطبعة الجامعة السورية

كتب طبية اشترك المؤلف بوضعها

علم النسج وغرائزها — شارك بتأليفه الاستاذان طاهر المرادي وكنعان الجابي
علم التشريح المرضي — شارك بتأليفه الاستاذان طاهر المرادي وكنعان الجابي
السريريات والمداواة الطبية — شارك بتأليفه الاستاذان مرشد خاطر وترابو
آداب الطب — طبع في مطبعة جامعة دمشق
الطب العدلي — شارك بتأليفه المدرسان الدكتور أديب القدسي والدكتور زياد الدروبش

كتب طبية واجتماعية وأدبية وضعها المؤلف

الاسلام والطب : كتاب في ثلاثة اجزاء — طبع في مطبعة جامعة دمشق
موجز الاسلام والطب : كتاب في جزء واحد — طبع في مطبعة جامعة دمشق
نظرات في الصيام — طبع في مطبعة اليقظة بدمشق
نظرات في الزواج — » » » »
نظرات في القهوة والشاي — طبع في مطبعة جامعة مشق
» في المسكرات — » » » »
» في ابن القيم — » » » »
اللباب في الاسباب — » » » »
الرياضيات المسنونة — » » » »

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074332501
(NEC)
R128
.3
.S5384
1960